

سلسلة البحوث التربوية والنفسية



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي  
مركز البحوث التربوية والنفسية  
مكة المكرمة



4000117

# المبادئ والقيم في التربية الإسلامية

د . محمد جميل بن علي خياط

أستاذ التربية الإسلامية والمقارنة

جامعة أم القرى

والمدير الأسبق للجامعة الإسلامية بالنيجر

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

خياط ، محمد جميل بن علي

المبادئ والقيم في التربية الإسلامية - مكة المكرمة .

٢٢٢ ص : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ١٠٦-٢-٠٣-٩٩٦٠

أ- العنوان

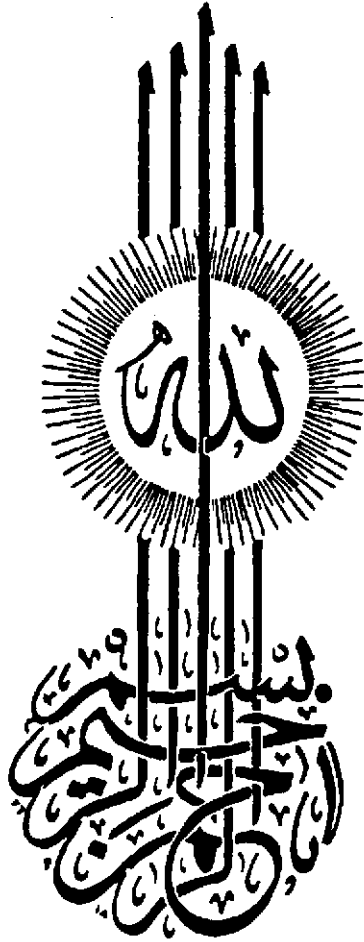
١- التربية الإسلامية

١٦ / ٢٩٨٧

ديوي ١، ٣٧٧

رقم الإيداع : ١٦ / ٢٩٨٧

ردمك ١٠٦-٢-٠٣-٩٩٦٠



قال تعالى:

﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من  
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾

[سورة النساء الآية: ٨٢]

## المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
١١	المقدمة
	<b>الفصل الأول</b>
١٥	- تحديد المفاهيم
١٧	- تمهيد
١٨	أولاً : شرح لمفهوم المبادئ ومرادفاتها
١٨	١ - المبادئ
٢٢	٢ - الأسس
٢٤	٣ - القواعد
٢٥	٤ - الأصول
٢٧	ثانياً : شرح لمفهوم القيم ومرادفاتها
٢٧	١ - القيم
٣٥	٢ - الاتجاهات
٣٧	٣ - الأعراف
٣٩	٤ - العادات
٤٠	٥ - التقاليد
٤٢	ثالثاً : الفرق بين المبادئ والقيم
٤٤	رابعاً : المبادئ والقيم في التربية
٤٦	خامساً : أهمية دراسة المبادئ والقيم ومكانتهما في التربية الإسلامية
٥٣	- المصادر الرئيسية في البحث
٥٥	- مراجع الفصل الأول
	<b>الفصل الثاني</b>
٥٩	- خصائص ومميزات المبادئ والقيم في التربية الإسلامية
٦١	- تمهيد

## تابع المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
٦٢	١ - الربانية
٦٤	٢ - الإنسانية « الشفقة والرحمة »
٦٩	٣ - الواقعية والمثالية
٧١	٤ - العدالة والمساواة
٧٥	٥ - الايجابية السوية
٧٧	٦ - الشمول والتكامل
٨٠	٧ - التوسط والاعتدال
٨٢	٨ - الاستمرار والتجديد
٨٣	٩ - الوضوح وعدم التناقض مع الدقة والإعجاز
٨٤	١٠ - المرونة والثبات
٨٥	١١ - الدعوة الى العلم
٩٢	- مراجع الفصل الثاني
	<b>الفصل الثالث</b>
	- دراسة المبادئ والقيم التربوية الإسلامية من خلال التصور الإسلامي للإنسان
٩٣	- تمهيد
٩٥	أولاً : مبادئ وقيم تربوية ترتبط بأصل الإنسان وتكوينه .
٩٧	- خلق الإنسان في القرآن والسنة
٩٨	مكونات الإنسان في القرآن والسنة ( الجسم ، الروح ، النفس ، العقل ، القلب )
١٠٤	- أصل الإنسان وتكوينه في فلسفات مختلفة
١٢٣	ثانياً : مبادئ وقيم تربوية ترتبط بوظيفة الإنسان المسلم
١٢٨	١ - مبادئ وقيم تربط المسلم بخالقه سبحانه وتعالى
١٣١	

## تابع المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
١٥١	٢ - مبادئ وقيم تربوية تربط المسلم بالآخرين
١٥٥	أ - مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفته زوجاً
١٦٢	ب - مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفتها زوجة
١٧٠	ج - مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفته والداً
١٧٨	د - مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفته ولداً
١٨١	هـ - مبادئ وقيم تربوية من خلال علاقته بغير أفراد أسرته
١٨٩	و - مبادئ وقيم تربوية من خلال علاقته بغير المسلمين
١٩٤	- مراجع الفصل الثالث
	<b>الفصل الرابع</b>
١٩٧	مبادئ وقيم تربوية من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة
١٩٩	- تمهيد
٢٠٠	أولاً : مبادئ وقيم تربوية عامة
٢٠٥	ثانياً : مبادئ وقيم تربوية ترتبط بالعالم المشهود
٢٠٦	١ - عالم الحيوان
٢١٣	٢ - عالم النبات
٢١٨	٣ - عالم الجماد
٢٢٣	ثالثاً مبادئ وقيم تربوية ترتبط بعالم الغيب
٢٢٣	١ - مبادئ وقيم حول مفهوم الغيب
٢٢٨	٢ - مبادئ وقيم حول عالم الملائكة
٢٣٤	٣ - مبادئ وقيم حول عالم الجن
٢٤٢	- مراجع الفصل الرابع
	<b>الفصل الخامس</b>
٢٤٣	- سمو المبادئ والقيم في التربية الإسلامية

## تابع المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٥	- تمهيد
٢٤٧	- دلالات التميز للمبادئ والقيم الإسلامية
٢٤٧	أولاً : ما جاء في العبادات
٢٤٧	١ - الصلاة
٢٥٣	٢ - الزكاة
٢٥٧	٣ - الصوم
٢٦٢	٤ - الحج
٢٦٥	ثانياً : ما جاء في المعاملات والأخلاق
٢٦٥	١ - نماذج من الحياة الاجتماعية
٢٨٥	٢ - نماذج من الحياة الاقتصادية
٢٩٤	٣ - نماذج من الحياة السياسية
٣٠٠	- مراجع الفصل الخامس
	<b>الفصل السادس</b>
٣٠٣	- تأصيل المبادئ والقيم التربوية المعاصرة
٣٠٥	- تمهيد
٣٠٦	- مفهوم التأصيل
٣٠٧	- قوة تأثير المبادئ والقيم في سلوك الفرد والجماعة
٣٠٨	- مبدأ الوساطة بين الزوجين للتوفيق والإصلاح
٣٠٩	- مبدأ التخطيط الاجتماعي
٣١٣	- مبدأ مراعاة الفروق الفردية للمتعلم
٣٢٠	- مبدأ التعليم المستمر أو التربية المستمرة
٣٢٤	- مبدأ التعليم الذاتي
٣٢٨	- مفهوم الحرية في الإسلام
٣٣٢	- مراجع الفصل السادس



## المقدمة

الحمد لله الذي جعل المبادئ والقيم في التربية الإسلامية أسمى وأجل من غيرها لاشتقاقها من القرآن والسنة، فهي من لدن حكيم خبير، لا تخفى عليه في خلقه خافية: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك آية: ١٤]. والصلاة والسلام على البشير النذير الذي لا ينطق عن الهوى وعلى آله وصحبه ومن بهديه اقتدى. وبعد:

فمما لاشك فيه أن المبادئ والقيم يُؤدِّيان واجباً هاماً في تقدم الأمم وازدهارها أو تخلفها وانهارها.. فاذا كانت المبادئ والقيم صحيحة أثمرت ثمرة حسنة كالمبادئ والقيم الإسلامية التي أثمرت وتثمر السعادة في الدنيا والآخرة، وان كانت سيئة ومناقضة للفطرة الإنسانية كالمبادئ والقيم الشيوعية التي تقوم على الإلحاد أثمرت شقاء وتعاسة ونهاية سيئة وتبرأ منها أتباعها كما تبرأ أصحاب النار يوم القيامة ممن كانوا يتبعون في الدنيا. قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْلَمُ لَأَنبَرُوا مَعَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية: ١٦٧].

كما تتضح لنا أهمية المبادئ والقيم التربوية بالذات اذا ما نظرنا الى فشل الفلسفات والنظريات التربوية المعاصرة في تربية الإنسان وبناء المجتمعات الإنسانية الصحيحة، ولاشك أن فشلها يعزى الى اعتمادها على مبادئ وقيم من صنع البشر أخفقت في توفير الأمن والطمأنينة والسعادة للإنسان، وهامي الأخبار ترد الينا يوميا من الشرق والغرب بجرائم الانتحار لمشاهير الرجال والنساء ممن توفرت لهم كل أسباب وسبل الرفاهية الدنيوية ولكنهم فقدوا السعادة الحقيقية حيث عاشوا في خواء وفراغ روحي ونفسي بسبب المبادئ

والقيم التي اعتنقوها وآمنوا بها، كما تطالعنا الأخبار بالجرائم الخلقية والفساد العام في المؤسسات التعليمية غير الإسلامية حتى ظهرت هناك آراء تطالب بالغاء المدارس النظامية في تلك المجتمعات. راجع كتاب: مجتمع بلا مدارس، د. يوسف نور عوض، د. محمد جميل علي خياط (مترجم).

والحق فان ذلك لأكبر دليل على فشل تلك النظم في تربية الإنسان، وعليه فان سر نجاح التربية الإسلامية يكمن في احتوائها لتلك المبادئ والقيم التي سار عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم في تربية الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار، رجالا ونساء، شبابا وشيبا، الذين كانوا بحق أفضل رجال ونساء ذكروا في التاريخ. فهذه المبادئ والقيم نقلت الرعيل الأول من مجتمع البداوة الذي سيطر على أفراد الجهل والفساد الى مجتمع متحضر حمل أفراد النور الى أرجاء المعمورة فملأوها عدلا ونورا بعد أن كانت قد ملئت ظلما وجورا.

وما هذا الضعف والتخلف الذي يعيشه العالم الاسلامي اليوم الا بسبب ابتعاده عن المبادئ والقيم الإسلامية الصحيحة - التي وضعها لنا خالقنا ورازقنا والعالم بأحوالنا - واعتناقه لمبادئ وقيم وضعها الإنسان الفاني الضعيف فأدت بنا الى التشتت والضياع والتمزق والفرقة والذلة والمهانة فأصبحت الأمة الإسلامية أمما وشعبا تعيش أسوأ فترة في حياتها، ويكفيها ذلا ومهانة وعارا ما يواجهه المسلمون اليوم في فلسطين والبوسنة والهرسك وفي أرمينيا وأذربيجان والصين وكشمير والهند وأريتريا والفلبين... وغيرها كثير بل وفي داخل الدول الإسلامية نفسها من مشكلات وويلات.

ولا خلاص للأمة الإسلامية من كل هذا الا بالعودة الى مبادئها وقيمها الإسلامية الصحيحة الخالدة، متمسك بها وتطبيقها في جميع شؤون حياتها

لاسيما في مجال التربية والتعليم فتربى الأجيال عليها لتعود القيادة اليها من جديد وما ذلك على الله بعزيز.

لذا كان لزاما علينا دراسة تلك المبادئ والقيم وصقلها و ابرازها والتذكير بها، ومن هذا المنطلق خطرت لي فكرة تأليف هذا الكتاب منذ عام ١٤٠٢هـ عندما توليت تدريس مقرر المبادئ التربوية في الكتاب والسنة، وهو أحد مقررات مرحلة الماجستير في تخصص أصول التربية الإسلامية بقسم التربية الإسلامية والمقارنة في كلية التربية - جامعة أم القرى.

كما لمست حاجة الطلاب والطالبات الى مرجع متخصص يضم شتات المادة العلمية للمقرر.

وهناك دافع آخر لهذه الدراسة وهو تصحيح مفاهيم بعض الذين خلطوا بين مفهومي المبادئ والقيم فيرون أنهما شيء واحد. في حين أن اللفظين وان كانا قريبين في المعنى الا أنهما مختلفان في التعريف الاجرائي، فهما يشبهان مفهومي التربية والتعليم، اذا اجتماعا تفرقا في المعنى، واذا تفرقا اجتماعا.. ولعل هذه الدراسة توضح ذلك ان شاء الله.

وقد توخيت في هذا البحث السهولة والايجاز، ولم أقصد الاستقصاء والاستيعاب، واسترشدت في تبويب مادته العلمية بالمباحث التي حددتها في تدريسي للمقرر، وقد أضفت موضوع القيم الى مباحث المقرر لأنه مكمل ومتمم لدراسة المبادئ، فجعلت هذا المؤلف في ستة فصول ومقدمة، كما خصصت مقدمة لكل فصل. وذكرت مراجع كل فصل في نهايته وقد شاء الله تعالى لهذا الكتاب بالظهور وأن يرى النور بعد أن أمضى فترة طويلة قابعا في الملفات في أدراج مكتبي المتواضعة وكنت بين الفينة والفينة - طوال هذه الفترة - أرجع اليه بالتعديل حذفًا واطافة حتى برز في شكله الحالي، فعسى أن يكون مرجعا مفيدا لطلاب وطالبات أصول التربية الإسلامية ولكل باحث وقارئ في هذا المجال.

وحسب علم الباحث تعد هذه الدراسة الأولى من نوعها، حيث لم تصدر أية دراسة بعنوان: المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، بل صدرت دراسات معدودة عن القيم دون المبادئ لكتاب عرب ومسلمين إلا أن معظمها تناول الموضوع من وجهة نظر غربية ماعدا كتاب د.علي خليل أبي العينين: (القيم الإسلامية والتربية). كما ظهرت بعض الدراسات عن المبادئ في التربية إلا أنها لم تكن عميقة ولم تركز على ماجاء أساساً في الكتاب (القرآن الكريم) والسنة. والملاحظ أن الغربيين اهتموا بدراسة القيم على الرغم من فقر خزائنها لاسيما القيم الخلقية، ولم يهتم بها المسلمون على الرغم من أنهم يملكون الكنوز الدفينة من المبادئ والقيم. وقد قصدت ورجوت بعلمي هذا وجه الله سبحانه وتعالى طمعاً في أجره وثوابه، وأحسب هذا الجهد مشاركة متواضعة في مجال تأصيل الفكر التربوي والإشادة بما لدينا من معين لا ينضب في مجال التربية يغنينا عن التخبط في متاهات النظريات الوضعية، واني لموقن أنه مامن عمل يعمله الإنسان اليوم الا ويود في الغد لو أنه استقبل من أمره مااستدبر ليلبلغ به من الجودة والحسن ما لم يكن قد بلغه بالأمس، كما أتي موقن بأن الكمال لله وحده وأن ملاحظات زملائي وطلابي والقراء عامة ستفيدني ان شاء الله في تعديل الكتاب وتنقيحه مستقبلاً.

وفي الختام أسأله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بالقرآن الكريم مصدر القيم والمبادئ الإسلامية ومصدر كل خير وأن يجعله ربيع قلوبنا ونور صدورنا وذهاب همومنا وأحزاننا وشفاء لنا من كل داء، وأن يرزقنا فهمه وحفظه وتلاوته والعمل به.. وأن يوفقنا للاقتداء والالتزام بسنة المصطفى صلى اله عليه وسلم وأن يعمر قلوبنا بحبه انه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المؤلف

د. محمد جميل بن علي خياط

## الفصل الأول تحديد المفاهيم

**تمهيد:**

**أولاً: شرح لمفهوم المبادئ ومرادفاتها:**

- ١ - المبادئ.
- ٢ - الأسس.
- ٣ - القواعد.
- ٤ - الأصول.

**ثانياً: شرح لمفهوم القيم ومرادفاتها:**

- ١ - القيم.
- ٢ - الاتجاهات.
- ٣ - الأعراف.
- ٤ - العادات.
- ٥ - التقاليد.

**ثالثاً: الفرق بين المبادئ والقيم.**

**رابعاً: المبادئ والقيم في التربية.**

**خامساً: أهمية دراسة المبادئ والقيم ومكانتهما في**

**التربية الإسلامية.**



## تمهيد:

من بين المقومات الرئيسة لفهم أي علم من العلوم وضوح مصطلحاته، لذا نجد العلماء المشتغلين بهذا العلم يتفقون على مفهوم ومدلول عام لمجموعة المصطلحات التي يستخدمونها في وصف وتفسير الظواهر والحقائق التي تدخل في نطاق تخصصهم العلمي، وأصبح من العرف والتقليد العلمي أن يقوم الباحثون في العلوم المختلفة بتحديد مدلولات الألفاظ والمصطلحات التي يشيع استخدامها في كتاباتهم وأحاديثهم في بداية بحوثهم أو دراساتهم. واهمال الباحثين المشتغلين بعلم من العلوم تحديد مصطلحاتهم يؤدي الى عدم الوضوح وسوء التفسير والفهم لأبحاثهم ونتائجها، كما يترتب عليه اعطاء الفرصة لغير المتخصصين للخوض في ما بينهم. ولما كانت بعض المصطلحات التربوية متداخلة في مفهومها ومدلولاتها وجب علينا بادىء ذي بدء توضيح مفهوم المصطلحات المستخدمة في هذه الدراسة حتى يدرك القارئ المعنى الذي تقصده وبالتالي فهم الموضوع واستيعابه .

وتجدر الإشارة هنا الى أن مفهوم ومدلول الكلمة (أو المصطلح) يتأثر بالمصدر الذي اشتقت منه وبالموضوع الذي وردت به وبالسياق اللغوي الذي أتت فيه وبالبيئة التي نشأت فيها أو تنتمي إليها.. فان كان عقل الإنسان هو المصدر في تحديد مفهوم ومدلول الكلمة أو (المصطلح) فلا شك أننا نجد التفاوت والاختلاف بل التناقض، وعلى العكس من ذلك ان كان المصدر في ذلك هو القرآن الكريم والسنة النبوية فنجد الثبات والوضوح والكمال في المعنى والمدلول.

وعليه فان المسلمة الأساسية في تحديد معاني الكلمات أو المصطلحات في هذه الدراسة هي: ان كنا ننظر الى الكلمة أو المصطلح برؤية اسلامية أي على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة والاجماع والقياس فان المعنى يكون واضحا

ودقيقا وكاملا، وعلى العكس ان نحن أخذنا بما جاء به العقل البشري في تحديد المفهوم فسيكون هناك تفاوت واختلاف وتناقض.

## أولا: شرح لمفهوم المبادئ ومرادفاتهما:

### ١. المبادئ: Principle

**التعريف اللغوي:** المبادئ جمع مبدأ. ومبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها (كالنواة مبدأ النخلة) أو يتركب منها ك (الحروف مبدأ الكلام). (مصطفى وآخرون، ص ١/١٦٧)\* ويقال مبدأ كذا للدلالة على نقطة البدء فيما يقابل منتهى. (جمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي: ص ١٦٧).

وقد جاء في لسان العرب: بدأت الشيء أي فعلته ابتداء.. والبدء: الأول، ومنه قولهم: افعله بادىء بدء. (ابن منظور: ص ١٧٠)

ولم يرد لفظ مبادئ أو مبدأ في القرآن الكريم وإنما وردت مشتقاته في خمسة عشر موضعا في القرآن الكريم كلها تدور في معنى مبدأ الشيء وأوله ومادته التي يتكون منها.

ورد لفظ (بدأ) في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى: ﴿بِأُوعِيْتَهُمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ [سورة يوسف الآية: ٧٦]، ﴿قَلَّ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [سورة العنكبوت الآية: ٢٠].

وورد لفظ (بدأكم) في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ٢٩].

---

\* لم يستخدم الهامش لكتابة المصادر والمراجع بل ذكرت بعد الآية أو الحديث أو الجملة أو الفكرة المقتبسة. ففي الآيات القرآنية ذكر بعد اسم السورة والرقم بعدها يشير إلى رقم الآية. وفي المصادر والمراجع الأخرى إكتفينا بذكر الاسم الأخير للمؤلف ورقم الصفحة، وإن كان للمؤلف أكثر من كتاب في قائمة المراجع يذكر اسم الكتاب. حيث كتبت المعلومات الأخرى في قائمة المراجع فيمكن الرجوع إليها عند الحاجة.



وورد لفظ (بدؤوكم) في قوله تعالى: ﴿وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة﴾ [سورة التوبة الآية: ١٣].

وورد لفظ (بدأنا) في قوله تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين﴾ [سورة الأنبياء الآية: ١٠٤].

وورد لفظ (يبدأ) في ستة مواضع منها قوله تعالى: ﴿انه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ [سورة يونس الآية: ٤]، ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ [سورة يونس الآية: ٣٤].

وورد لفظ (يبدىء) في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى: ﴿أو لم يروا كيف يُبدىء الله الخلق ثم يعيده﴾ [سورة العنكبوت الآية: ١٩]، ﴿قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ [سورة سبأ الآية: ٤٩].

### ومن التعاريف اللغوية نستشف مايلي:

- ١ - المبدأ هو: بداية فعل الشيء.
- ٢ - المبدأ هو: شيء مفضل وليس شيئاً مستكراً.
- ٣ - المبدأ: يتجزأ الى مفاصل صغيرة ثم أكبر ثم أكبر.
- ٤ - المبدأ: شيء بذهي يدركه الإنسان دون كبير عناء.

وعليه يمكن القول: إن مبادئ العلم أو الفن أو القانون: قواعد الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها. (مصطفى وآخرون، ص ٤٢). وهذا هو المعنى الشائع لكلمة المبدأ عند الاطلاق كما في عناوين كثير من الكتب كمبادئ الرياضيات ومبادئ علم الاقتصاد ومبادئ الجغرافيا ومبادئ علم النفس... أي القواعد والمنطلقات لتلك العلوم.

وتعبر كلمة المبدأ في استعمالها اليوم عن الفكرة العامة الشاملة التي تنبثق عنها أفكار فرعية تنظم على ضوئها عمليات فيزيائية أو كيميائية أو تربوية أو

علاقات اجتماعية، وقد تأتي تلك المبادئ مصرحا بها بوضوح، كما تأتي مضمنة في الأبحاث والأفكار. (النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص ٥٥).

### **المفهوم الفلسفي للمبادئ: Principies Rationnels**

(جملة الحقائق البديهية بذاتها التي تستند إليها جميع الاستدلالات) ولها

سمات جوهرية هي:

- ١ - كلية وصادقة على جميع الأشياء.
  - ٢ - ضرورية بمعنى أنها تفرض نفسها على الذهن ولا يمكن نقضها.
  - ٣ - أولية: تسبق التجربة (بجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي: ص ١٦٥).
- والمبادئ هي التي لا تحتاج إلى برهان لاثباتها بخلاف المسائل فإنها تثبت بالبرهان القاطع. (الجرجاني: ص ٢٥٠).

### **المفهوم التربوي للمبادئ:**

إذا أردنا مفهومًا تربويًا شاملًا للمبادئ ويدخل في مضمونه أفكار التعريفين اللغوي والمنطقي أو الفلسفي فلا بد أن يشمل المزايا التالية:

- ١ - البداية (الأسبقية).
- ٢ - إمكانية التجزء والتجمع.
- ٣ - إمكانية ادراك المبدأ بالبديهة.
- ٤ - كون (المبدأ) شيئًا فاضلاً ومرغوباً عند معتنقيه.
- ٥ - كون (المبدأ) سنداً لغيره من الأعمال (تسند إليه جميع الاستدلالات).
- ٦ - كون (المبدأ) صادقاً وغير قابل للنقض.

وقد وردت تعاريف عديدة لمصطلح المبادئ في المجال التربوي منها:

المبدأ: قاعدة تنظم السلوك.

المبدأ: فكرة عامة شاملة تنبثق عنها أفكار فرعية أو تنظم على ضوئها العمليات التربوية. أما في مجال التربية الإسلامية فيمكن القول: ان المبادئ هي: القواعد الأساسية والمنطلقات العامة التي تكون في مجموعها التربية الإسلامية أو المنهج التربوي الإسلامي. أو هي: مجموعة القواعد والأسس والأفكار المستنبطة أساساً من القرآن والسنة والتي تقوم عليها النظرية التربوية في الإسلام أو المنهج التربوي الإسلامي. ومن أمثلة المبادئ التربوية التي تستنبط من القرآن والسنة مايلي:

أ - فرضية التعليم على كل مسلم قادر. (ضرورة نشر العلم وتعليم الناس).

ب - فرضية طلب العلم على كل مسلم.

ج - التربية الذاتية.

د - تكافؤ الفرص في التعليم أو التكافل الاجتماعي.

هـ - الاستمرارية في طلب العلم.

و - الرفق بالمتعلم.

ز - وجوب تعلم العلم النافع والعمل به. (التطبيق العملي).

ح - مجانية التعليم.

ط - حرية التعليم في حدود تعاليم الشريعة وأن يكون العلم موجهاً لما يرضي الله تعالى.

ي - مراعاة استعداد المتعلم وقدرته الاستيعابية والادراكية.

ك - الربط بين النظرية والتطبيق.

ل - تكوين الاتجاهات بعد: الفهم واستيعاب المعلومات.

م - التعزيز من خلال الاستفسار والمراجعة.

ن - تسهيل العملية التعليمية وتيسير حصولها.

يتضح من الأمثلة السابقة أن التربية الإسلامية جاءت بمبادئ لم توفق الحضارات المعاصرة الى تحقيقها في عالم الواقع، بل جاءت بديل لها ولكن ليس في عمق مضمونها ومفهومها، ويظهر لنا ذلك بوضوح اذا مدارسنا مبادئ المدارس الفلسفية التربوية المختلفة.

ومن خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية للفظ (المبادئ) يظهر لنا ترادف بعض الألفاظ مثل: الأسس، القواعد، الأصول. فنجد أنها جميعا تشترك في معنى واحد وان كان لكل منها تعريف خاص، وفيما يلي استعراض لمفهوم تلك الألفاظ المرادفة في المعنى للفظ المبادئ.

### ٣. الأسس : Foundation

**المفهوم اللغوي:** توضح لنا معاجم اللغة أن كلمة (الأسس) جمع للكلمتين: أساس، أس والأساس هو: أصل البناء وقاعدته، أي ما اتصل منه بالأرض. (البستاني: مادة أسس). وأساس كل شيء أصله الذي يقوم عليه ومنشؤه الذي ينبت منه، وأس الإنسان أصله، وقيل: قلبه لأنه أول متكون في الرحم، وقيل: هو أصل كل شيء فيقال: أسست الدار اذا بينت حدودها ورفعت قواعدها. (ابن منظور: ج ٦، ص ٦٠).

وقد وردت مشتقات كلمة أساس ثلاث مرات في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿...لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه. فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهّرين. أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [سورة التوبة الآية: ١٠٨ - ١٠٩]. أسس هنا بمعنى: بنى قواعد.

**المفهوم الاصطلاحي العام:** انتقل مفهوم الكلمة عبر تطورها من معناها

الأصلي المادي حتى أصبحت تطلق على المعاني المعنوية فيقال مثلا: أساس الفكرة، وأساس البحث، والتعليم الأساسي (مصطفى وآخرون: ص ١٧).

**المفهوم الفلسفي:** جاء في المعجم الفلسفي تعريف لمفهوم الأساس

على أنه: مبدأ تعتمد عليه - عملا أو نظرا - طائفة من الظواهر أو القضايا، فأساس الاستقراء هو المبدأ الذي بمقتضاه يكون الانتقال من الواقع الى القوانين ممكنا ومشروعا، وأساس الأخلاق هو المبدأ الذي تستمد منه القوانين الأخلاقية في مذهب فلسفي معين. (مجمع اللغة: ص ١٠). ويلاحظ هنا ترادف مصطلحي الأساس والمبدأ.

وإذا ما استعرضنا التعاريف اللغوية والفلسفية للمصطلح استطعنا الخروج

بتعريف شامل للأسس يتضمن المعاني التالية:

- بداية الشيء.

- التأصيل للأشياء المبحوثة.

- التحديد للجدور أو الأصول.

- الشمولية أو الاتساع لأكثر من قضية.

فالأساس هو: الأصل العام الذي يقوم عليه الشيء ويرتكز عليه كالنبات

والبناء في الماديات، والأفكار والأحكام في الأمور المعنوية.

من خلال التطبيقات لهذا المفهوم يتضح لنا معناه بشكل أكبر ومثال ذلك

أن يقال: الأسس التربوية أو أسس التربية، ويقصد بها: المرتكزات

والدعامات التي تقوم عليها التربية وتشتق منها كالأسس النفسية، والأسس

الاجتماعية، والأسس الفلسفية، والأسس الثقافية... هذا التصنيف يستخدم في

التربية عامة وهو مشتق من النظرة الغربية أساسا.

أما في مجال التربية الإسلامية فإن الأسس أو الأركان الرئيسة التي تبنى عليها هي: الأسس الاعتقادية، الأسس التعبديّة، الأسس التشريعية، الأسس الفكرية (انظر: النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، الفصل الثالث).

### ٣. القواعد: Rules

**التعريف اللغوي:** القواعد جمع قاعدة، وتجمع أيضا على قاعدات، والقاعدة اسم فاعل مؤنث، وأول ما أطلقت كلمة (القواعد) كانت تخص الأمور المادية، كقواعد البناء والأساس الذي يقوم عليه كل شيء ومن ذلك قواعد البيت، وقواعد الهودج. ويقال: قاعدة البلاد أي عاصمتها. (البيستاني: مادة "ق ع د"، ص ٧٤٧). وتطلق القاعدة لغة ويراد بها كما تذكر المعاجم: الضابط، وهو الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته. وفي هذا المعنى ورد تعريف الجرجاني "القاعدة: قضية كلية منطبقة على جزئياتها" (الجرجاني: ص ١٧١).

والقاعدة يراد بها: الأصل والقانون. (البيستاني: مادة قعد: ص ٧٤٧). وورد لفظ القواعد في القرآن الكريم على سبعة أوجه كما نص على ذلك (الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز: ج ٤، ص ٢٨٥). منها قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل...﴾ [سورة البقرة الآية: ١٢٧]، وقوله: ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد...﴾ [سورة النحل الآية: ٢٦] ومعنى القواعد في الآيتين هو أساس البناء.

**التعريف الاصطلاحي:** للقاعدة في الاصطلاح معانٍ عديدة بحسب العلم

أو الفن، نستعرض بعضها منها:

١ - عند علماء الأصول والنحو يراد بالقاعدة: "حكم كلي ينطبق على

جميع جزئياته لتعرف أحكامها منه". ومثالها عند الأصوليين: الأمر إذا جرد عن

القرائن أفاد الوجوب. ومثلها عند النحاة: الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب... الخ.

٢ - أما الفقهاء فيعرفون القاعدة على أنها: "حكم أعلي ينطبق على معظم جزئياته لتعرف أحكامها منه". ومن ذلك قواعد الفقه الكلية ومنها: الأمور بمقاصدها، والمشقة تجلب التيسير... الخ. ويطلق على مثل هذه القواعد في الاصطلاح الثانوي اليوم: المبادئ. (البورنو: ص ١٣، ١٤). وقد تعرف القاعدة في اصطلاح العلوم غير الشرعية بما يشبه معناها عند علماء الشريعة، ويقصد بالقواعد في علم البحث (الاستقصاء) أنها: صيغة تنظم سلوكا أو عملا أو تفكيرا أو بحثا، ومنه قواعد السلوك وقواعد المنهج (بجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، ص ١٤٤).

ومن هذا المفهوم لكلمة القاعدة انطلقت كتابات بعض التربويين كـ(عبدالله علوان) في كتابه: تربية الأولاد في الاسلام، عندما ذكر قواعد تربية الأولاد في قاعدتين هما: قاعدة الربط الاعتقادي والخلقي و... الخ، وقاعدة التحذير (علوان: ج ٢، ص ٧١٨).

باستعراض التعاريف السابقة لمفهوم القاعدة يتضح أنها جميعا تلتقي في معنى واحد هو: الأساس الذي يرجع اليه أو يقام عليه. فالقاعدة بمعنى "الضابط" أي الأساس الذي يرجع اليه. والقاعدة في البناء هي الأساس الذي يقام عليه. فقواعد التربية الإسلامية بهذا المفهوم هي: الكتاب والسنة والاجماع والقياس.

#### ٤. الأصول: Roots

**التعريف اللغوي:** الأصول جمع أصل، وهو في اللغة ما يبنى عليه غيره. (الجرجاني: ص ٢٨) وجاء في المعجم الوسيط أن أصل الشيء أساسه

الذي يقوم عليه، كما ورد في المعجم نفسه في معنى الفعل (أصل) الشيء أصلاً أي: استقصى بحثه حتى عرف أصله، وأصل الشيء جعله أصلاً ثابتاً يبنى عليه (مصطفى: مادة (أصل) ص ٢٠).

وبالنظر في كتاب الله نجد أن كلمة (أصل) قد وردت في ثلاثة مواضع: في قوله تعالى: ﴿انها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ [سورة الصافات الآية: ٦٤]، وقوله: ﴿..كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء...﴾ [سورة ابراهيم الآية: ٢٤]، وقوله: ﴿ماقطعتن من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله..﴾ [سورة الحشر الآية: ٥]. وهي في الآيات الثلاث بمعنى: أساس الشيء الذي يقوم عليه.

**التعريف الاصطلاحي:** استعمل العلماء كلمة أصل في معانٍ كثيرة

منها:

١ - الأصل: هو مايقابل الفرع مثل: الأب أصل والولد فرع له.

٢ - الأصل: بمعنى الراجح مثل: الحقيقة أصل للمجاز أي راجحة عليه والقرآن أصل للقياس.

٣ - الأصل: بمعنى المستصحب مثل: الأصل الطهارة لمن كان متيقناً منها ويشك في الحدث، أي تستصحب الطهارة حتى يثبت عكسها.

٤ - الأصل: بمعنى القاعدة التي تبنى عليها المسائل مثل: بني الاسلام على خمسة أصول.

٥ - الأصل: بمعنى الدليل وهو ماتعارف عليه الفقهاء وعلماء الأصول مثل قولهم: أصل هذا الحكم من كتاب الله آية كذا ومن السنة حديث كذا (انظر: الزحيلي، ص ١٦٥).



وأصول أي علم من العلوم كما جاء في المعجم الوسيط: هي قواعد التي تبنى عليها الأحكام والنسبة اليها (أصولي). (مصطفى: مادة "أصل"، ص ٢٠).  
فمثلا يقال: أصول الفقه، ويقصد بها: مجموعة القواعد العامة التي تستخدم في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية (الأشقر: ص ٧). وهكذا يقال في أصول التربية الإسلامية، فهي القواعد العامة التي تبنى عليها نظرية التربية الإسلامية المستمدة أساسا من الكتاب والسنة.

## ثانيا: شرح لمفهوم القيم ومرادفاتهما:

### ١. القيم: Values

تقوم القيم بوظيفة كبيرة في حياة الأمم والشعوب، فتقدر مكانة الأمة وعظمتها بمقدار تمسكها بقيمها، كما أن من عوامل نهضة أمة محاولاتها وسعيها الدؤوب لربط أجيالها بالقيم التي تؤمن بها.. والاضاعت الأجيال وافترقت بهم الطرق.. ومن هنا تنبع أهمية القيم وأهمية دراستها.  
ومفهوم القيم كان ولايزال محورا لخلافات أساسية بين المدارس والمذاهب الفلسفية فمعناها يتفاوت تفاوتا كبيرا بينهم، بينما يرى بعضهم في معنى القيم رأيا ما؛ يرى آخرون رأيا يناقضه (اسكندر وآخرون: ص ٣). كما أن القيم هي موضوع التربية، وهي في الوقت نفسه موضوع كل انسان وكل جانب من جوانب الحياة، كما أن القيم هي كذلك موضوع العلوم الإنسانية والطبيعية على سوا. (حسين: ص ٣١٧).

### المفهوم اللغوي: القيم مفردا قيمة، وهي اسم هيئة من: قام الشيء

بكذا يعني كان ثمنه المقابل له كذا. ويذكر ابن منظور أن القيام يأتي بمعنى المحافظة والملازمة، كما يأتي بمعنى الثبات أو بمعنى الاستقامة، فيقال: أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام... والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم فيقال: كم

قامت ناقتك؟. أي كم بلغت؟. وفي الحديث: قالوا: يا رسول الله لو قومت لنا فقال: الله المقوم - أي لو سَعَرَت لنا. (ابن منظور: ص ١٩٣).  
ثم تطورت الكلمة لتستعمل بمعنى القدر والمنزلة، وهو انتقال من دلالة مادية الى دلالة معنوية عما في الأشياء من خير وجمال أو صواب (علوان: القيم الضرورية وتعاصر التشريع الإسلامي ص ٩١).

وقد وردت مشتقات اللفظ في مواضع عديدة في القرآن الكريم بلغت مائتين وثمانية وسبعين موضعاً، جاء لفظ القيامة منها في سبعين موضعاً. وجاء اللفظ بمعان مختلفة منها:

١ - العزم: قال تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾ [سورة الجن الآية: ١٩].

٢ - الاصلاح والمحافظة: قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ [سورة النساء الآية: ٣٤].

٣ - التوحيد والايان والعمل بطاعته: قال تعالى: ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ [سورة الإسراء الآية: ٩]. قال الزجاج: معناه للحالة التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله وشهادة أن لا اله الا الله والايان برسله والعمل بطاعته. (القرطبي: ج ١٠، مجلد ٥، ص ٢٢٥).

٤ - الاستقامة على سنن العدل: قال تعالى: ﴿كونوا قوامين لله﴾ [سورة المائدة الآية: ٨].

٥ - الملازمة والمداومة: قال تعالى: ﴿ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائماً﴾ [سورة آل عمران الآية: ٧٥].

٦ - الوقوف: قال تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [سورة المطففين الآية: ٦].

٧ - دين الأمة القائمة بالقسط: قال تعالى: ﴿وذلك دين القيمة﴾  
[سورة البينة الآية: ٥].

٨ - مصدر للمقام: قال تعالى: ﴿ان كان كبير عليكم مقامي هذا﴾  
[سورة يونس الآية: ٧١].

٩ - اسم مكان: قال تعالى: ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ [سورة  
البقرة: ١٢٥].

١٠ - القائم الحافظ لكل شيء: قال تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحمي  
القيوم﴾ [سورة طه الآية: ١١١].

١١ - ماخص به الإنسان من جمال وكمال وهيئة حسنة: قال تعالى:  
﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [سورة التين الآية: ٤]. اشارة الى  
ماخص به الإنسان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على  
كل ما في هذا العالم.

١٢ - لزوم المنهج الصحيح وذلك بعدم الطغيان الذي هو بمجاوزة الحدود  
وهذه هي الاستقامة والاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، قال  
تعالى: ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة...﴾  
[سورة فصلت: ٣٠] (انظر: الفيروز أبادي: ج ٤، ص ٣٠٧-٣١٣).

١٣ - منازل الملائكة، قال تعالى: ﴿وما منا الا له مقام معلوم﴾ [سورة  
الصفات الآية: ١٦٤].

١٤ - كما ورد قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ في مواضع عدة، وهو  
أمر بأداء الصلاة أو مدح لها، وفيه تنبيه بأن المقصود منها توفية شرائطها  
لا الإتيان بهيئاتها فقط.

وفي ضوء المعاني الواردة لكلمة (القيمة) ومشتقاتها في الآيات السابقة وغيرها يمكن القول بأن معنى اللفظ يدور في اطار المعاني التالية - وهناك حالات خاصة استخدم فيها اللفظ لمعان معينة:

١ - الثمن أو القدر.

٢ - المنزلة.

٣ - مايقوم عليه الشيء.

٤ - الملازمة والمحافظة.

٥ - الدوام والثبات.

٦ - الاستقامة.

٧ - العزيمة والرغبة الدافعة الى العمل.

٨ - الاعتدال وعدم الانحراف أو الاحاد والميل.

**المفهوم الاصطلاحي:** الحقيقة التي لايمكن انكارها أن الغربيين اهتموا

بدراسة القيم Values أكثر من المسلمين، لذا نجد أن معظم المفاهيم التي ظهرت عن القيم تمثل وجهة نظر الغرب ونمط معيشتهم وأسلوب حياتهم وصورة لعلاقاتهم الاجتماعية.. وللأسف نجد مجموعة كبيرة من التربويين المسلمين أخذوا بذلك المفهوم في كتاباتهم عن القيم !! ونسوا تماما أننا أمة مسلمة تختلف قيمنا تماما عن أولئك من حيث المصدر والهدف والأسلوب والوسيلة. لذا فقد جاءت معظم تلك التعاريف بحمل الفكر الغربي أو أنها غامضة وتميل الى التعميم ويحتاج القارئ الى جهد كبير ليذكر مضمونها، وسنعرض بعضا منها.

وقد تعددت وجهات النظر في تحديد مفهوم الكلمة مما أدى الى زيادة في

ارباك القارئ أو الدارس بين مفهوم واسع ومفتوح وآخر ضيق محدود.

فهناك من يرى تضييقها في (الاهتمامات والرغبات) غير الملزمة للأفراد والمجتمعات، وآخر يراها واسعة مرادفة للثقافة. (زاهر:ص ١٠). وثالث يرى أنها المعتقدات، ورابع ينظر الى أنها الاتجاهات أو العادات. وفيما يلي استعراض لبعض تلك المفاهيم:

١ - يعرف المعجم الفلسفي القيم بأنها: "أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره، وتحدد سلوكه وتؤثر في تعلمه. فالصدق والأمانة والشجاعة الأدبية والولاء وتحمل المسؤولية.. كلها قيم يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه، وتختلف القيم باختلاف المجتمعات بل والجماعات الصغيرة" (مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي - مادة: قوم).

٢ - يعرف المعجم التربوي القيم بأنها: "مجموعة من القواعد والمقاييس الصادرة عن جماعة ما ويتخذونها معايير للحكم على الأعمال والأفعال ويكون لها قوة الالتزام والضرورة والعمومية ويعتبر أي خروج عليها بمثابة انحراف عن قيم الجماعة ومثلها العليا" (أحمد: المعجم التربوي، ص ١٧٣).

٣ - وجاء في موسوعة المورد بأن القيمة هي: "كل مبدأ أو صفة هو في جوهره قيم أو مرغوب فيه، ومن ذلك مثلا: الصدق والعفة والعدل وغيرها" (البلعكي: ج ١٠، ص ٧٣).

٤ - ويعرف محمد ابراهيم القيم بأنها: "مقياس أو مستوى أو معيار نستهدفه في سلوكنا ونسلم بأنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه، كما يرى أنها مقياس أو مستوى له ثبات أو استمرار لفترة زمنية يؤثر في سلوك الفرد تأثيرا يتفاعل مع مؤثرات أخرى لتحديد السلوك في مجال معين" (كاظم: ص ١٤).

٥ - ويعرفها ضياء زاهر على أنها: "مجموعة من الأحكام المعيارية، المتصلة بمضامين واقعية، يتشربها الفرد خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولا من جماعة اجتماعية معينة، تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته واهتماماته" (زاهر: ص ٢٤).

٦ - ويذكر ماهر محمود بأنها: "مفهوم مجرد ضمني يعبر به الإنسان عن حكمه المفضل على سلوك معين، أو حكمه المفضل في أمر من الأمور في ضوء المبادئ والمعايير التي يضعها المجتمع الذي يعيش فيه" (عمر: ص ١٥٧).

٧ - كما عرفها آخرون بأنها: "مفهوم أو تصور ظاهر أو ضمني يميز الفرد أو خاص بجماعة، لما هو مرغوب فيه وجوبا يؤثر في انتقاء أساليب العمل ووسائله وغاياته" (أبو العينين، ص ٢٧ [نقلا عن جابر عبد الحميد وسليمان الحضري]).

٨ - وعرفها علي خليل بأنها: "مفهوم يدل على مجموعة من المعايير والأحكام، تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته يراها جديرة بتوظيف إمكانياته، وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة" (المرجع السابق: ص ٣٤).

٩ - هناك من يرى القيم مرادفة للاتجاهات: "القيم اهتمامات أو اتجاهات معينة حيال أشياء أو مواقف أو أشخاص، وإن كانت في الحقيقة اهتمامات واتجاهات عامة وليست نوعية أو خاصة" (حسين: ص ٣٠).

١٠ - وهناك من يرى القيم عبارة عن معتقدات: "فيرى أن القيم طبقة هامة من المعتقدات يتقاسمها أعضاء المجتمع الواحد وخاصة فيما يتعلق بما هو

حسن أو قبيح، أو ماهو مرغوب فيه أو مرغوب عنه" انظر: (أبو العينين، ص ٢٥).

باستعراض التعريفات السابقة للقيم وغيرها كثير يتضح مدى التفاوت في النظرة إليها فبعضهم يرى أنها: معيار أو مقياس للسلوك، أو هي رغبات أو اتجاهات أو أهداف، وآخرون لم يفرقوا بينها وبين المبادئ.

وجل تلك التعريفات تنظر إلى القيم أنها تتغير بتغير الظروف والأحوال وأن مصدر القيم هو المجتمع.

والملاحظ على كل تلك التعريفات - كما سبقت الإشارة إليه - أنها لاتعبر عن النظرة الإسلامية، بل إنها تنطلق من النظرة والمفهوم الغربي للقيم Values، وللأسف نجد أن هذا المفهوم الغربي هو السائد في معظم الكتب الصادرة عن القيم في عالمنا العربي والإسلامي - علما بأن الغربيين يطلقون العنان لعقولهم في تقدير الخير والشر أو القيم والجمال، خلافا للمسلمين الذين يحكمون الشرع في ذلك. (راجع: "أبو زهرة": ص ٥٥).

إلا أن هناك نفرا من الباحثين ممن عرف القيم من وجهة نظر إسلامية ومن تلك التعريفات:

**القيم هي:** "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة". (قميحة: ص ٤١).

ويقول آخر: "**القيم هي**" أحد المحددات للسلوك، وهي ضوابط اجتماعية تضبط التفاعلات والعلاقات بين الأفراد، وهي التي تحدد السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب... والدين الإسلامي هو المصدر الأساسي

للقيم والأفكار المختلفة التي تحكم التربية الإسلامية والتي تضبط سلوك الأفراد. والنفس البشرية بفطرتها التي خلق الله الناس عليها تقبل هذه القيم التي جاء بها الدين الإسلامي، وهذه القيم تسير تلك الفطرة وتقويها وتنميها وتزكيها وتهذبها وتنظمها وتسخرها لإصلاح الفرد والمجتمع، ولا ينكر الدين الإسلامي تلك القيم التي تكون نتيجة للتفاعل الاجتماعي ولكن هناك حدود وهناك ضوابط، فلا بد أن تكون القيم متسقة مع شرع الله وألا تصطدم مع ما أمر الله ورسوله وألا تصطدم مع نص شرعي " (مطر: ص ٧٩، ٨٠).

### **هل القيم مطلقة أم نسبية؟**

هناك من يرى أن القيم مطلقة لا يحددها زمان ولا مكان ولا أحوال، وفي المقابل هناك من يرى نسبيتها، أي أنها متغيرة وتختلف من مكان إلى مكان ومن زمان إلى آخر، وهؤلاء يعدّون دعوى أصحاب القيم المطلقة دعوى تعسفية، إذ إن من أخص خصائص الحياة الاجتماعية أنها متجددة ومتغيرة ونامية.

وأصحاب هذه النظرة هم في الغالب من غير المسلمين وقلة ممن تبعهم من المسلمين.

فوجد علماء النفس في دراستهم للقيم يتناولونها في ثلاثة محاور أساسية هي: دراسة الفروق الفردية في القيم ودراسة القيم في علاقاتها بالقدرات المعرفية للفرد واكتساب القيم وارتقاؤها عبر مراحل العمر المختلفة. والمحددات السيكولوجية والاجتماعية المؤثرة في ارتقاء القيم وتغيرها.. (انظر كتاب د. خليفة: ارتقاء القيم).

ولعل الرأي الذي يتفق وطبيعة القيم الإسلامية: أن هناك قيما مطلقة، وهي التي نطلق عليها المبادي أو الأسس والقواعد، وقيما نسبية خاصة فالقيم



الخلقية التي مصدرها وحى الله وشرعه قيم مطلقة عامة وشاملة أي أنها قيمة مهما اختلفت الأحوال والأزمان، وهي تناسب كل إنسان وفي كل مكان وزمان لأن الذي جعلها قيمة هو الذي خلق الإنسان وهو القائل: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [سورة الملك الآية: ١٤]، ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ [سورة الإسراء الآية: ٢٥]، ﴿يعلم مايسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾ [سورة هود الآية: ٥]. فالصدق والعفة والحجاب وبر الوالدين وطاعة ولي الأمر في غير معصية الله قيم مطلقة فالأوامر بها جاءت من عند الله سبحانه وتعالى فلا بد وأن يأخذ بها المسلم في أي زمان ومكان، ولا يصح القول بتطورها وتغيرها باختلاف الزمان والمكان، وإلا أدى ذلك إلى أن يكون حجاب المسلمة في بلادها قيمة، (مبدأ أو أساس أو قاعدة) وبمجرد خروجها وسفرها تتغير هذه القيمة ليحل مكانها التبرج ومدى التزام المرأة بالحجاب وكيفية تطبيقه يعد قيمة يحكم بها.

وهناك قيم اجتماعية يصدرها المجتمع وهي أقرب إلى الاتجاهات والعادات والأعراف منها إلى القيم، ذلك أنها خاضعة للتغير على خلاف القيم الثابتة. فما يراه المجتمع حسنا في وقت قد لا يراه كذلك في وقت آخر، وما اعتاد عليه مجتمع وتعارف عليه قد لا يصلح لمجتمع آخر، فهذه وإن سميها (قيماً) فهي نسبية خاصة متغيرة، ولاغضاضة فيها ولا حرج طالما أنها لا تتعارض مع القيم الخلقية المطلقة أو أنها منطلقة ومنبثقة منها.

### الاتجاهات: Attitude

**المعنى اللغوي:** ورد في معاجم اللغة أن (الجهة) بمعنى الناحية، وجمعها جهات. وذكر ابن منظور: إن وجهة كل شيء مستقبله، وفي التنزيل: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [سورة البقرة الآية: ١١٥]،

وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [سورة الروم: ٣٠]. أي اتبع الدين القيم ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به. وصرف الشيء عن وجهه أي سَنَنِهِ، والوجهة القصد، وتوجه إليه ذهب إليه. وشيء موجه إذا جعل على جهة واحدة لا تختلف، والتوجه الإقبال" (ابن منظور: ج ١٣، ص ٥٥٥-٥٥٨). فالإتجاه إذا يأتي بمعنى وجهة الشيء والإقبال على الشيء والاهتمام به، والمذهب أو الطريق والقصد.

### **المعنى الاصطلاحي:** تستعمل كلمة (إتجاه) في المجال العلمي بمعنى

المذهب الذي يتضمن الاعتقاد والرأي والحكم.

وجاء في معجم العلوم الاجتماعية: الإتجاه "تنظيم نفسي مستقر للعمليات الإدراكية والمعرفية والوجدانية لدى الفرد، يسهم في تحديد الشكل النهائي لاستجابته الصادرة نحو الأشياء والأشخاص والمسميات المعنوية، من حيث إن هذه الاستجابة استجابة بالإقبال أو النفور" (مذكور: ص ٥).

ويعرف علماء النفس الإتجاه بأنه: "استعداد عقلي ناتج عن مجمل خيرات الفرد في الحياة، ويعمل على توجيه استجاباته للمثيرات التي يتعرض لها، سواء كانت أفكاراً أو أشخاصاً أو موضوعات" (عسكر والأنصاري: ص ١٠٥). ويرتبط مفهوم الإتجاه بمفهوم القيمة الاجتماعية، فبمجرد ظهور إتجاه لدى الفرد نحو موضوع معين يعني أن هذا الموضوع أصبح قيمة اجتماعية". (مذكور: ص ٥).

ومن العلماء من يرى أن الإتجاه هو الميل مثل بوجاردوس BOJORDOS الذي يعرف الإتجاه بأنه: "ميل الفرد الذي يدفعه سلوكه تجاه عناصر البيئة الخارجية قريباً منها أو بعيداً عنها متأثراً في ذلك بالمعايير والنظم الموجبة أو السالبة التي تفرضها هذه البيئة" (عبدالرحمن، ص ٤٣٦) وهناك من يفرق بين

الميل والاتجاه، حيث يرى أن الميل يتعلق بما يحبه الإنسان ويفضله بينما الاتجاه يتعلق بما يعتقده ويؤمن بأهميته وقيمته (د. صالح، ص ٣٨١).

### ٣. الأعراف:

مفردتها: عُرْفٌ، والعرف عند العرب في الجاهلية بمثابة القانون حديثاً، إلا أن الإسلام أقر العمل به قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٩٩]، من هذه الآية استدل العلماء على اعتبار العرف أحد مصادر التشريع الإسلامي فيما لم يرد فيه نص، إلا أن بعض العلماء اختلفوا في اعتباره مصدراً مستقلاً، وفي بحثه عن عوامل السعادة ذكر الشيخ القرضاوي أن العرف هو: "ما اعتاده الناس وتواضعوا عليه في شؤون حياتهم، حتى ألفوه واطمأنوا إليه وأصبح أمراً معروفاً سواء كان عرفاً قولياً أم عملياً، عاماً أو خاصاً. وعندما جاء الإسلام كانت للعرب أعراف مختلفة فأقر منها ما كان صالحاً ويتلاءم مع مقاصده ومبادئه ورفض ما ليس كذلك، وأدخل على بعض الأعراف تصحيحات وتعديلات حتى تتماشى مع اتجاهه وأهدافه". (القرضاوي: ص ٨٦).

وعرفه الغزالي بقوله: "العادة والعرف ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول" (الزحيلي: ص ٢١٦).

وفي مجال الشريعة اتفق العلماء على اعتبار العرف الصحيح - غير المخالف لما جاء في الشرع - حجة ودليلاً شرعياً ولكنهم اختلفوا في اعتباره مصدراً مستقلاً قائماً بذاته فقال بذلك الحنفية والمالكية والحنابلة، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٩٩]. فالأمر بالعرف في الآية يدل على وجوب الرجوع إلى

عادات الناس وما جرى تعاملهم له، وهذا يدل على اعتبار العادات في الشرع بنص الآية (الزحيلي: ص ٢٨٨).

ويشترط للعمل بالعرف شرطان: الأول: أن يكون عاماً مستفيضاً بين الناس. الثاني: أن لا يعارض نصاً أو إجماعاً. وإلا كان عرفاً باطلاً لا قيمة له. وقد قال الفقهاء: المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً. وقالوا: "إن الشرط في العقد يكون صحيحاً إذا اقتضاه العقد أو ورد به الشرع أو جرى به العرف... " (البوطي: ص ٨٢).

أما علماء الاجتماع فتركزت نظرتهم على الجانب السلوكي في الإنسان، فقد جاء في معجم العلوم الاجتماعية في تعريف العرف مايلي: "يصعب جدا إعطاء تعريف دقيق للعرف ولكن هذه الكلمة تشير في معناها العام إلى جميع الممارسات الاجتماعية التي لا تخضع لتقنين، وإلى الاصطلاحات التي يشترك فيها أفراد الجماعة وتصبح تقليدا بينهم، وتلقن للفرد حتى تصح (عادة) لديه. ولذا فإن هناك بعض التداخل بين معنى كل من: (العرف) و(التقليد) و(العادة) ويتميز (التقليد) عادة بأنه ينطوي على حكمٍ قيمي، أما (العادة) فانها غالباً ما تتصل بالسلوك الفردي وقد أدخل تايلور "العرف" في تعريفه المشهور للثقافة على أنه "واحد من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في جماعة، وفي تعريف حديث يقول جيلين إن "العرف عادة تخضع للأسلوب الجماعي في تكوينها وفي تلقينها وفي توارثها من جيل إلى جيل" (مذكور: ص ٣٩٠).

ونعرف العرف فنقول: إنه سلوك اتفق عليه جماعة من الناس وساروا عليه حتى أصبح يحكم سلوكهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم، يأمرهم وينهاهم لتوطيد علاقاتهم بعضهم مع بعض، والخروج عنه يُعدّ خروجاً عن الجماعة وعصياناً لها.

وينتشر هذا النظام في حياة البدو، فهو يجري مجرى القانون لديهم في ضبط سلوكهم، ولا تكون هذه الأعراف مقيدةً أو مكتوبةً كما هو الحال في القانون الحديث، بل إنها قواعدٌ متفقٌ عليها بين أفراد القبيلة ويدركها الجميع.

#### ٤. العادات : Habits

مفردها عادة، وجاء في معجم العلوم الاجتماعية أن: "العادة في علم النفس تشير إلى سلوك منتظم يكتسبه الفرد بفضل التعلم، وتستثيره مواقف محددة، ويكسبه تكراره استجابة لهذه المواقف قدرًا من الثبات النسبي والاستقرار مع سهولة في الأداء إلى حد الآلية" كما عرف المعجم العادات الشعبية Folkways, mores بأنها سلوك مكتسب يشترك فيه أفراد شعب معين، وتعد هذه العادات معايير ينظر إليها على أنها ذات قيمة اجتماعية من شأنها أن تحدث رد فعل في المجتمع يتمثل في الفزع والاستهجان والاستياء والاشمئزاز، الأمر الذي يبرر توقيع جزاءات على المخالف الذي يتعدى على حرمتها " (المرجع السابق: ص ٣٨١).

وقيل: العادات: "الأفعال والأعمال التي تعود الإنسان على فعلها أو عملها نتيجة للتكرار فتصدر منه بصورة طبيعية. والعادة تأتي من الإدمان على فعل أو عمل الشيء. وهذه العادة تنتقل من فرد إلى آخر، أو جماعة إلى أخرى، أو من جيل إلى آخر. والعادة تكون حسنة وتكون سيئة لذا تحاول التربية الإسلامية دائماً غرس وتعزيز العادات الحسنة في الإنسان ونهيه عن الإتيان بالعادات السيئة. والعادة تأخذ صفة العمومية والانتشار أكثر من التقاليد، لذا يكون الالتزام بها أكثر من التقاليد، وهذا الالتزام لا يعني الفرضية المطلقة؛ بل يستطيع الإنسان أن يغير أو يطور من العادة ولاسيما إن كانت مجهدة ومكلفة

له وتعود عليه بالضرر، ولكن تغييرها يحتاج إلى جهد ووقت، وتغيير العادات أو تطويرها دائماً يرتبط بدرجة الوعي والثقافة عند الإنسان.

## ٥. التقاليد: Traditions

التقليد: اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقية فيه من غير نظر وتأمل في الدليل كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه (الجرجاني: ص ٦٤).

كما جاء في معجم العلوم الاجتماعية أن التقاليد هي: "طرائق جمعية للسلوك، مستقلة في وجودها عن الفرد، تفرض نفسها عليه وتعين على تقوية الشعور الجمعي وتحقيق الاندماج التام بين عناصر المجتمع. هي صنع الماضي ودعامة الحاضر فهي حصيلة التجربة العملية للمجتمع ومقياس هام للنظم والقيم الاجتماعية، فيها ثقافة وحضارة، وعلم وحكمة، وبمجرد ألف وعادة يقدسها الناس، وإن بدا فيها مالا يفهم سببه، ومالا يقره العقل تماماً، وهي عنصر هام في السلوك والتربية... فهي ثروة خالدة من ثروات المجتمع... وإليها يرد كثير من النظم القائمة... يقدسها الشيوخ ويحاول الشباب الخروج عليها... هي في صراع مستمر مع التحديد والروح العصرية" (مذكور: ص ١٦٩).

ونعرف التقاليد بأنها: سلوك معين تتميز به طبقة أو طائفة من الناس، ويكون معياراً لمدى تماسكها وتضامنها، وإليها يرجع الفضل في الحفاظ على كثير من مظاهر الحياة السابقة. والتقاليد هي النواميس أو التعاليم التي ترتبط بالحياة الاجتماعية لمجموعة من الناس. ويخطيء من يربط الحياة الدينية أو التشريعية بالتقاليد، لأن التقاليد تتغير في حين أن التعاليم الدينية ثابتة لا تتغير.

## الفرق بين مفهوم القيم ومفهوم الاتجاهات والأعراف والعادات والتقاليد

### الاتجاه

- أقل تجريداً وثباتاً
- تتكون بسرعة ولا تحتاج الى خبرات
- تعبر عن موقف أو موضوع
- لا تتطلب موافقة اجتماعية
- تمثل اتجاهات ووعياً فردياً
- غير معيارية

### القيمة

- أكثر تجريداً وثباتاً
- تتكون ببطء وتحتاج الى خبرات
- لها صفة العمومية
- تتطلب موافقة اجتماعية
- تمثل اتجاهات ووعياً جماعياً
- معيارية

### العرف

- تشير الى غاية من غايات الوجود
- يختص بصيغة أمر أو ناهية في موقف معين بذاته
- لا تشير الى نوع من أنواع السلوك
- يكون في صيغة خارجية
- تختص بسلوك معين
- تمثل أمراً شخصياً أو داخلياً

### العادة

- أكثر تعقيداً من السلوك المتكرر
- سلوك منتظم متكرر بطريقة تلقائية في مواقف محددة
- ليس بها أحكام معيارية
- تنطوي على أحكام معيارية للتمييز بين الخطأ والصواب والخير والشر

### التقاليد

- سلوك جمعي يجبر الفرد للاندماج معه
- تؤدي الى دمج وتماسك بين أفراد المجتمع
- مقياس هام للنظم والقيم الاجتماعية

### ثالثاً: الفرق بين المبادئ والقيم:

استعرضنا في الصفحات السابقة التعريفات اللغوية والاصطلاحية لكل من المبادئ ومرادفاتها، والقيم ومرادفاتها، واتضح لنا كيف أن اللفظين قريبان في المعنى بعضهما من بعض، إلا أنهما يختلفان في المفهوم الإجرائي فهما يشتركان في التعبير عن فضيلة أو ظاهرة واحدة ولكن لكل منهما مفهومه ومعناه. وفيما يلي توضيح لذلك:

- المبدأ يُستنبط منه ولا يُستنبط هو من شيء آخر.
- القيمة تُستنبط من المبادئ.
- المبادئ هي القواعد والأسس الموجهة للقيم والأصل فيها.
- القيم تُشتق من المبادئ، فالمبدأ أصل القيمة.
- المبادئ مطلقة، لا تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الأحوال.
- القيم تكون مطلقة ونسبية، أي أنها قد تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الأحوال.

- المبادئ مطلقة وملزمة.
- القيم أداة حكم، وليس لها نفس الدرجة الإلزامية كالمبادئ. وهي حواجز تردع المسلم عن الوقوع في المحظورات أو المحرمات.
- المبادئ قاعدة تستنبط منها أجزاء أخرى فرعية.
- القيم ليست كذلك.
- المبادئ ترتبط بالأمور المادية.
- القيم ترتبط بالأمور المعنوية.
- المبادئ ترتبط بكيفية دراسة العلوم وأساسياتها فهي أمور نظرية.
- القيم ترتبط بتطبيقات العلوم فهي أمور تطبيقية.



وقد قيل: إن المبدأ هو العلم الذي يُعرف بذاته ولا يُعرف هو من غيره،  
خلافاً للقيمة. وخلاصة القول إن المفهومين مرتبطان ويسيران في نسق واحد،  
فالقيمة والمبدأ لهما معنى واحد في الشكل العام، كما أن لكل منهما مفهومه  
ومعناه الخاص. ولتوضيح ذلك نقول: إن الصديق مبدأ من المبادئ الخلقية في  
الإسلام، وصدق المعلم مع تلاميذه قيمة تربوية إسلامية، وكذلك الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر... إلخ. والزواج يُعد مبدأ من المبادئ الإسلامية  
لتكوين الأسرة والمجتمع؛ إلا أن تطبيقاته في الواقع تُعد قيماً من القيم  
الاجتماعية تتأثر بالزمان والمكان والأحوال، فتعدد الزوجات يكون شائعاً  
ومرغوباً لدى جماعة متمسكة به فيكون قيمة، خلافاً لجماعة أخرى. وكذلك  
المراسيم التي يتم بها وفيها الزواج تختلف من منطقة لأخرى.

## رابعاً: المبادئ والقيم في التربية:

العلاقة بين المبادئ والقيم والتربية علاقة عضوية تعني أن كل واحد منها يدخل في تكوين الآخر فلا يمكن أن تكون تربية بدون مبادئ وقيم، كما لا يمكن أن تكون هناك مبادئ وقيم بدون تربية، القيم هي موضوع التربية وهي في الوقت نفسه موضوع كل إنسان، كما أن التربية موضوعها الإنسان. ولايضاح هذه العلاقة نذكر مايلي:

١ - تقوم التربية بتكوين شخصية الإنسان، وهذه الشخصية يشكلها نوع السلوك الذي تحدده المبادئ والقيم.

٢ - التربية عملية تكيف وتوافق، والمبادئ والقيم هما اللتان تحددان ذلك التكيف والتوافق.

٣ - التربية تعمل على توفير الأمان للإنسان والمبادئ والقيم هما اللتان تحددان له الإحساس بذلك الأمان.

٤ - التربية تعمل على فهم الذات وإمكاناتها، والمبادئ والقيم هما اللتان تعطيان الفرد الفرصة للتعبير عن نفسه.

٥ - التربية تعمل على تنمية الجانب العقدي أو الروحي في الإنسان، والمبادئ والقيم مستمدتان من تلك المعتقدات.

٦ - التربية تعمل على تنمية علاقات الفرد مع غيره، والمبادئ والقيم هما الإطار المرجعي لتحديد نوعية تلك العلاقات.

وهكذا نلاحظ أنه لا يمكن الفصل بين التربية والمبادئ والقيم، فالتربية مبادئ هي بمثابة القواعد والأسس التي تقوم عليها التربية، كما أن التربية عملية قيمة حيث يقصد بها تقويم سلوك الإنسان وإيضاح تلك العلاقة يذكر الدكتور بركات مايلي:

- ١ - تشتق الأهداف التربوية عادة من القيم التربوية السائدة في المجتمع.
  - ٢ - عملية التقويم سواء للمعلم أو التلاميذ تأخذ في اعتبارها مدى تمسكهم بالقيم.
  - ٣ - البرامج التي تقدمها المؤسسات التربوية للمجتمع لا بد وأن يراعى فيها القيم التي يؤمن بها المجتمع.
  - ٤ - التربية عملية غرس للقيم والاتجاهات التي يؤمن بها المجتمع ونقلها من جيل إلى آخر.
  - ٥ - تستهدف التربية تشجيع الإبداع والإنتاج والتطوير والتغيير إلا أنها في كل ذلك تراعي القيم السائدة في المجتمع.
- ويمكن القول بأن مدى مراعاة التربية للقيم هي الضابط الأساسي لكل ماتقدمه التربية" (أحمد: القيم والتربية، ص ٣٥).
- هذه العلاقة وهذا الارتباط بين التربية مطلقة والمبادئ والقيم بصفة عامة قد يعتريهما اختلاف وتفاوت أو تناقض طالما أن مصدرهما الإنسان.. أما في التربية الإسلامية فتظهر هذه العلاقة وهذا الارتباط بصورة أكبر حيث إن مصدرهما جميعاً الكتاب والسنة، وبالتالي يستحيل وجود أي اختلاف أو تناقض أو تضارب بينها.
- ومفهوم التربية الإسلامية ليس هو مفهوم التربية على إطلاقه، وإنما المقصود هو نظام التربية الذي يقوم على مبادئ النظام القيمي للعقيدة الإسلامية. (لمزيد من المعلومات راجع حياط، ص ٧٩-٨٠).

## خامساً: أهمية دراسة المبادئ والقيم ومكانتهما

### في التربية الإسلامية:

السؤال الذي قد يتبادر إلى ذهن القارئ للوهلة الأولى هو: لماذا اخترت هذا العنوان للكتاب؟ وماهي أهمية ومكانة المبادئ والقيم في التربية الإسلامية؟.

وإجابة السؤال تكمن في الدرجة الأولى في معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للكلمتين (مبادئ وقيم). وباختصار نقول: المبادئ في التربية يقصد بها الأسس أو القواعد أو الأصول التي تبنى عليها النظرية التربوية. والقيم هي المعايير أو المقاييس التي يقوم بها السلوك. أما عن مكانة المبادئ والقيم في التربية الإسلامية بالذات فنقول: إن التربية الإسلامية تتميز عن غيرها من النظريات والفلسفات والنظم التربوية في كونها ربانية المصدر، أي أن مبادئها وقواعدها وأسسها التي تقوم عليها جاءت من عند الله سبحانه وتعالى، لذا كان المعيار أو المقياس فيها هو مدى بعدها أو قربها من الكتاب والسنة، كما أن قيمها الرئيسة ثابتة ومستنبطة من كتاب الله ومن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم. لذا كان لزاماً على كل من أراد أن يدرس التربية الإسلامية أن يعي تلك الحقيقة.

فالمبادئ والقيم منذ أن خلق الإنسان تؤديان واجباً كبيراً في حياة الأمم والشعوب، فهما الوجه والمحرك لنشاطات المجتمع، وهما المعيار والمقياس لما هو حسن أو قبيح، ونافع أو ضار، أي أنهما تحددان اختيارات الفرد وقراراته، كما أنهما تحددان الأيديولوجية (الفكر) أو الفلسفة العامة للمجتمع.

لذا فإن دراستها والاهتمام بها مطلب شرعي وحضاري، وقد حثنا الإسلام على ذلك، حيث جاء القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية بالمبادئ

والقيم التي تنظم حياة الإنسان في كل المجالات، وأمرنا الله تعالى بالالتزام بها وتطبيقها في الحياة.

وفي العصر الحديث نجد التركيز على دراسة القيم التربوية دون المبادئ، والتي أصبحت مادة لكثير من التخصصات: الدين، الفلسفة، الاقتصاد، الأنثروبولوجيا الحضارية، علم الاجتماع، علم النفس، وعلم النفس الاجتماعي، بالإضافة إلى التربية.

وكما أشرنا في المقدمة أن الغربيين اهتموا بدراسة القيم أكثر من المسلمين والواقع يشهد بذلك، فالدراسات العربية والإسلامية في هذا المجال قليلة جداً، ولا يزال الكتاب العرب والمسلمون يرجعون إلى ما كتبه الغرب لقلّة المراجع العربية. [ كتاب د. خليفة: ارتقاء القيمة يضم ٢٤٣ مرجعاً منها ٦٩ مرجعاً فقط باللغة العربية ]. وحتى المراجع العربية المدونة في نهاية المؤلفات نجد أن معظمها غير متخصص في موضوع القيم. [أورد أبو العينين في كتابه: القيم الإسلامية والتربية ١٤٣ مرجعاً عربياً منها ٩ مراجع فقط متخصصة في القيم، ٣٨ مؤلفاً بين التربية وعلم النفس والمناهج وعلم الاجتماع بها فصول أو إشارات إلى موضوع القيم، كما ذكر ١٢ مرجعاً باللغة الإنجليزية لم يكن بها سوى مرجع واحد متخصص في موضوع القيم ].

ولتحديد أهمية دراسة المبادئ والقيم ومكانتهما في التربية الإسلامية بصورة أوضح نذكر الحقائق التالية التي تمثل الواقع الذي تعيشه الدول الإسلامية وشعوبها:

١ - الضياع والتخبط الواضحين في اختيار المبادئ والقيم التي تتبناها الدول والمجتمعات الإسلامية نتيجة للهموم التي تعيشها تلك الدول وشعوبها وتلخص بما يلي: (التخلف والانحطاط، والظلم الاجتماعي، والاستبداد

السياسي، والتغريب، والتبعية، والتخاذل أمام إسرائيل وغيرها، والتفرق،  
والتمزق، والتحليل، والتسيب.. (انظر: القرضاوي: الصحوة الإسلامية).  
ونضيف إلى ذلك تحاذل المسلمين في مناصرة إخوانهم في البوسنة والمهرسك  
والصومال والفلبين وكشمير والهند وفي الجمهوريات الروسية... وفي كل  
منطقة يهان ويعذب ويذبح فيها المسلمون.

٢ - الاتجاهات الفكرية المنحرفة، والفراغ الديني الذي يشكو منه أفراد  
المجتمعات الإسلامية اليوم.

٣ - التحدي الثقافي والحضاري الذي تواجهه الدول الإسلامية وشعوبها  
اليوم.

٤ - الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي المتردي الذي تعيشه الأمة  
الإسلامية اليوم وفشل حكوماتها في معالجة تلك الأوضاع.

٥ - عجز مناهج التعليم وفي مختلف المراحل التعليمية عن إيجاد إجابات  
شافية لكثير من تساؤلات الشباب ومشكلاتهم.

ماسبق رؤوس أقلام توضح الواقع المأساوي للعالم الإسلامي الذي لا يخفى  
على كل ذي لب، وأدهى وأمرّ من ذلك أن معظم حكومات المسلمين تدرك  
ذلك الواقع الأليم وما يخطط لبلادهم وشعوبهم المسلمة إلا أنها قابضة لا تحرك  
ساكنا طالما أن موقفها هذا سر بقائها وعامل من عوامل استمرار وجودها في  
الحكم.

ولن تكون هناك نجاة للعالم الإسلامي من هذا الواقع المأساوي المرير إلا  
بالعودة إلى الإسلام والتمسك بمبادئه وقيمه في التربية فهي السبيل الوحيد  
لإعداد الجيل الذي يمكن أن ينتشل الأمة الإسلامية من ورطاتها.

كما وتظهر لنا أهمية دراسة المبادئ والقيم التربوية في الإسلام إذا ما  
نحن عرفنا وسلمنا بالأمور التالية:

١ - ازدياد تعقيد الحياة الاجتماعية وحاجة الإنسان المعاصر إلى الإحساس العميق بهويته وانتمائه البشري بعد أن اضمحلت المدن والقرى الصغيرة، وأصبح يعيش الإنسان فيما يسمى Metropolitan city - المدن العملاقة.. التي استبدلت فيها ناطحات السحاب بالمساكن الصغيرة، ولم تعد هناك مناطق فسيحة يتنسم فيها الإنسان الهواء الطلق بل أخذ يتنسم ويستنشق الدخان الصاعد من أرتال السيارات التي تجوب الشوارع، ودخان المصانع، ومحرق النفايات... هذا الانفجار العمراني أو ما يسمى بثورة المدن؛ أدى إلى انهيار محاور الانتماء ونظم القيم التي كانت تحكم سلوك الأفراد والجماعات في نظام الأحياء الصغيرة أو القبيلة والعشيرة، هذا الانهيار صحبه مشكلات عديدة لايمكن حصرها أدت إلى انهيار نظام الأسرة أو العائلة، والذي يعد اللبنة الأولى في بناء المجتمع المتناسك.. فاستبدلت تلك المجتمعات بالمجتمعات الصناعية أو الاقتصادية التي تتحكم في حياتها، وأصبحت هي القيمة الأساسية في الحياة، وضربت عرض الحائط بجميع القيم الاجتماعية والأخلاقية.

٢ - هذا الانفجار العمراني أو ثورة المدن أدت إلى اتصال المدن والدول بعضها ببعض فأصبحت أوروبا اليوم عبارة عن دولة واحدة، إضافة إلى سهولة المواصلات اليوم بحيث أصبح العالم كله عبارة عن قرية صغيرة؛ فتهدمت الثقافات المحلية والإقليمية والقارية، واختلطت القيم في العالم أجمع سلباً وإيجاباً، فباتت الأمم والشعوب تواجه تحدياً نتيجة للزلازل الجارية في ميادين القيم. فأصبحنا نرى عمليات الذوبان والانصهار والتحليل والتركيب في المجتمعات Multing put فأصبح لزاماً على المؤسسات التربوية عامة أن تقوم

بتوجيه القيم وغرسها والتأكيد عليها، فإن لم تفعل فستكون المجتمعات أمام خيارين: الارتداد إلى حياة الكهوف أو الغابات أو أنها تذوب في بوتقة التفاعل الجاري بين القيم العالمية المختلفة.

الواقع ثبت أن هناك رغبة ملحة في الدول غير الإسلامية على الصعيدين الرسمي والشعبي لتطبيق المبادئ والقيم الإسلامية في الحياة العامة ولكن تأخذهم العزة بالإثم.

٣ - تأكد علماء الاجتماع وعلم النفس والتربية أن خلاص العالم المعاصر من المشكلات التي تواجهه لا يكون إلا عن طريق الالتزام بالقيم الدينية. وقد وجد المنصفون منهم أن في الدين الإسلامي الصفات التي ينشدونها.

٤ - الغزو الفكري والثقافي الذي تعرض له العالم العربي والعالم الإسلامي أدى إلى تخلي العديد من الدول والشعوب عن القيم الإسلامية واعتناقهم للقيم والمبادئ المستوردة.. هذا إذا ما تذكرنا ما تعرض إليه ميدان القيم من صراع خلال التاريخ الطويل للأمة الإسلامية فولدت قيم أفرزتها الأفهام المتباينة والتغيرات المتعددة.

كما وتظهر لنا أهمية دراسة المبادئ والقيم التربوية الإسلامية إذا ما نحن استعرضنا بعض نتائجها:

أ) دراسة المبادئ والقيم الإسلامية ترسم للإنسان الطريق الصحيح الذي ما إن تمسك به لن يضل أبداً: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٥٣].

ب) دراسة المبادئ والقيم التربوية الإسلامية والالتزام بها يؤدي فعلاً إلى صهر المجتمع الإسلامي في بوتقة واحدة أي اعادته ليكون أمة واحدة



وبالتالي تسوده المحبة والإخاء والتعاون والالتزام بالأخلاق الفاضلة، وترك الأخلاق الذميمة.

ج ( القيم والمبادئ التربوية تنظم علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٢٥]. وهذه الوظيفة تستقطب الوظائف كافة، وهي الأساس لكل ماعداها.

د ( دراسة المبادئ والقيم والإمام بها يساعد على تطوير سلوك الفرد وتغيير اتجاهاته بحيث تنسجم مع الاتجاهات الإسلامية.

هـ ( تؤدي إلى تدريب الفرد على مواجهة متطلبات الحياة: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾، [سورة الملك الآية: ١٥] — ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لثخنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ [سورة الأنبياء الآية ٨٠].

و ( تساعد على بناء المجتمع الإسلامي القائم على روابط العقيدة الإسلامية وتشريعاتها وإبراز أهمية هذا المجتمع، واعتبار الانتماء إليه كمال الدين ودليلاً على صحة الإيمان: ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾ [سورة الأنفال الآية: ٧٤]، ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً...﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٠٣].

ز ( الالتزام بالمبادئ والقيم التربوية الإسلامية يعمل على تكوين المسلم وإعداده لحمل الرسالة وأداء الأمانة التي كلف بها: ﴿كنتم خير أمة أخرجت

للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله... ﴿ [سورة آل عمران: ١١٠].

ح ( الالتزام بالمبادئ والقيم التربوية الإسلامية يحقق العدالة والمساواة بين البشر، ويرفع الظلم عنهم: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [سورة الحجرات: ١٣]. وبالتالي ينعم الإنسان بالحياة تحت ظلال تلك المبادئ والقيم التي تضمن له حقوقه وإنسانيته.

ط ( عدم وجود مبادئ وقيم إلهية يسبب الهلاك والضياع والتعاسة للإنسان، حيث إنه يصبح عبداً وأسيراً لقيم ومبادئ يضعها نظيره الإنسان.

## المصادر الرئيسية في البحث

**أولاً: القرآن الكريم**

**ثانياً: علوم القرآن الكريم**

- ابن كثير، اسماعيل - تفسير القرآن العظيم - القاهرة، مكتبة دار التراث، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- الألوسي، محمود - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - بيروت، عالم الكتب.

- الشوكاني، محمد بن علي - فتح القدير - دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- عبدالباقي، محمد فؤاد - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - استانبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٤م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري - الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربي.

- قطب، سيد - في ظلال القرآن - الطبعة الشرعية الحادية عشر، دار الشروق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري - أسباب النزول - بيروت، عالم الكتب.

**ثالثاً: كتب الحديث النبوي**

١ - صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

(ت ٢٥٦هـ)، ٨ ج، ٣م.

- ٢ - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري  
(ت ٢٦١هـ)، ج ٣، م ٣.
- ٣ - سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني  
(ت ٢٧٥هـ)، ج ٥، م ٥.
- ٤ - سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)،  
ج ٥، م ٣.
- ٥ - سنن النسائي: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)،  
ج ٨، م ٢.
- ٦ - سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القرويبي (ت ٢٧٣هـ)،  
ج ٢، م ٢.
- ٧ - سنن الدارمي: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ)، ج ١، م ١.
- ٨ - الموطأ: للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ)، ج ٢، م ١.
- ٩ - مسند الإمام أحمد: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، ج ٦، م ٣.
- ١٠ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي المتقي بن حسام الدين  
الهندي (ت ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤٠هـ/١٩٨٥م،  
في ١٦ مجلد.
- ١١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)،  
ط ٣، ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ١٠، م ٥.
- ١٢ - السنن الكبرى: للبيهقي، دار الفكر.
- ١٣ - الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر، بيروت.
- ١٤ - تحاف السادة المتقين للزيدي.

## مراجع الفصل الأول

- أبو العينين، على خليل مصطفى - "القيم الإسلامية والتربية"، مكتبة إبراهيم حلي، المدينة المنورة ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨).
- ابن منظور: "لسان العرب" - بيروت - دار لسان العرب.
- أبو زهرة، محمد: "أصول الفقه" - القاهرة - دار الفكر العربي.
- أحمد، لطفي بركات: "المعجم التربوي" - دار الوطن.
- أحمد، لطفي بركات: "القيم والتربية" - الرياض، دار المريخ، ١٤٠٣ هـ.
- الأشقر، محمد سليمان: "الواضح في أصول الفقه للمبتدئين" - الدار السلفية.
- البستاني، بطرس: "محيط المحيط" - مكتبة لبنان.
- البعلبكي، منير: "موسوعة المورد" - دار العلم للملايين.
- البورنو، عماد صدقي: "الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية" - مؤسسة الرسالة.
- البوطي، محمد سعيد: "ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية" - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي عام ١٣٩٦ هـ: وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية والشبهات التي تثار حول طبيعتها - الرياض - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد: "التعريفات" - بيروت - عالم الكتب - ط ١ محققة ١٤٠٧ هـ.
- حسين، محي الدين أحمد: "القيم الخاصة لدى المبدعين" - القاهرة - دارالمعارف ١٩٨١ م.

- خليفة، عبد اللطيف محمد: "ارتقاء القيم (دراسة نفسية)" - الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة عالم المعرفة - العدد ١٦٠ رمضان ١٤١٢هـ، إبريل ١٩٩٢م.

- خياط، النظرية التربوية في الإسلام - دراسة تحليلية، مكة المكرمة - مطبعة الصفا، ١٤٠٧هـ.

- زاهر، ضياء: "القيم في العملية التربوية" - مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٤م.  
- الزحيلي، محمد: "أصول الفقه الإسلامي" - جامعة دمشق - كلية الشريعة - ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- صالح، أحمد زكي: "الأسس النفسية للتعليم الثانوي" - مصر - دار النهضة العربية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- صليبا، جميل، "المعجم الفلسفي"، ط١، بيروت دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١م.

- عبدالرحمن، سعد: "القياس النفسي" - الكويت - مكتبة الفلاح، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- عسكر، علي والأنصاري، محمد: "علم النفس البيئي" - الكويت - دار البحوث العلمية - ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- علوان، عبد الله ناصح: "تربية الأولاد في الإسلام" - جزاءن - بيروت - دار السلام.

- علوان، د. فهمي محمد: "القيم الضرورية وتعاصر التشريع الإسلامي" - الهيئة المصرية للكتاب.

- عمر، ماهر محمود: "سيكولوجية العلاقات الاجتماعية" - دار المعرفة الجامعية.

- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: "بصائر ذوي التمييز" - بيروت - المكتبة العلمية.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري: "الجامع لأحكام القرآن" (٢٢ جزء)، بيروت، دار الفكر ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- القرضاوي، يوسف، "وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية والشبهات التي تثار حول طبيعتها"، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي عام ١٣٩٦هـ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤١٠هـ، ١٩٨١م.
- قميحة، جابر: "المدخل إلى القيم" - القاهرة - دار الكتاب المصرية واللبنانية - ١٤٠٤هـ.
- كاظم، محمد إبراهيم: "تطورات في قيم الطلبة" - القاهرة - مكتبة الأجلو المصرية.
- كيلاني، ماجد عرسان: "فلسفة التربية الإسلامية" - ط ٢ - مكة المكرمة - مكتبة هادي - ١٤٠٩هـ.
- مذكور، د. إبراهيم: "معجم العلوم الاجتماعية" - إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين - الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة - ونسكو - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- مجمع اللغة العربية: "المعجم الفلسفي" - دار عالم الكتب.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون: "المعجم الوسيط" - مجمع اللغة العربية - استانبول - دار الدعوة.
- مطر، سيف الاسلام علي: "التغير الاجتماعي" - دار الوفاء - ط ١ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- المناوي، محمد عبد الرؤوف: "التوقيف على مهمات التعاريف" تحقيق  
د. محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان دار الفكر دمشق  
سورية ط ١ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- النحلاوي، عبدالرحمن: "أصول التربية الإسلامية وأساليبها" - ط ١ -  
دمشق - دار الفكر.
- النحلاوي، عبدالرحمن: "التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة" - ط ١ -  
بيروت، المكتب الإسلامي - الرياض - مكتبة أسامة.



## الفصل الثاني

### خصائص ومميزات المبادئ والقيم في التربية الإسلامية

#### تمهيد:

- ١ - الربانية.
- ٢ - الإنسانية "الشفقة والرحمة".
- ٣ - الواقعية والمثالية.
- ٤ - العدالة والمساواة.
- ٥ - الإيجابية السوية.
- ٦ - الشمول والتكامل.
- ٧ - التوسط والاعتدال.
- ٨ - الاستمرار والتجديد.
- ٩ - الوضوح وعدم التناقض مع الدقة والاعجاز.
- ١٠ - المرونة والثبات.
- ١١ - الدعوة إلى العلم.



## تمهيد:

للتربية الإسلامية خصائص ومميزات تنفرد بها وتميزها عن غيرها من النظم التربوية الوضعية، كيف لا وهي تستمد مبادئها وأسسها وقيمها وفلسفتها من كتاب الله سبحانه وتعالى، ومن سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم. وشتان بين ما يقرره خالق الإنسان؛ وبين ما يقرره الإنسان لنفسه. ففي القرآن الكريم وفي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ من المبادئ والقيم التربوية التي تكفل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ففيهما ما يصلح حياته في الدارين.

وهذه المبادئ والقيم التربوية تشمل جوانب العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق. ومن المعلوم أن الإنسان هو ميدان التربية، فجميع الرسائل السماوية استهدفته. والتربية في المنظور الإسلامي غاية في ذاتها وليست وسيلة كما ينظر إليها بعض التربويين، كما أن مفهومها يختلف عن مفهوم التربية في إطلاقه؛ فالتربية الإسلامية هي ذلك النظام أو العملية التي تقوم على النظام القيمي للعقيدة الإسلامية.

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه: النظرية التربوية في الإسلام إن التربية الإسلامية في إطار المنظور الحديث لم تعد مجرد قيم أو مبادئ أو معلومات تنقل إلى الإنسان؛ بل أصبحت رؤية شاملة لا غنى عنها إذا ما أراد الإنسان أن يعيش في مجتمع إسلامي متميز، وقد استدعى هذا الأمر أن تتوجه الدراسات التربوية وجهة جديدة نحاول من خلالها أن نستكشف الأسس والمبادئ التي تتميز بها التربية الإسلامية عن غيرها من أنواع التربية المتوافرة في عالم اليوم (لمزيد من

المعلومات عن مفهوم التربية راجع خياط: النظرية التربوية في الإسلام: ص ٧٤-٨١).

وفي هذا الجزء من دراستنا نحاول أن نلقي الضوء على تلك النقاط التي تميز مبادئ وقيم التربية الإسلامية عن غيرها.

وحيث إن التربية الإسلامية ماهي إلا مجموع المبادئ والقيم المستمدة أساساً من مصادر التشريع الإسلامي؛ فإن سمات أو مميزات هذه المبادئ والقيم هي نفسها مميزات وسمات الشريعة الإسلامية أو التربية الإسلامية، ومن هذه الخصائص ما يلي:

### **أولاً: الربانية:**

أي انتسابها إلى الرب سبحانه وتعالى. فالمبادئ والقيم التي تحكم التربية الإسلامية من صنع خالق الإنسان، أوحى بها إلى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذه أهمية خاصة تمتاز بها التربية الإسلامية، فهي ربانية المصدر والمنهج والهدف والغاية.

فهي ربانية المصدر: حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾ [سورة النحل الآية: ٤٤]، ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل الآية: ٨٩]، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٦٤]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ

من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴿ [سورة يونس  
الآية: ٥٧].

ربانية المنهج: قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا  
ومن اتبعني﴾ [سورة يوسف الآية: ١٠٨]، ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة  
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...﴾ [سورة النحل الآية: ١٢٥]، ﴿ثم  
جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [سورة  
الجاثية الآية: ١٨]، ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك...﴾  
[سورة آل عمران الآية: ١٥٩].

ربانية الهدف والغاية: فالهدف الأساس الذي تسعى إليه التربية الإسلامية هو  
مرضاة الله سبحانه وتعالى وذلك بتقرب العبد إلى خالقه وحسن الصلة به، قال  
تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون \* ما أريد منهم من رزق وما  
أريد أن يطعمون \* إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [سورة الذاريات الآية:  
٥٦-٥٨]، ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له  
وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٦٢-١٦٣].

ولهذه المزية أو الخاصية في التربية الإسلامية الفضل في عصمة الإنسان من  
التحيز واتباع الهوى وسلامة نفسه وعقله من التمزق والصراع وتحريره من  
العبودية لغير الله، وفي النهاية صلاحه في الدنيا وفلاحه في الآخرة.

وتبعاً لهذه الخاصية والمزية الربانية تأتي بقية الخصائص أو المزايا، وفيما يلي

شرح لها:

### ٣. الإنسانية "الشفقة والرحمة":

جاء الإسلام للناس كافة: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ [سورة سبأ الآية: ٢٨]. وهو دين الله من لدن آدم (عليه السلام) إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم كتاب الإنسانية جميعها ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ [سورة يوسف الآية: ١٠٤]. فتعاليم الإسلام لم تختص بأمة دون غيرها بل أتت لكل الأمم والشعوب، لافرق بين أسودهم وأبيضهم، وغنيهم وفقيرهم، عربيهم وعجميهم، وجعلت التقوى ميزان التفاضل: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [سورة الحجرات الآية: ١٣].

فالتربية الإسلامية تهدف إلى تنشئة الإنسان أيا كان؛ التنشئة الصحيحة الشاملة المتكاملة. والمربي المسلم يتصف ويلتزم بالرحمة والشفقة مع من يربى، ومثله الأعلى في ذلك نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن. فالإنسانية والشفقة والرحمة ومرادفاتها من أهم الأسس التي تبنى عليها الأصول الاجتماعية والخلقية بل العقدية للتربية الإسلامية. فالرحمة ومرادفاتها من أسماء وصفات المولى عز وجل والآيات الدالة على الإنسانية ومرادفاتها في كتاب الله عديدة لا حصر لها منها قوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٨٦]، ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٥].

والآيات التي تشير إلى رحمة الله بعباده في القرآن الكريم يزيد عددها على مائة وتسعين آية كما أن الآيات القرآنية التي تشير إلى مغفرة المولى عز وجل تزيد على مائتين واثنين وثلاثين آية هذا بالإضافة إلى الآيات العديدة في كتاب الله التي

تشير إلى الإنسانية في معناها الواسع، وما يندرج تحتها من رحمة وشفقة ومحبة وأخوة وتعاون وتآزر وإيثار وتضحية... وغيرها.

وضرب لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم - وهو قدوة المرين - أروع الأمثلة في المعاملة الإنسانية والشفقة والعطف والرحمة، وقد وصفه المولى عز وجل بتلك الصفات حيث يقول عز من قائل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [سورة الأنبياء الآية: ١٠٧]، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [سورة التوبة الآية: ١٢٨]، ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم...﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٦].

والدلالة على الإنسانية في التربية الإسلامية قوله صلى الله عليه وسلم: "يأبها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله..." (رواه الإمام أحمد ٤١١/٥، والدر المنثور للسيوطي ٩٨/٦، القرطبي ٣٤٢/١٦).

وفي معاملته صلى الله عليه وسلم تطبيق فعلي لهذا المبدأ، فالإنسانية سمة من خلقه صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الجميع، فكان عطوفاً رحيماً بالمسنين والعجزة، والصبيان، والنساء.. وجميع الناس. فعن أنس بن مالك قال: "إنه كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنتلق به حيث شاءت" رواه البخاري برقم (٦٠٧٢). وعنه: "أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت

من حاجتها" رواه مسلم برقم (٧٦/٢٣٢٦). وعن أبي أوفى رضي الله عنه يقول: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر... ولا يستكف أن يمشي مع العبد والأرملة حتى يفرغ هم من حاجتهم" النسائي برقم (١٠٨/٣-١٠٩)، والحاكم ٦٧١/٢ برقم (٢٣٥/٤٢٢٥) واللفظ له. وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ومن شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته تخفيفه وتسهيله عليهم وكرهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" (متفق عليه) البخاري الحديث (٨٨٧) ولفظه "... مع كل صلاة" ٣٧٤/١، ومسلم الحديث (٢٥٢/٤٢) ٢٢٠/١. وروت السيدة عائشة (رضي الله عنها): "ما خيّر رسول الله في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم الله بها" (رواه البخاري ١١٠٢/٣ الحديث (٣٥٦٠) واللفظ له، ومسلم ١٨١٣/٤ والحديث (٢٣٢٧)، وأبو داود ١٤٢/٥ برقم (٤٧٨٥). وروى ابن مسعود (رضي الله عنه): "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا". البخاري ٥٠/١ الحديث (٦٨). ومن ذلك أيضا: موقفه صلى الله عليه وسلم في الحج مع الصحابة الذين كانوا يستفتونه في أعمال ومناسك الحج فكان يُطْمِئِنُّ كُلَّ واحد منهم بجواز عمله"... فما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلا قال: افعلْ ولا حرج" رواه البخاري برقم (٥٦٩/٣) الحديث (١٧٣٦)، ومسلم ٩٤٨/٢ الحديث (١٣٠٦/٣٢٧).



ودلالة الإنسانية في معاملته صلى الله عليه وسلم وأن ذلك لم يكن مع المسلمين فقط ؛ بل كانت إنسانيته الطيبة ومعاملته الحسنة مع غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم ؛ فإسلام العديد من الصحابة (رضوان الله عليهم) ما كان إلا بعدما رأوا من معاملته الإنسانية لهم، وهناك مواقف عديدة نذكر منها:

كان صلى الله عليه وسلم يحضر ولائمتهم، ويعود مرضاهم، ويزورهم ويكرمهم، حتى روي أنه لما زاره وفد نصارى نجران فرش لهم عباءته ودعاهم للجلوس عليها.

موقفه صلى الله عليه وسلم مع زيد بن سعة قبل إسلامه حين جاء يتقاضاه ديناً فجد ثوبه من منكببيه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب مُطل، فانتهره عمر وشد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتسم، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر: "أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي، ثم قال: لقد بقي من أجله ثلاث، وأمر عمر يقضيه ماله ويزيد عشرين صاعاً لما روعه فكان سبباً لإسلامه" (القاضي عياض: ج ١، ص ١٠٨).

موقفه صلى الله عليه وسلم مع ملك الجبال حين سأله بأن يُطبّق على المشركين الأحشبين (الجبلين)، إثر ردهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً" متفق عليه - البخاري ٩٩٨/٢ الحديث (٣٢٣١)، ومسلم ١٤٢٠/٣ الحديث (١٧٩٥).

موقفه صلى الله عليه وسلم في معاملة الأسرى في بدر وعفوه عنهم بل تعدى هذا العفو إلى أن أوصى بهم المسلمين واستوصاهم عليهم.

دعاؤه صلى الله عليه وسلم لثقيف ودوس بالهداية رغم معارضة الشديدة لقبول الدعوة.

قصته صلى الله عليه وسلم مع جاره اليهودي الذي كان يضع الأوساخ والقاذورات في طريق النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح، وكان صلى الله عليه وسلم يزيلها من الطريق، وفي ذات صباح لم ير النبي صلى الله عليه وسلم الأوساخ في الطريق فسأل عن جاره اليهودي فأخبر بأنه مريض فذهب وعاده في منزله.

إن موقفه صلى الله عليه وسلم في الشفقة والرحمة والإنسانية لا يمكن حصرها، وشفقته صلى الله عليه وسلم تعدت الإنسان إلى الحيوان، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

عن عبد الله بن جعفر (رضي الله عنه) قال: "دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم جرجر وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح سراته وذرفاته فسكت، فقال: من رب الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يارسول الله، فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه" رواه أبو داود: ج ٣، رقم (٢٥٤٩). وروت السيدة عائشة (رضي الله عنها): "كان النبي صلى الله عليه وسلم"

وسلم يصغي للهِرة الإناء فتشرب". أخرجه الامام الدارقطني في سننه ٦٦/١ وقال: ضعيف.

وعن أبي قتادة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات" أخرجه أبو داود برقم (٦٠/١) (٧٥)، والنسائي برقم ٦٨ و ٢٤١، وابن ماجه برقم ٣٦٧، والترمذي برقم ٩٢ وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأحمد ٥/٢٩٦.

وعنها أيضا أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليك بالرفق" (القاضي عياض: ج ١، ص ١٢٦). فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة المرين يأمرنا بالانسانية والتراحم والشفقة في تعاملنا.

من خلال ماذكرنا نلاحظ أن المبادئ والقيم التربوية التي جاء بها الإسلام تدعو إلى الشفقة والانسانية بمخلوقات الله.

### ٣. الواقعية والمثالية:

التربية الإسلامية تتعامل مع الواقع المحسوس والملموس في حياة الإنسان، فهي تحدّثه بمجريات الأحداث في حياته الدنيا، ولا تذهب به إلى عالم الخيال والمتاهات، بل تعامله وتطلب منه على قدر طاقته، مراعية حاجاته وغرائزه وضعفه. ولا يقصد بالواقعية ما يذهب إليه أصحاب المذهب أو الفلسفة المسماة "بالواقعية"؛ وهو إيمانهم بعالم الواقع الحاصل (الشهادة) وينكرون عالم الغيب، فالتربية الإسلامية تربي الإنسان وتنشئه على الإيمان بعالم الواقع (الشهادة) الذي يشهد ويدل على أن هناك عالم الغيب الذي لا يستطيع الإنسان إدراكه بعقله

المحدود. في حين يركز أصحاب هذا المذهب "الواقعية" على العقل وفي نظرهم أنه يهدي الإنسان إلى الوصول إلى معرفة جميع الحقائق في العالم الواقعي الثابت الذي لا دور للإنسان في بنائه ووضعه، كما يرى أصحاب المذهب الواقعي أن على الإنسان أن يتكيف مع البيئة التي وجد فيها أياً كانت، والتزبية هي المسؤولة عن عملية التكيف هذه.

إلا أن واقعية التزبية الإسلامية تختلف عن هذه النظرة كلياً، ويقصد بها معرفة حقيقة ومقدرة الإنسان ومراعاتها عند تكليفه أو محاسبته، قال تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٨٦]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَفْضَلِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ٤٢].

وحتى في العبادة نجد الواقعية والمثالية، فالله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم بخلقه وهو العالم بقدرتهم وطاقاتهم، فلا يطالبهم بما لا يتحملون، فأمرهم بعدم المغالاة والمبالغة في العبادة، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن الآية: ١٦]. يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية وفي هذا القيد: "ما استطعتم": يتجلى لطف الله بعباده وعلمه بمدى طاقتهم في تقواه وطاعته، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عن شيء فاجتنبوه" (رواه الشيخان) البخاري ٢٥١/١٣ الحديث (٧٢٨٨)، ومسلم ٩٧٥/٢ والحديث (١٣٣٧). فالطاعة في الأمر ليس لها حدود، ومن ثم يقبل منها ما يستطيع. أما النهي فلا تحزؤ فيه فيطلب بكامله دون نقصان" (سيد قطب: ج ٦، ص ٣٥٠٩).

وفي آية أخرى يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [سورة النساء: الآية: ٢٨]. فالتخفيف من الله سبحانه وتعالى مراعاة لفطرة الإنسان وطاقاته وحاجاته... فخالق الإنسان يدرك أن مخلوقه ضعيف أمام المغريات والشهوات. قال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٤]. وواضح تماما أن النساء والبنين والأموال المقدسة والخيل أو ما يأتي في مقامها من وسائل المواصلات السريعة والأرض المخصبة والأنعام... هذه أحب الشهوات إلى نفس الإنسان، وهي خلاصة لما يتمناه الإنسان في حياته الدنيا، إما لذاتها وإما بما تستطيع أن توفره لأصحابها من لذائذ ومنافع أخرى. وواقعية ومثالية التربية الإسلامية لاتطلق العنان للعقل وتحمله ما لا يطيق، ونجدها تختار البيئة والواقع الاجتماعي للإنسان على ضوء المبادئ والقيم الإسلامية لا على ضوء ماهو موجود فعلا في البيئة أو المجتمع، فقد يكون في ذلك ضره أكثر من نفعه.

#### ٤. العدالة والمساواة:

المبادئ التربوية الإسلامية تنادي بالمساواة الحققة النابعة من الوجدان، لا بالمساواة الزائفة النابعة من الأكاذيب والشعارات المغرضة. ومبدأ العدالة والمساواة ينبع من مبدأ أساسي هو وحدة الخلق ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء..﴾ [سورة النساء الآية: ١]. فهذا الرباط المقدس الذي يوجب المودة والمحبة بين الأفراد آياً

كان لونهم أو عرقهم أو مستواهم المادي والمعنوي... ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ\* وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات الآية: ١٣].

والإسلام ينادي بالمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، وبالتالي فهو يساوي بينهم في الجزاء والحساب، والحكمة وراء ذلك أنهم خلقوا جميعاً من نفس واحدة فهم متساوون أصلاً في النشأة الأولى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [سورة النساء الآية: ١].

كما وحد الإسلام وساوى بين الناس في الهدف فجعل هدفهم واحداً في الحياة، ألا وهو عبادة الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات الآية: ٥٦]، ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَيَ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٦٢]. والإسلام يقر مبدأ التفاوت في المواهب والملكات وما يتبع ذلك من تفاوت في الوضع المادي والاجتماعي للفرد على الآخر، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة النحل الآية: ٧١]، ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءًا وَهَؤَآءًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا\* انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء الآية: ٢٠-٢١].

وواضح أن الإسلام لم يجعل هذا التفاوت سبباً لإعلاء مجموعة أو طبقة أو جنس على آخر.. بل كان ذلك امتحاناً واختباراً لمن من الله عليهم في الحياة الدنيا، وهو أيضاً امتحان لأولئك الذين حرموا من هذه النعمة في الحياة الدنيا، قال

تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة التغابن الآية: ١٥]، ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾ [سورة الحديد الآية: ٢٠]، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ..﴾ [سورة الفجر الآية: ١٥].  
والله سبحانه وتعالى حين أنعم على الإنسان أو أمسك عنه النعمة طلب منه أن يعمل في كلا الحالين، فمبدأ وجوب العمل والتكليف على الجميع فيه عدالة ومساواة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة الآية: ٧-٨]، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل الآية: ٩٧].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" رواه الحاكم في المستدرک ٣٤١/٤ الحديث (٧٨٤٦) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والمبادئ والقيم الإسلامية تدعو أصحاب النعم ومن لهم حظ وافر في المجتمع ألا يتعالموا وألا يتكبروا على غيرهم بل عليهم أن يتواضعوا ويرشدوا غيرهم إلى طريق الخير والصلاح والتقدم في الحياة الدنيا والآخرة. ولاشك أن هذا الشعور بالمساواة بين الناس يؤدي إلى الارتياح العام، والشعور بالأمن والطمأنينة، وبالتالي تسود المحبة والمودة بينهم، ولأن الله سبحانه وتعالى قد حدد للإنسان أساس التفاضل ووضع له الطريق إليه، وترك له حرية الاختيار.

وفي هذه الخاصية للتربية الإسلامية تأكيد على الخاصية الأولى وهي:  
الربانية؛ فلو أن مبادئ وقيم التربية الإسلامية وضعت من قبل الإنسان لمال  
واضعها إلى جنسه وأمته، ولما استطاع أن يُرضيَ بها كلَّ الناس على اختلاف  
ألسنتهم وألوانهم ومستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية .. ولو التزم كل فرد في  
المجتمع بالتعاليم الإسلامية وطبقها ورضي بها لعاش أفراد المجتمع كلهم في محبة  
ووثام وتعاون ... وهذا ما كان عليه المجتمع الإسلامي في عهد الرسول صلى الله  
عليه وسلم وهنا تتحقق العدالة والمساواة، حيث يعيش أفراد المجتمع جميعهم  
يعملون كخلية النحل والكل راضٍ ومقتنع بما قسم الله له .. أما الدعايات الزائفة  
التي يروج لها غير الإسلاميين عن العدالة والمساواة فإن عدالتهم ومساواتهم ظاهرية  
وقشرية، لم تسعد أفراد مجتمعاتهم الذين يعيشون في صراع نفسي، نتج عنه  
الأمراض العصبية والنفسية والاجتماعية التي يعاني منها عالم اليوم.

فالعدالة والمساواة التي نادى بها (ماركس) وغيره من الشيوعيين انهارت  
خلال أيام معدودات بعد جهد عشرات السنين لترسيخها وتطبيقها.

وها هي أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي نفسه يعودان إلى الفطرة الطبيعية  
للحياة، فيعترفان بضرورة وجود اختلاف بين البشر في وضعهم الاقتصادي  
والاجتماعي، وهذه حكمة المولى عز وجل حتى تسير الحياة طبيعية لا تعقيداً  
فيها.

وحين تدخل الإنسان لالغاء هذه الفوارق بين البشر؛ اضطربت الحياة  
وتعقدت، وأصبحت جحيماً لا يطيقه الإنسان ... وسقوط الشيوعية اليوم لأكثر  
دليل على أن العدالة والمساواة والتي اتسمت بها التربية الإسلامية هي الحق.



## ٥ . الأيجابية السوية :

مبادئ التربية الإسلامية تحث الإنسان على أن يتقن عمله ويوجهه دائما نحو الخير والصلاح والرقي والبناء .. لنفسه ووطنه وأمته، والآيات القرآنية التي تحث على ذلك عديدة جدا في كتاب الله سبحانه ؛ منها قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ [سورة البقرة الآية: ٨٢]، ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٦٠]، ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ [سورة النساء الآية: ١١٤]، ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون﴾ [سورة المائدة الآية: ٨]، ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ [سورة الكهف الآية: ٣٠]، ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾ [سورة التوبة الآية: ١٠٥]، ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [سورة النحل الآية: ٩٧].

فالتربية الإسلامية تحرك الجانب الايجابي الفطري في الإنسان، وتهذب وتصلق الاتجاهات أو الجوانب السلبية الفطرية لديه، وتحولها إلى قوة موجبة تعمل على إعمار الأرض أي أنها تعمل على غرس الأخلاق والسلوك الجيد الحسن الفاضل، وتمتق الأخلاق والسلوك السيء الرديء.

ومن السنة ماورد عنه صلى الله عليه وسلم من أحاديث تنظم علاقة الفرد بالمجتمع، وما جاء في صلة الأقراب والأرحام، وعدم التحاسد والتباغض والتدابير... روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحق الرحمن فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب، قال: فذاك - قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ [سورة محمد الآية: ٢٢] رواه البخاري ١٥٣٣/٣ الحديث (٤٨٣٠).

وروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لاتباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام" رواه البخاري ١٩١٥/٤، الحديث (٦٠٦٥).

وفي علاقة الفرد بالبيئة الطبيعية التي حياه الله إياها نجد أن الاسلام قد نظم تلك العلاقة حيث أمر الإنسان بأن لايسيء في إستخدام مكونات أو خيرات تلك البيئة أو يقوم بتغيير هيئتها أو شكل جمالها، بل عليه أن يتفجع بها على قدر حاجته. وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الخصوص منها: ماروي عن أبي بكر الصديق أنه قال في معرض نهى المجاهدين في التعرض للبيئة وضرورة المحافظة عليها: لاتقطعن شجرا، ولا تحزين عامرا. وكره الأوزاعي قطع الشجر المثمر وتخريب العامر كنيسة كان أو غير ذلك (بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج ١، كتاب الجهاد، ص ٣٨٦).

وهكذا نجد الشريعة الإسلامية تحثنا على الالتزام وتطبيق العديد من الأمور الإيجابية التي إن فعلها الإنسان عاش سعيداً في دنياه وقرت عيناه في آخرته وفي المقابل نهى الإسلام عن إتيان العديد من الأمور التي تعد من السلبيات. وفي الفصل القادم نتحدث عن هذه الإيجابيات والسلبيات التي هي بمثابة مبادئ وقيم جاء بها الإسلام.

## ٦ . الشمول والتكامل :

المبادئ والقيم التربوية الإسلامية تربي الإنسان كله: جسمه وعقله وروحه، وفطرة الإنسان تجعله لا يستطيع أن يفصل أو يفاضل بين متطلبات ورغبات هذه الأجزاء الثلاثة، وهذا ما يقصد بالشمولية، أما التكامل فيكون في الاهتمام بالعناصر الثلاثة بدرجة واحدة، وعدم التفضيل أو التركيز في التربية على أحدها على حساب الآخر، بل يكون هناك تناسق وتوازن بينها.

ونظرة الشمول والتكامل في التربية الإسلامية تتمثل في الغاية أو الهدف وفي الوسيلة، فهدف التربية الإسلامية تنشئة الإنسان على عبادة الله سبحانه وتعالى، ومفهوم العبادة في الإسلام يشتمل على كل أمر فيه خير وصلاح وفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة. فنظرة الشمول والتكامل في العقيدة أو العبادة تتضح من المبادئ والقيم العديدة التي أتى بها الشارع، فالإحسان للآخرين أن يحب الإنسان لأخيه ما يحبه لنفسه جزء مكمل لعبادة الله سبحانه وتعالى، كما أن التفكير في ملكوت السموات والأرض وتدبر آلاء الله وآياته في الكون جزء مكمل لعبادة الله سبحانه وتعالى. وبالتالي تأخذ التربية الإسلامية من الوسائل ما يحقق هذا الهدف، فهي لا تقتصر على أسلوب أو طريقة واحدة في التربية بل تشمل عدة

أساليب وطرق، ولا تفضيل لواحدة على أخرى بل يكمل كل منها الآخر. وبلوغ الهدف الأسمى للتربية نجدها لم تأخذ بأسلوب الترهيب أو التخويف من عذاب الله؛ بل أيضا كان هناك أسلوب الترغيب...

كما أن التربية الإسلامية لا تقتصر على الأسلوب النظري بل لا بد أن يكون هناك الجانب العملي والتطبيقي.

والتربية الإسلامية إضافة إلى أنها تهتم بالفرد كوحدة واحدة وبجميع عناصره وأجزائه، فهي لا تفصله عن محيطه الاجتماعي بل إنها تهتم به كجزء من المجتمع الذي يعيش فيه، وكجزء من الكون التي يتفاعل معها.

وفي التنسيق بين متطلبات ورغبات هذه الأجزاء الثلاثة (الفرد، المجتمع، الكون) لا يقتصر الأمر على الفرد وحده بل يكون التنسيق بينه وبين مجتمعه الذي يعيش فيه وبين المجتمع الإنساني عامة، وكذا يكون بينه وبين الطبيعة التي خلقها الله سبحانه وتعالى وسخرها له ليتعامل معها على الوجه الصحيح. قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ\* وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية الآية: ١٢-١٣]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْجَبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ\* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٠٤ - ٢٠٥].

ونظرة الشمول والتكامل في التربية الإسلامية تتضح أيضا من مبدأ أنها لا تهتم فقط بحياة الإنسان في الدنيا بل إنها تهتم بحياته في الآخرة، قال تعالى:

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب وهو زينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور\* سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [سورة الحديد الآية: ٢٠-٢١].

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها" (رواه أحمد في المسند: ج ٣، ص ١٨٤). - وروى البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه): "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر.. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" البخاري ١٦٣١/٤ والحديث (٥٠٦٣)، ومسلم ١٠٢٠/٢ الحديث (١٤٠١).

وفي تحقيق هذا الشمول والتكامل تقوم التربية بالتوازن والاعتدال في إعداد الإنسان لحياته الدنيا والآخرة. بحيث لا تكون حياته الدنيا رهبانيةً وانقطاعاً عن أمور الدنيا المباحة، كما لا تكون لهواً وانغماساً في ملذات الحياة.

فالحياة الدنيا ماهي إلا معبر سهل للحياة الآخرة . والنعيم في الحياة الآخرة يتوقف على صلاح الإنسان في حياته الدنيا.

## ٧. التوسط والاعتدال :

تمتاز المبادئ والقيم في التربية الإسلامية بالوسطية والاعتدال، فلا غلو ولا جنوح، بل توازن واعتدال في كل أمور الإنسان الدينية والدينية. فالله سبحانه وتعالى أمر بذلك حتى في عبادته وجعلها سمة من سمات الأمة الإسلامية: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا.﴾ [سورة البقرة الآية: ١٤٣]. ذكر سيد قطب في تفسير هذه الآية مايلي: أن الأمة الوسط هي التي تشهد على الناس جميعا فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، وتفصل بينهم، ويكون رأيها هو الرأي السديد، وأنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعنى المادي الحسي، و(أمة وسطاً) في التصور والاعتقاد: لا تغلو في التحرد الروحي، ولا في الارتكاس المادي ... (أمة وسطاً) في التفكير والشعور: لا تجمد ما علمت، ولا تغلق منافذ التجربة والمعرفة، ولا تتبع كل ناعق... (أمة وسطاً) في التنظيم والتنسيق: لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضماير، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب... (أمة وسطاً) في الارتباطات والعلاقات: لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا همّ له إلا ذاته... (أمة وسطاً) في المكان: في سرّة الأرض وفي وسط بقاعها.. (أمة وسطاً) في الزمان: تنهي عهد طفولة البشرية

من قبلها، وغرس عهد الرشد العقلي من بعدها. (سيد قطب: في ظلال القرآن: ج ١، ص ١٣٠ - ١٣١).

فإن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتوسط والاعتدال في العبادة حيث يقول عز من قائل: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ [سورة القصص الآية: ٧٧]، ﴿واتقوا الله ما استطعتم﴾ [سورة التغابن الآية: ١٦].

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتوسط والاعتدال حتى في الصلاة حيث يقول عز وجل: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ [سورة الإسراء الآية: ١١٠].

ومن دلائل التوسط والاعتدال إباحته التمتع بالزينة والطيبات من الرزق: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة..﴾ [سورة الأعراف الآية: ٣١]، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين\* وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ [سورة المائدة الآية: ٨٧ - ٨٨].

التوسط والاعتدال في الأكل والشرب: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [سورة الأعراف الآية: ٣١].

التوسط والاعتدال في الصرف والبذل والعطاء: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٣٥].

﴿٢٩﴾، ﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا \* إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [سورة الإسراء الآية: ٢٦-٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان الآية: ٦٧].

التوسط والاعتدال والتوازن في الاستعداد الفطري في الخوف والرجاء، فكما يخاف الإنسان من عذاب وعقاب الله تعالى؛ فإنه يرجو رحمته وغفرانه، فلولا وجود هاتين الغريزتين الفطريتين في الإنسان لما استقامت عقيدته، فيقدر ما حذر المولى عز وجل الإنسان من العذاب والعقاب وجعله يخافه ويخشاه؛ نجده سبحانه وعده بالمغفرة والرضوان، وجعل له رجاءً وأملاً، فالآيات التي تجمع بين الخوف والرجاء في كتاب الله عديدة جدا.

## ٨. الاستمرار والتجديد:

المبادئ والقيم التربوية الإسلامية خالدة حية متجددة، خلافا لمبادئ النظريات التربوية الوضعية التي تحكم بزمن معين ومكان محدد. وذلك ما ينطبق على الشرائع السماوية السابقة أيضا أما المبادئ والقيم التربوية الإسلامية فهي مستمدة من الوحي الخالد، الذي لم يأت لأمة، معينة، أو فترة محددة، أو مكان مخصص؛ وإنما هو صالح لكل زمان ومكان وشعب.

التربية الإسلامية تدعو إلى مواكبة التطور ومقابلة التغيير ومواجهة التحديات التي يتعرض لها المجتمع، فلا ركون ولا خمول في الإسلام، والإسلام ينبذ الجمود الفكري: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية الآية: ١٣].



والاستمرارية والتحديد في التربية الإسلامية ترجع إلى سعة الشريعة الإسلامية، حيث المبادئ والقواعد الرئيسية، وهناك باب الاجتهاد في الأمور الفرعية والجزئية.

يشهد كثير من علماء الغرب بالخاصية الشرعية الإسلامية، التي هي منبع للمبادئ والقيم التربوية، فيقول برناردشو: لقد كان لدين محمد تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ... وأرى واجبا أن يدعى محمد منقذ البشرية أو الإنسانية، وإن رجلا كشاكلته لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته ... (علوان: ج ١، ص ٦).

## ٩. الوضوح وعدم التناقض مع الدقة والإعجاز:

تكتسب مبادئ التربية الإسلامية هذه السمة من القرآن والسنة فهي من عند الله سبحانه وتعالى البديع المنسق والمحكم المنذر، وهذه السمة هي صفة للإسلام في مبادئه وأهدافه وقواعده ومناهجه ووسائله. وضوح في العقيدة، وفي التشريع، وضوح في الأخلاق والآداب والمعاملات والعبادات، لاغموض ولا رموز، ولا أحجية ولا طلاسم الإسلام لا يخاطب الصفوة الذكية من بني البشر فقط؛ بل هو يخاطب كل عقل مهما اختلفت وتفاوتت درجات الذكاء، فهو يناسب الجميع. وحين يتسم الإسلام بالوضوح والبساطة فليس معناها السذاجة والسطحية ولكنها البساطة العميقة القائمة على العقل والفهم والادراك والترابط المنطقي للعناصر. فآيات القرآن فيها من الوضوح والإحكام والتركيز والبلاغة ما يعجز عنه البشر، وكذا جاءت المبادئ التربوية الإسلامية واضحة في معناها وأهدافها وطرق

تنفيذها، فلا يجد الإنسان مشقة في فهمها وتطبيقها حيث إنها لا تتعارض مع فطرة الإنسان، وليس فيها غموض أو جنوح أو تحيز.

حددت للإنسان مسؤوليته، والمنهج الذي يسير عليه: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَاسِعِي\* وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى\* ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ [سورة النجم الآية: ٣٩-٤١]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا\* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا\* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا\* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس الآية: ٧-١٠].

## ١٠. المرونة والثبات:

من مزايا التربية الإسلامية أنها تجمع بين الثبات والمرونة، فالثبات في الأصول والأهداف والمرونة في الفروع والوسائل.

وخلافا للمبادئ والقيم التربوية في النظريات الوضعية، التي قد تأخذ جانبا واحدا هو التغيير والتطور أو التمسك والالتزام فتصبح متأرجحة بين إفراط وتفریط، في حين أن مبادئ وقيم التربية الإسلامية جمعت بين الثبات والتطور، وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومته وخلوده وصلاحه لكل زمان ومكان وجيل ...

إن الثبات في الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب. الثبات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات. الثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية.

وصفة المرونة والثبات في المبادئ والقيم الإسلامية برهن عليها سلوك المصطفى صلى الله عليه وسلم معلم هذه الأمة، الذي لا ينطق عن الهوى، فأمره

المولى عز وجل بأن يصبر، والثبات من مكملات الصبر: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ [سورة الأحقاف الآية: ٣٥].

ويتحلى ثباته صلى الله عليه وسلم على المبدأ في قولته المشهورة: "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه" (رواه الطبري في تاريخه: ج ٢، ص ٣٢٦).

وهكذا كان صحابته (رضوان الله عليهم): ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٢٣].

والآيات الدالة على مرونة الإسلام ومسايرته لظروف الإنسان وعدم تكليفه ما لا يطيق، ومع التكليف بما هو مستطاع جعل المرونة في التطبيق على من مر به ظرف طارئ، أو أمر قاهر؛ كالمرض والسفر والحيض والنفاس... فشرع الرخص: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٥]، ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان..﴾ [سورة النحل الآية: ١٠٦].

وصفة الثبات والمرونة هذه تتحلى بصورة أوضح في القيم أكثر منها في المبادئ، ويتضح لنا ذلك إذا ما رجعنا إلى الفصل الثاني الذي يحدد مفهوم المصطلحين.

## ١١. الدعوة إلى العلم:

لم تكن هناك مبادئ وقيم تدعوا إلى طلب العلم والتعلم كذلك التي جاء بها الإسلام. ويحق القول بأن الإسلام دين العلم، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية

التي تتحدث عن العلم والتعلم عديدة ويكفي المسلمين فخراً أن أول سورة نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تدعو إلى العلم، فحددت معناه ومصدره وأهدافه ووسائله، فكانت شاملة جامعة. قال تعالى: ﴿إِقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [سورة العلق الآية: ١ - ٥].

المتدبر في معنى إقرأ يجد أنها تفيد النظر والتدبر والتفكير والتمعن والاعتباط وهذه جميعها تحتاج إلى جهد عقلى وفكرى أكثر مما تتطلبه عملية القراءة والكتابة في معناها المؤلف.

المبادئ والقيم التربوية الدالة على العلم والتعلم المتضمنة في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم عديدة يصعب حصرها وفيما يلي أمثلة على المبادئ (وكما وضحنا أن من المبادئ تشتق القيم، والقيم هي عملية التمثيل أو التطبيق الفعلي للمبادئ).

١ - أن الله سبحانه وتعالى هو المعلم وهو مصدر العلم فلا يطلب الا منه. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِقرأ باسم ربك﴾ [سورة العلق الآية: ١]، ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]، ﴿الرحمن\* علم القرآن\* خلق الإنسان علمه البيان﴾ [سورة الرحمن الآية: ١-٤]، ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٨٥].

كما يدل عليه الأحاديث التالية: فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "اللهم علمه الكتاب" صحيح

البخاري كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم علمه الكتاب. ٢٥/١ الحديث (٧٥).

عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بيننا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الرى يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا فما أولته يارسول الله قال: العلم" صحيح البخاري ٥٤/١ الحديث (٨٢)، كتاب العلم، باب فضل العلم.

٢ - رفع الله سبحانه وتعالى درجة العلماء وأعلى من شأنهم. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة الآية: ١١]. قال ابن عباس رضى الله عنهما: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام (الغزالي - إحياء علوم الدين ج١، ص ٥).

كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم "إنه ليستغفر للعالم من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر" (رواه أبو الدرداء - سنن ابن ماجه، ٨٧/١ الحديث (٢٣٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" متفق عليه البخاري ٥٠/١ الحديث (٧١)، ومسلم ١٥٢٥/٣ الحديث (١٠٣٧/١٧٥) وزاد الطبراني في الكبير ويلهمه رشده.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "أن العلماء ورثة الأنبياء" أبو داود: ٥٨/٤ الحديث (٣٦٤١)، وابن ماجه - الحديث (٢٢٣)، والترمذي الحديث (٢٦٨٢) والامام البخاري أخرج هذا الحديث تعليقاً ولفظه "وإن العلماء

هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم" ٤٩/١ كتاب العلم - باب العلم قبل القول والعمل.

٣ - ان للعلم أثراً كبيراً وفضلاً في معرفة الحق: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر الآية: ٢٨]، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ بَيْنَهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٣٠]، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨].

والدليل على ذلك من السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يفقهه وإنما العلم بالتعلم" الامام البخاري أخرج هذا الحديث تعليقاً - ٥٠/١.

٤ - لم تقتصر دعوة الإسلام لطلب العلم نظرياً بل لا بد من التطبيق العملي. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ\* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف الآية: ٢-٣]، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٤٤]، ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحْمَدُونَ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨٨].

ومن السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع". ابن ماجه ٩٢/١ الحديث (٢٥٠).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أنفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً، والحمد لله على كل حال" سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٩٢ الحديث (٢٥١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية، قليت الماء، فأبنت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعمل ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" صحيح البخاري، ج ١، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم. ٥٣/١ - الحديث (٧٩)

٥ - الإسلام يدعو إلى العلم بمعناه الواسع الشامل ويدل على ذلك قوله تعالى:  
أ - من حيث تنوع المعارف والعلوم :

﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات الآية: ٢١].

﴿الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود\* ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور﴾ [سورة فاطر الآية: ٢٧ - ٢٨].

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به

الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴿ [سورة البقرة الآية: ١٦٤].

ب - من حيث اختلاف الوسائل والأساليب:

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [سورة الغاشية الآية: ١٧-٢٠]، ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [سورة النساء الآية ٨٢]

﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون﴾ [سورة هود الآية: ٢٤].  
﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ [سورة الأنبياء الآية: ١٠].

﴿كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ [سورة البقرة الآية: ٢١٩].  
ج - من حيث اختلاف اداة التعلم:

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ [سورة النحل الآية: ٧٨].

٦ - الإسلام يدعو الى الموضوعية ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا...﴾ [سورة النساء الآية: ١٣٥].

﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ [سورة الروم الآية: ٢٩].



ومن السنة: عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
"لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به  
المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار" حديث صحيح، سنن ابن ماجه ١/٩٣،  
الحديث (٢٥٤).

معلوم أن مصادر التربية الإسلامية هي نفسها مصادر الشريعة الإسلامية  
المعروفة، إلا أن الإسلام لم يغفل الخيرة البشرية كمصدر من مصادر المعرفة، ويدل  
على ذلك قوله تعالى:

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فساءلوا أهل الذكر إن كنتم لا  
تعلمون﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٧].

وقال تعالى:

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسأل الذين يقرءون الكتاب من  
قبلك...﴾ [سورة يونس الآية: ٩٤].

## مراجع الفصل الثاني

- القرآن الكريم
- مصادر الحديث (سبق ذكرها).
- قطب، سيد - في ظلال القرآن.
- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - دار المعرفة، بيروت، جزئين، الطبعة الأخيرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- علوان، عبد الله - تربية الأولاد في الإسلام.
- قطب، محمد - منهج التربية الإسلامية - جزءان، بسيروت، القاهرة، دار الشروط، ط ١.
- القرضاوي، يوسف - شريعة الإسلام (خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان) - بيروت - المكتب الإسلامي - ط ٢ - ١٣٩٧هـ.

## الفصل الثالث

# دراسة المبادئ والقيم التربوية الإسلامية من خلال التصور الإسلامي للإنسان

### تمهيد:

أولاً: مبادئ وقيم تربوية ترتبط بأصل الإنسان وتكوينه:

- ١ - خلق الإنسان في القرآن والسنة.
- ٢ - مكونات الإنسان في القرآن والسنة، (الجسم، الروح، النفس، العقل، القلب).

٣ - أصل الإنسان وتكوينه في فلسفات مختلفة.

ثانياً: مبادئ وقيم تربوية ترتبط بوظيفة الإنسان المسلم:

- ١ - مبادئ وقيم تربوية ترتبط بخالقه سبحانه وتعالى.
- ٢ - مبادئ وقيم تربوية ترتبط بالآخرين:
  - أ - مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفته زوجاً.
  - ب - مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفتها زوجة.
  - ج - مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفته والداً.
  - د - مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفته ولداً.
  - هـ - مبادئ وقيم تربوية من خلال علاقته بغير أفراد أسرته.
  - و - مبادئ وقيم تربوية من خلال علاقته بغير المسلمين.



## تمهيد:

الإسلام دين ومنهج حياة، ينفرد بنظرة فريدة وفهم معين لطبيعة الإنسان بصفة خاصة، وللحياة بصفة عامة. هذه النظرة تمتاز بالشمول والتكامل والسمو، بحيث تجعل لهذا المخلوق مزية خاصة ووظيفة معينة، يرتفع بها ويسمو على جميع الكائنات، وتجعل من الحياة حياتين يتمتع بهما المسلم: الحياة الدنيا وفيها متاعه وزينته، ولها معنى وطابع ووظيفة، تولد الشوق والحنين والمحبة للحياة الآخرة، قال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتزاه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور\* سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [سورة الحديد الآية: ٢٠ - ٢١].

هذه النظرة أو هذا التصور الإسلامي وإن كان يلتقي في بعض الجوانب الرئيسة أو الجزئية مع الأديان السماوية الأخرى، أو مع بعض المذاهب أو النظريات الفلسفية أو الاجتماعية (١)، إلا أنه يختلف عنها جميعاً في المفهوم العام ومن حيث الأساس الذي تنطلق منه هذه التصورات، وبالتالي نجد الاختلاف بينهما في الأهداف والمنهج، وهما اللذان أدبنا إلى تحديد مركز ومكانة الإنسان في هذا الكون. فالمنطلق الأساسي للنظرة الإسلامية للإنسان والحياة هو الإيمان بالله

---

(١) ليس مجال الدراسة البحث في هذا الموضوع. ومن أراد معرفة ذلك يمكنه الرجوع إلى كتاب دراسات في النفس الإنسانية للشيخ محمد قطب. أو غيره من المراجع.

سبحانه وتعالى وحده لا شريك له خالق الإنسان ومدبر هذا الكون وإليه الملجأ والمفرج والمآب. قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ...﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة الآية: ١١]. وهذا الإيمان هو المرجع الأساسي لكل المبادئ والقيم التي تؤمن بها التربية الإسلامية.

فالعقيدة الإلهية في جميع الثقافات والحضارات هي التي تشكل الأساس المرجعي لكل القيم التي تؤمن أو تدين بها الحضارة، فعقيدة التوحيد هي الأساس الأول الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية. (لمزيد من المعلومات راجع كتاب: النظرية التربوية في الإسلام للمؤلف: محمد جميل علي خياط: ص ٣٤-٣٨). يقوم هذا الجزء من الدراسة بتوضيح وتحلية بعض من المبادئ التربوية التي تضمنتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين النظرة الإسلامية للإنسان والكون والحياة، ومن هذه المبادئ يمكن لنا استنباط العديد من القيم التربوية. ولا أدعي القدرة على حصر كل تلك المبادئ والقيم، ولكن أقدم نموذجاً لها.

وسبق أن ذكرنا في الفصل الأول أن المبادئ والقيم لفظان متقاربان في المعنى إلا أنهما يختلفان في المفهوم الإجرائي؛ فهما يشتركان في التعبير عن فضيلة أو ظاهرة واحدة، فهما لفظان مرتبطان ويسيران في نسق واحد، فالمبدأ والقيمة هما معنى واحد بصورة عامة كما أن لكل منهما مفهومه ومعناه الخاص.

## أولاً: مبادئ وقيم تربوية ترتبط بأصل الإنسان وتكوينه

عند دراسة النفس الإنسانية فأول ما يتبادر إلى الذهن الأسئلة التالية: ما أصل الإنسان وماهيته؟ ما هي حدوده وطاقاته؟ وما سماته ومميزاته؟ وماهي وظيفته في الحياة؟ ... وغيرها من الأسئلة التي عجز الإنسان منذ القدم عن إيجاد الجواب الشافي عليها، وقامت لذلك نظريات عديدة، فشلت جميعها في كشف غور هذا المخلوق، وقد جنى بعضها على الإنسان وأخرجه من آدميته، وجعلت منه حيوانا شرسا وحطت من قيمته. ولن يجد الباحث إجابات شافية ومقنعة إلا فيما ورد في القرآن الكريم من حقائق عن الإنسان، فهي معلومات صادرة من خالق الإنسان، المطلع على أحواله، العالم بأسراره، المتكفل برزقه، المدبر لأمواره: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك الآية: ١٤]. وكذلك فيما ورد في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى.

## خَلْقَ الْإِنْسَانِ فِي الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ

الإنسان هو الموضوع الرئيس أو الأساس الذي تدور حوله آيات القرآن الكريم، التي أعطت التصور الشامل والكامل للإنسان: أصله، وماهيته، ووظيفته، ما يصلحه وما يفسده، قواه وقدراته، ما ينفعه وما يضره، صفاته الحسنة والسيئة، مصيره ونهايته...

فقد أوضح القرآن الكريم أن الإنسان أكرم الكائنات عند الله، خلقه في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة على ما لهم من منزلة عظيمة عند الله، واستخلفه في الأرض، وسخر له كل ما في الكون ليعينه على أداء الرسالة وحمل الأمانة. هذه كلها مبادئ ومدى مراعاة وتطبيق الإنسان لها في تعامله مع الآخرين تعد قيماً، فهذه المبادئ تحدد نوعية السلوك في تعامل الإنسان مع الآخرين...

والإنسان في نظرة الإسلام مكون من جزئين أو طبيعتين: مادة وروح، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ\* فَاذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة ص الآية: ٧١-٧٢]. وقال أيضاً: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ\* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ\* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ...﴾ [سورة السجدة الآية: ٧-٩].

ومعلوم أن المادة التي خلق منها الإنسان هي الطين، وهي مادة هذه الأرض ليسهل عليه العيش والإقامة فيها، وخلقه من الطين مرّ بمراحل عديدة قال تعالى:



﴿مالكم لا ترجون لله وقارا\* وقد خلقكم أطوارا﴾ [سورة نوح الآية: ١٣-١٤]. فمن التراب إلى الطين إلى الصلصال إلى الحمأ المسنون إلى الفخار، قال تعالى: ﴿ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب...﴾ [سورة الحج الآية: ٥]، ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ [سورة المؤمنون الآية: ١٢]، ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ [سورة الحجر الآية: ٢٦]، ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ [سورة الرحمن الآية: ١٤]. وخلق الإنسان من تراب وطين وصلصال وحمأ مسنون يمثل الأصل البعيد لخلقه، أما خلقه القريب فهو من نطفة ومن ماء مهين، قال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق\* خلق من ماء دافق\* يخرج من بين الصلب والترائب﴾ [سورة الطارق الآية: ٦-٧]، ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ [سورة يس الآية: ٧٧]، ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين\* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين\* ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ [سورة السجدة الآية: ٧-٩]. ووضع المولى عز وجل مراحل خلق الإنسان في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين\* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين\* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [سورة المؤمنون الآية: ١٢-١٤]، وفي قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾، إشارة إلى نفخة الحياة من الخالق سبحانه وتعالى في هذا الجنين بعد أن يبلغ غايته من التكوين الجسدي، وهذا يقابل نفخة الحق سبحانه وتعالى في آدم

(عليه السلام) بعد أن تم هيكله الجسدي، عندما أصبح صلصالا كالفخار.  
[الخطيب ص ١٨].

وموضوع النفخة أو الروح في الإنسان ذكره المولى عز وجل في أكثر من  
موقع في القرآن الكريم في مثل قوله عز وجل: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾  
[سورة السجدة الآية: ٢٩]، ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له  
ساجدين﴾ [سورة الحجر الآية: ٢٩]. وتكررت الآية في [سورة ص  
الآية: ٧٢].

كما خص الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة  
والسلام) بنفخة من روح الله، قال تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها  
من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٩١]. وقال  
أيضا: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا...﴾  
[سورة التحريم الآية: ١٢]. يقول سيد قطب في الظلال في شأن هذه النفخة  
وحقيقتها: "نحن نجهل كنه هذه النفخة ولكننا نعرف آثارها، فآثارها هي التي  
ميزت هذا الكائن الإنساني عن سائر الخلائق". ولقد بين المولى عز وجل أن  
الروح لا يعلم كنهها وأمرها إلا الله سبحانه وتعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل  
الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [سورة الإسراء  
الآية: ٨٥].

كما يذكر الشيخ محمد قطب أن "الإنسان خلق من قبضة من طين الأرض  
ونفخة من روح الله... قبضة من طين الأرض تتمثل في حقيقة الجسد: عضلاته  
ووشائجه وأعضائه وأحشائه.. والعلم يقول إن جسم الإنسان مكوّن من ذات

العناصر التي يتكون منها طين الأرض: الأوكسجين والأيدروجين والكربون والحديد والنحاس والكالسيوم والزرنيخ والصدوديوم والبوتاسيوم والمغنيسيوم... إلخ.. ويضيف: ونفخة روح الله تتمثل في الجانب الروحي للإنسان.. تتمثل في الوعي والإدراك والإرادة... تتمثل في كل "القيم" والمعنويات التي يمارسها الإنسان. فالخير والبر والرحمة والتعاون والإخاء والمودة والحب والصدق والعدل والإيمان بالله ثم الإيمان بالمثل العليا والعمل على تحقيقها في واقع الحياة... كل ذلك نشاط روحي، أو نشاط قائم على قاعدة روحية. "قطب: دراسات في النفس الإنسانية: ص ٤٣-٤٤].

أما الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلق الإنسان فمنها: مرواه مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم". صحيح مسلم ٢٢٦/٨، وفي رواية البخاري ومسلم قال صلى الله عليه وسلم: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيأتون آدم (عليه السلام) فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك... (مسلم ٤٩/٨ أبو داود ٥٤٨/٢ الفتح الرباني ١٤٧/١ اللؤلؤ والمرجان ٥١١/٣١) والفاظهم متقاربه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما. فحج آدم موسى. قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، واسجد لك ملائكته، واسكنك في جنته، ثم اهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذي

اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان لكل شيء، وقربك نجيا، فيكم وجدن الله كتب التوراة قبل ان أخلق؟ قال موسى: باربعين عاماً. قال آدم: فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى [طه الآية: ١٢١] قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فحج آدم موسى" واللفظ لمسلم أخرجه مسلم ٢٠٤٣/٤ الحديث (٢٦٥٢/١٥)، والبخاري ٢٠٦٨-٢٠٦٩ الحديث (٦٦١٤). وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن، والحبيث والطيب". (رواه أبو داود والترمذي وأحمد) أحمد ٤٠٦/٤، وأبوداود ٦٣/٥ الحديث (٤٦٩٣)، الترمذي ١٨٧/٥ الحديث (٢٩٥٥) وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال صلى الله عليه وسلم: "خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحوونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن" (البخاري كتاب الاستئذان باب بدء السلام). وروى ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد" (متفق عليه،

البخاري ٩٩٣/٢ الحديث (٣٢٠٨)، ومسلم ٢٠٣٦/٤ والحديث (٢٦٤٣)، وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله حين سئل: "أما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد". (البخاري ٨٨/٥، ١٠/٨) والحديث (٣٩٣٨).

## المبادئ والقيم المستنبطة من خلق الإنسان:

تعد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن خلق الإنسان، مبادئ تربوية ينبغي على الإنسان أن يستشعرها ويلتزم بها ويستنبط منها القيم ويطبقها في حياته اليومية. ويمكن تلخيص المعنى الإجمالي لتلك المبادئ في مبدأ عام هو: أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات وأستخلفه على الأرض. ومن هذا المبدأ الأساسي نستنبط العديد من القيم التربوية التي تحكم وتحدد سلوك الفرد وتعامله مع الله سبحانه وتعالى ومع الآخرين من بني جنسه أو غيرهم من مخلوقات الله. ومثال هذه القيم مايلي:

- ١ - التواضع وعدم التكبر والتعالي على الآخرين، لأن الإنسان مخلوق من التراب وسيعود إليه.
- ٢ - يجب على الإنسان أن يكون روحانياً في تعامله مع الآخرين، لأن نفخة الروح جزء في تكوينه، أي أن عليه أن يلتزم ما أمره الله به ويحْتَنَب ما نهاه عنه.
- ٣ - يحق للإنسان أن يعتز ويفخر بعلمه وجسمه.
- ٤ - يجب على الإنسان أن يستخدم جوارحه فيما يرضي الله سبحانه وتعالى فستكون شاهدة عليه يوم القيامة.

## مكونات الإنسان في القرآن والسنة

وقد وردت آيات وأحاديث عديدة تتحدث عن الأجزاء أو العناصر التي يتكون منها الإنسان وهي: الجسم، الروح، العقل، القلب، النفس.

### أولاً: الجسم:

وردت كلمة الجسم، أو الجسد، أو البدن في القرآن الكريم وتعني الهيكل أو القوام العام الذي يتكون منه الإنسان كما جاء في قوله تعالى: ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٤٧]، ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ [سورة المنافقون الآية: ٤]، ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٨]، ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ [سورة يونس الآية: ٩٢].

وجسد الإنسان يتكون من أعضاء ظاهرة عاملة، سخرها الله له واثمنه عليها ويوم القيامة تشهد له أو عليه، قال تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [سورة النور الآية: ٢٤]، ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ [سورة فصلت الآية: ٢١]، ﴿اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ [سورة يس الآية: ٦٥]. وهناك أعضاء وأجهزة خفية تعمل دون إرادة الإنسان كالجهاز التنفسي والقلب والأوعية الدموية والغدد والإفرازات المختلفة في جسم الإنسان، وفي هذا دليل على ضعف الإنسان واحتياجه إلى مولاه فإن الإنسان غير قادر على السيطرة على جسمه وحركات أعضائه وأجزائه، بل الله هو الخالق والمسيطر ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [سورة الذاريات الآية: ٢١].

(الجسد) ومن الأحاديث التي ورد فيها ذكر الجسم قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب" (البخاري ٤١/١ الحديث (٥٢)، كتاب الإيمان ٣٩)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "فإن لجسدك عليك حقا" (البخاري كتاب الصوم ٥٥، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" (أبو داود: ٦٣٥/١ الحديث (١٠٤٧)، والحاكم ٤١٣/١ (٤/١٠٢٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

## ثانيا: الروح:

اختلف العلماء الأوائل من السلف الصالح والمحدثون على إيجاد تعريف واحد ثابت للروح، وذكر بعضهم أن الروح والنفس والحياة شيء واحد وخالف آخرون هذا القول، ووردت كلمة (الروح) ومشتقاتها في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، وتضمنت معاني عديدة منها ما أوردها ابن القيم وهي:

أ - القوة والتأييد والنصر: كما في قوله تعالى: ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ [سورة البقرة الآية: ٨٧]، ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ [سورة المجادلة الآية: ٢٢]. بروح منه: أي بنصر من عنده، وسمي نصره روحا لأنه يحييهم.

ب - يقصد بها جبريل (عليه السلام) كما في قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [سورة الشعراء الآية: ١٩٣-١٩٤]،

﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ [سورة مريم الآية: ١٧]، ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا...﴾ [سورة النبا الآية: ٣٨]. أحد المعاني الواردة للروح في الآية الأخيرة هو جبريل (عليه السلام)، وقيل: ملك من الملائكة، وقيل: جند من جنود الله ليسوا من الملائكة، وقيل: هم أرواح بني آدم تقوم صفا. ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ [سورة القدر الآية: ٤].

ج - يقصد بها الوحي كما في قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [سورة النحل الآية: ٢] (ابن القيم، الروح، المسألة السابعة عشر، ص ٥٠١-٥٠٦).

د - خاصة بعيسى (عليه السلام) قال تعالى: ﴿وكلّمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [سورة النساء الآية: ١٧١].

هـ - يقصد بها القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا..﴾ [سورة الشورى الآية: ٥٢]. أي القرآن وهو من أمر الله.

و - يقصد بها شئ من الذات الإلهية (١): كما في قوله تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفضنا فيها من روحنا﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٩١]، ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفضنا فيه من روحنا﴾ [سورة التحريم الآية: ١٢]، ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ [سورة السجدة الآية: ٩]، ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [سورة ص الآية: ٧٢]، [سورة الحجر الآية: ٢٩].

جاء في فتح القدير في تفسير قوله تعالى: ﴿فنفضنا فيها من روحنا﴾ أضاف سبحانه الروح إليه، وهو للملك تشریفاً وتعظيماً، وهو يريد روح عيسى.



وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ ذلك أن جبريل نفخ في حيب درعها فجلت بعبسى عليه السلام.

﴿ونفخ فيه من روحه﴾ الإضافة للتشريف والتكريم وهذه الإضافة تقوي أن الكلام في آدم لا في ذريته وإن أمكن توجيهه بالنسبة الى الجميع.

﴿ونفخت فيه من روحي﴾ أي من الروح الذي أملكه ولا يملكه غيري وقيل هو تمثيل، ولا نفخ ولا منفوخ فيه. والمراد جعله حياً بعد أن كان جماداً لا حياة فيه.

ز - كما جاء في تعريف الروح بأنها جسم لطيف منبعه القلب الجسماني، وينتشر بواسطة العروق إلى سائر أجزاء البدن، أو هي اللطيفة العامة المدركة في الإنسان وعرفها ابن القيم بأنها النفس وهي المراد في قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي...﴾ [سورة الإسراء الآية: ٨٥]، (حوى، ص ٤٠).

وفي السنة النبوية الشريفة وردت أحاديث عديدة عن الروح منها قوله صلى الله عليه وسلم: "لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أحواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ...." الحديث رواه ابن عباس انظر مسلم بشرح النووي ٣١/١٣، ومسنند الإمام أحمد ٢٦٦/١.

---

(١) وعارض ابن تيمية هذا القول لأن الروح مخلوقة وليست جزءاً من الإله. (انظر: الفتاوى: ج ٤، ص ٢٢٦ - ٢٣٥). وذكر ابن القيم أن الروح المضافة إلى الخالق سبحانه وتعالى جاءت للتخصيص والتشريف. (انظر: ابن القيم: الروح، ص ٢٠٨).

## ثالثاً: النفس :

وردت كلمة نفس في القرآن الكريم بمعانٍ عدة منها:

١ - النفس: تشير إلى الذات الإلهية كما في قوله تعالى: ﴿وَيحذركم الله نفسه

والله رؤوف بالعباد﴾ [سورة آل عمران الآية: ٣٠].

٢ - النفس: تشير إلى أبينا آدم (عليه السلام) كما في قوله تعالى: ﴿وهو

الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع..﴾ [سورة الأنعام الآية: ٩٨].

٣ - النفس: وتشير إلى الذات البشرية كما في قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة

الموت﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨٥]، ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]، ﴿ونفس وماسواها﴾ [سورة الشمس الآية: ٧].

وحديثنا هنا مركز على النفس البشرية فهي ذلك العنصر الخفي في الإنسان

مثلها مثل العقل والروح، فما هي النفس وما مكانتها ووظيفتها وآثارها في

الإنسان على ضوء ما ورد في القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه

وسلم؟ وما هي المبادئ والقيم التربوية المرتبطة بها؟.

بمراجعة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نجد أن كلمة (النفس)

واشتقاقاتها المختلفة ورد ذكرها في مائتين وخمس وتسعين آية، تتضمن تلك

الآيات إجابة على التساؤلات السابقة فلنستعرض بعضها بإيجاز:

ماهي النفس؟: يوضح القرآن الكريم أن جسد الإنسان يلى، ونفسه ترتفع

إلى خالقها وهي هنا بمعنى الروح، قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها

والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى

أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [سورة الزمر الآية: ٤٢]،

﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ [سورة ق الآية: ٢١]. فتكون في نعيم أو في جحيم تنتظر يوم البعث، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ\* أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً\* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي\* وادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [سورة الفجر الآية: ٢٧-٣٠]. ونفس الكافر والملحد تنتزع انتزاعاً، وتنتظر صاحبها في جحيم قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةَ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية: ٩٣].

وفي السنة: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزلت إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ويجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها الروح الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ... الحديث". وأما أصحاب النفوس الخبيثة من الكافرين والمنافقين فقال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وإن العبد الكافر إذا كان في إنقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا و نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ... الحديث" (رواه الامام أحمد ٢٨٧/٤

و ٢٨٨ والسياق له بإسناد حسن، والحاكم (٣٧/١-٤٠) وقال: (صحيح على شرط الشيخين).

والنفس - والمقصود بها الإنسان كله - كما ورد ذكرها وتفسيرها في الآيات القرآنية؛ هي المسؤولة عن كل تصرفات الإنسان من خير وشر وإيمان وكفر وهدى وضلال واستقامة وفجور وإيها يتوجه الثواب والعقاب. والله سبحانه وتعالى خلق النفس وجعلها على الفطرة وحدد لها طريق الخير وطريق الشر، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ونفس وما سواها\* فأهملها فجورها وتقواها\* قد أفلح من زكاها\* وقد خاب من دساها﴾ [سورة الشمس الآية: ٧-١٠].

وردت كلمة النفس التي تشير إلى الإنسان في القرآن الكريم بمعانٍ عديدة منها:

١ - النفس ويقصد بها الذات البشرية، وتستخدم للتوكيد على الذات الإنسانية، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [سورة التحريم الآية: ٦]، وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين...﴾ [سورة النساء الآية: ٨٤]، ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي...﴾ [سورة المائدة الآية: ٢٥]، ﴿قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس...﴾ [سورة الكهف الآية: ٧٤].

٢ - النفس ويقصد بها الجزء المسؤول عن الإدراك والحس في الإنسان قال تعالى: ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ [سورة آل عمران

الآية: ٢٥]، ﴿واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً﴾ [سورة البقرة الآية:  
١٢٣] ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة...﴾ [سورة الأعراف الآية:  
٢٠٥].

٣ - النفس ويقصد بها ضمير الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿تعلم ما في  
نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [سورة المائدة الآية: ١١٦]، ﴿وتخفي في نفسك  
ما الله مبديه...﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٣٧].

٤ - النفس ويقصد بها الروح التي تبعث الحياة في الإنسان كما في قوله  
تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك  
التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات  
لقوم يتفكرون﴾ [سورة الزمر الآية: ٤٢].

٥ - النفس ويقصد بها سلوك الإنسان وتصرفاته كما في قوله تعالى: ﴿إن  
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم...﴾ [سورة الرعد الآية: ١١].

٦ - النفس ويقصد بها أصل الإنسانية الأول وهو آدم (عليه السلام) قال  
تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها...﴾ [سورة  
الأعراف الآية: ١٨٩].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاثة أنواع من الأنفس وبين أحوالها  
وصفاتها، وهي:

**١. النفس المطمئنة:** وهي التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد به أهل  
الإيمان في الدنيا وهي أعلاها مرتبة وشأنها، ارتبطت بالله سبحانه وتعالى، ورضيت  
بقضائه وقدره، وكان جزاء هذه النفس رضى الله ومغفرته: ﴿يا أيها النفس

المطمئنة\* ارجعي إلى ربك راضية مرضية\* فادخلي في عبادي\* وادخلي جنتي ﴿[سورة الفجر الآية: ٢٧-٣٠].

**٣. النفس اللوامة:** هي التي تلوم صاحبها حين الخطأ وارتكاب المعصية وتحاسبه على ما صدر منه، وقد اختار سيد قطب تفسير الحسن البصري لها حيث قال: "إن المؤمن والله ماتراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بمحدث نفسي؟. وإن الفاجر يمضي قدما ما يعاتب نفسه". ويسترسل سيد قطب فيقول: "فهذه النفس اللوامة المتيقظة النقية الخائفة المتوجسة التي تحاسب نفسها، وتلفت حولها، وتبين حقيقة هواها، وتحذر خداع ذاتها، هي النفس الكريمة على الله حتى لذكرها مع القيامة" (سيد قطب: في ظلال القرآن: ج ٦، ص ٣٧٦٨). قال تعالى: ﴿لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ\* وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾ [سورة القيامة الآية: ١-٢]. والنفس اللوامة تأتي في المرتبة الثانية بعد النفس المطمئنة.

**٣. النفس الأمارة بالسوء:** هي تلك التي تقود صاحبها إلى ارتكاب المعاصي واتباع هواها وشهواتها لاسيما ساعة طغيان الغريزة، وهي تظهر الجانب السلبي من الإنسان، وهذا ما حصل من امرأة العزيز مع يوسف (عليه السلام) حيث دعتها شهواتها إلى ظلمه والافتراء عليه، إلا أنها كما جاء في السياق القرآني آمنت بعقيدة يوسف (عليه السلام) بحطتها، قال تعالى حكاية عنها: ﴿وَمَا أْبْرِءُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمُ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة يوسف الآية: ٥٣].

## رابعاً العقل:

### ١- العقل في اللغة: بمراجعة القاموس المحيط ولسان العرب ومختار

الصحاح تبين أن العقل يأتي بمعنى الفهم والإدراك والعلم والتدبير والتمييز بين الخير والشر والحبس والنهي.. والعقل هو نور روحاني من الله سبحانه وتعالى ميز به الإنسان عن سائر الكائنات الحية.

ويأتي القلب بمعنى العقل ويراد به العنصر المدرك من جسم الإنسان والذي يهدي صاحبه ويرشده إلى الحق والخير، قال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها..﴾ [سورة الحج الآية: ٤٦].

والرجل العاقل هو الراجح البالغ الراشد، الجامع لأمره ورأيه، المتنزّه عن سفاسف الأمور، الكابح لشهواته وهواه. ورد في لسان العرب بأن العقل سمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يجبسه.

### ٢- العقل في القرآن الكريم: لم ترد كلمة العقل في القرآن الكريم

وإنما ورد فعل العقل بمختلف اشتقاقاته، وذكر ابن الجوزي أن فعل العقل ورد في القرآن الكريم في تسع وأربعين آية وبصيغ مختلفة تنحصر في: [ يعقلون، تعقلون، نعقل، يعقلها، عقلوها ] واستخدمت هذه الأفعال تارة للاستفهام أو النفي أو الترجي أو التقرير. (انظر: الجوزي: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة: ص ٥٥).

ونضيف إلى ذلك أن العقل استخدم للتعجب ومن ذلك قوله تعالى:

﴿يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ [سورة البقرة الآية: ٧٥]، ﴿كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ [سورة

البقرة الآية: ٧٣]، ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ [سورة يوسف الآية: ٢]، ﴿وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ [سورة القصص الآية: ٦٠]، ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ [سورة الفرقان الآية: ٤٤]، ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ [سورة الحج الآية: ٤٦]، ﴿قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ [سورة العنكبوت الآية: ٦٣]، ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ [سورة الأنفال الآية: ٢٢]، ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ [سورة البقرة الآية: ١٧١]، ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [سورة الملك الآية: ١٠]، ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [سورة العنكبوت الآية: ٤٣].

ومن تلك الآيات يتضح أن فعل العقل استخدم للدلالة على الإدراك والوعي والتفكير والتدبر والتأمل والاعتاظ والتمييز والمقارنة والتعلم.. فهذه كلها عمليات عقلية. والقرآن الكريم يربط بين العقل وقدراته في آيات عديدة تتحدث صراحة عن إحدى هذه العمليات، أو أنه يذكر أحد مشتقات العقل ويشير إلى هذه العمليات.

### **مرادفات العقل الواردة في القرآن الكريم:** كما سبق أن

بيننا أن كلمة العقل لم ترد في القرآن الكريم، وإنما وردت اشتقاقاتها، وكذلك وردت ألفاظ أخرى دلت على العقل أو العمليات التي يقوم بها العقل ومن هذه الألفاظ:



١. **اللَّبْ وَجَمَعَهَا أَلْبَابٌ**: ورد في ستة عشر موضعا من القرآن الكريم

ويراد به العقل. (عبد الباقي المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص ٦٤٤) منها قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٧٩]، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الرعد الآية: ١٩].

٢. **الْحُلْمُ**: ورد في القرآن الكريم بمعنى العقل وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [سورة الطور الآية: ٣٢]. كما وردت في موضعين آخرين من القرآن الكريم بمعنى البلوغ والرشد ووصول الإنسان إلى مرحلة الإدراك كما في قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [سورة النور الآية: ٥٨]، ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة النور الآية: ٥٩].

٣. **النُّهَى**: ورد هذا اللفظ بمعنى العقل في موضعين في القرآن الكريم، قال

تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [سورة طه الآية: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [سورة طه الآية: ١٢٨].

٤. **الْحِجْرُ**: ورد في القرآن الكريم بمعنى العقل كما في قوله تعالى:

﴿وَالْفَجْرِ\*  
وَلِيَالٍ عَشْرٍ\*  
وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ\*  
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ\*  
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [سورة الفجر الآية: ١-٥].

العقل في السنة: ورد لفظ العقل ومشتقاته في أحاديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعدة معانٍ تفيد الإدراك والاستيعاب والحفظ والوعي والرشد.

والملاحظ أن لفظ العقل أكثر ما ورد في القرآن الكريم بالصيغة الفعلية في حين ورد هذا اللفظ في السنة بالصيغتين الفعلية والإسمية، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلنا بلى قال فذلك من نقصان عقلها" (البخاري كتاب الشهادات باب شهادة النساء ج ٣ الحديث ٢٦٥٨). والقرآن الكريم وضع ذلك فقال: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٨٢]. وفي حديث آخر: حين أتى معاذ بن مالك الأسلمي يعترف بالزنى أمام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً؟. فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل" (صحيح مسلم ج ١١، ص ٢٠٢).

ولقد أولى الإسلام العقل أهمية كبرى لأنه أحد الطرق الرئيسة التي يتلقى بها الإنسان العلم والمعرفة فأيات التدبير والتذكر والتأمل والاتعاظ والتمييز والمقارنة وجميعها عمليات يقوم بها العقل عديدة لا حصر لها في القرآن الكريم، كما أن العقل أساس الدين، فقبول الدين لا يكون إلا بعد تمحيص وتفكير ودراسة، وهذا لا يقدر عليه من لا عقل له، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٥٦]. وقال صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل" رواه أحمد ١٠٠/٦، وأبو داود ٥٥٨/٤ الحديث (٤٣٩٨)، والحاكم ٣٨٩/٤.

ولبيان أهمية العقل يرى بعض العلماء أن من أوجب الواجبات على الإنسان الناضج أن ينظر ويتفكر في الكون ليصل إلى معرفة الخالق وقدرته.

## خامساً: القلب:

وهو الجزء الأساس والعنصر الرئيس في الإنسان، عليه تتوقف حياته، وهو عضلة بحجم قبضة اليد تقريبا، وقد رأينا عند دراستنا للعقل أن من أسرار القرآن وعجائبه أنه لم يتحدث عن العقل ذاته بل تحدث عن وظائفه والعمليات التي يقوم بها حيث إن العقل جزء غير منظور وإن كان المخ كما يقول الطب هو مصدر تلك العمليات، إلا أننا نجد أن القرآن الكريم يذكر بوضوح وظيفة القلب، أو العمليات التي يقوم بها، فهو مصدر الإدراك والإحساس والسمع والحس والفهم والتدبر، وهو مكان الخوف والرجاء والحب والكراهة، وهو المسيطر على كل حركات وانفعالات الإنسان فهو مصدر صلاحه وفلاحه، أو فساده وشقائه، فإذا صلح صلحت حياة الإنسان وإذا فسد فسدت حياته. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَأْيُهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ.. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدْ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ..﴾ [سورة المائدة الآية: ٤١]. والمؤمن يدعو دائما بقوله: ﴿ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ [سورة آل عمران الآية: ٨]. ويدعو فيقول: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على الإيمان.

وقد وردت كلمة (القلب) واشتقاقاتها في القرآن الكريم في مائة واثنين وثلاثين آية؛ توضح وظائف القلب؛ ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا..﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٧٩]، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا..﴾ [سورة محمد الآية: ٢٤]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا..﴾ [سورة الحج الآية: ٤٦]،

﴿.. ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٠٠]، ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم..﴾ [سورة الأنفال الآية: ٢]، ﴿وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتزددون﴾ [سورة التوبة الآية: ٤٥]، ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٢٦].

والقلب مستقر الإيمان والتقوى قال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ [سورة الحجرات الآية: ١٤]، ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ [سورة المجادلة الآية: ٢٢]، ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [سورة النحل الآية: ١٠٦]، ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى..﴾ [سورة الحجرات الآية: ٣]، ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق...﴾ [سورة الحديد الآية: ١٦].

كما أنه يكون محلا للكفر والنفاق قال تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية..﴾ [سورة الفتح الآية: ٢٦]. وقال أيضا: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم...﴾ [سورة الأنفال الآية: ٤٩].

كما أن الإيمان بالله سبحانه وتعالى والالتزام بهديه ينير القلوب: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة..﴾ [سورة الحديد الآية: ٢٧]، ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [سورة الرعد الآية: ٢٨]، ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب﴾ [سورة الحج الآية: ٣٢].

وهو مسؤول عن كل ما يفعله الإنسان قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٢٥].

## **المبادئ والقيم المرتبطة بمكونات الإنسان:**

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية السابقة التي تحدثت عن مكونات الإنسان هي مبادئ رئيسة تتضمن العديد من القيم ملخصها فيما يلي:

### **١. فيما يخص جسم أو جسد الإنسان:**

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في هذا الموضوع كلها مبادئ يجب على الإنسان أن يلتزم ويستشير بها في حياته، ومعاني الآيات والأحاديث يمكن أن نجملها في المبدأ التالي:

أن جسم الإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى وهو ملك لله، أودعه الله عند الإنسان أمانة، فعليه أن يحافظ عليه ويستخدمه فيما أمره الله به ويجنبه ما نهاه الله عنه.

ومن هذا المبدأ تستنبط العديد من القيم منها:

أ - حماية هذا الجسم من الهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم الآية: ٦].

ب - يحافظ الإنسان على سلامة وصحة جسمه وذلك باتباع الإرشادات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - منها:

١ - الاهتمام بالتغذية من حيث الكم والكيف: الإبتعاد عن الأطعمة المحرمة، عدم الإكثار من الأكل وجعل ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للهواء، وعدم الأكل إلا إذا كان الإنسان جائعاً.

٢ - التداوي وإتخاذ الاحتياطات الصحية اللازمة فالوقاية خير من العلاج... ومنها اتباع النصائح النبوية في الاهتمام بالنظافة، والغسل، والسواك، والحجامة... الخ.

٣ - الاهتمام بالتمارين الرياضية التي تحفظ للجسم حيويته ورشاقته..

### ٣. فيما يخص العقل:

كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل وهو أساس التكليف. فهو جوهرة ثمينة يجب على الإنسان المحافظة عليه. هذا مبدأ أساسي، والقيم التي تستنبط منه مثلها:

١ - استخدام العقل في الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى بآلائه واسمائه وصفاته.

٢ - استخدام العقل في طلب العلم النافع فبه يزكى.

٣ - تحرير العقل من التقليد الأعمى والوهم والخرافة.

٤ - تخريب العقل كل ما يضره: مادياً كتعاطي المخدرات والمسكرات، السهر في اللعب واللهو، ومعنوياً حمايته من الغزو الفكري... وهو كل فكر ضال ومضل.

### ٣. فيما يخص الروح أو النفس:

- إن النفس أو الروح لا تبلى بعد موت الإنسان بل ترتفع إلى خالقها، وتكون إما في نعيم أو في جحيم تنتظر يوم البعث والحساب، والإيمان بهذا المبدأ يجعل الإنسان دائم التفكير: لأن يجعل نفسه وروحه في نعيم.

- إن النفس هي المسؤولة عن جميع تصرفات الإنسان من خير وشر، وإيمان وكفر، وهدى وضلال، واستقامة وفجور... القيمة: تربية النفس وتهذيبها لكي تسير في طريق الإيمان والهدى والاستقامة.

- إن النفس هي التي تتلقى الثواب أو العقاب فليسع الإنسان إلى ثوابها لا إلى عقابها.

- إن النفس خلقها المولى عز وجل وجعلها على الفطرة هذا هو المبدأ الذى نؤمن به، والقيمة المستنبطة منه هي أن يسعى الإنسان الى أن يوجهها ويسيرها إلى الخير أو الشر.

- إن النفس تكون على سبع مراتب:

١ - النفس الأمارة بالسوء: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي...﴾ [سورة يوسف الآية: ٥٣].

٢ - النفس اللوامة: ﴿لا أقسم بيوم القيامة\* ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ [سورة القيامة الآية: ١-٢].

٣ - النفس الزكية: ﴿قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾ [سورة الكهف الآية: ٧٤].

٤ - ٥ - ٦ - النفس المطمئنة، النفس الراضية، النفس المرضية: ﴿يا  
أيتها النفس المطمئنة\* ارجعي إلى ربك راضية مرضية\* فادخلي في عبادي\*  
وادخلي جنتي﴾ [سورة الفجر الآية: ٢٧-٣٠].

٧ - النفس المؤمنة: قال صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة إلا نفس  
مؤمنة" (أحمد في المسند ج ١، ص ٧٩).

هذه المبادئ تؤمن بها ونطبقها في قيم منها: أن المؤمن يعمل دائماً على  
إصلاح نفسه والإرتقاء بها إلى أعلى منازلها وعلى أن تكون نفسه مطمئنة  
راضية زكية آمنة.

#### ٤ . فيما يخص القلب:

القلب وكما جاء في القرآن الكريم يقوم بوظائف منها الإدراك والاحساس  
والسمع والفهم والتدبر وهو مكان الايمان والتقوى والخوف والرجاء والحب  
والكره، وهو المسيطر على كل حركات وانفعالات الانسان، فإذا صلح صلحت  
حياة الانسان وإذا فسد فسدت حياته. هذا المبدأ الاساسي الذي تؤمن به...  
والقيم التي يجب أن نلتزم بتطبيقها هي:

أ - المحافظة على القلب مادياً ومعنوياً.. والمحافظة المادية تكون بعد الحاق أي ضرر  
أو أذى به سواء بالتدخين أو المسكرات أو الاكثار من المأكولات التي تسبب زيادة  
الكوليسترول في الدم والذي يؤدي الى انسداد في شرايين القلب. والمحافظة المعنوية تكون  
بعد ارهاقه في اتباع هوى النفس وتقلباتها .. ومحاولة الابتعاد عن كل مايسبب  
الانفعالات.

ب - من أفضل السبل للمحافظة على القلب الاكثار من ذكر الله سبحانه  
وتعالى والالتزام بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم.



## أصل الإنسان وتكوينه في فلسفات مختلفة

لا مجال هنا للخوض في الجدل الفلسفي لبعض علماء المسلمين من الفلاسفة والمفكرين، من أمثال: ابن سينا، وابن مسكويه، والغزالي .. من القدامى، ومحمد إقبال .. من المحدثين ؛ حول مفهوم الإنسان وتكوينه من جسم وعقل وروح أو (قلب) لاسيما أن هؤلاء تأثروا بالفلسفة اليونانية والرومانية، وتأثر إقبال بصفة خاصة بطبيعة الحياة الدينية في الهند وفلسفاتها المختلفة، ولهم جميعا آراء متطرفة، وتفسيرات غريبة للنفس والروح والقلب والعقل، ومن أراد معرفة آرائهم يمكنه الرجوع إلى بعض المراجع المدونة في نهاية هذا الفصل . لاسيما كتاب الأستاذ: محمد قطب: دراسات في النفس الإنسانية، وكتاب الأستاذ: عبد الكريم الخطيب: الإنسان في القرآن من البداية إلى النهاية.

وقال بعضهم في شأن: الروح، والنفس، والعقل: إنها عبارة عن لطيفة ربانية لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى، ولها حالات واعتبارات: فمن حيث إنها تقوم بمهمة الإدراك والتفكير تسمى عقلا، ومن حيث إن بها حياة الجسم وبقائه تسمى روحا، ومن حيث تأثرها بالشهوات تسمى نفساً. (السائح: ص ٣١١).

كما أنه لا مجال هنا للتوسع في نقد نظرة الغربيين والشرقيين حول تكوين الإنسان، فنظرتهم تختلف باختلاف الفلسفة التي يركن إليها الفيلسوف، أو باختلاف الهدف والغاية التي يسعى لتحقيقها العالم أو المفكر . فمنهم من ينظر إلى الإنسان نظرة مادية مجتة، أي يقدر الإنسان بمقدار المواد التي يتكون منها جسمه. وقد ذكر الشيخ الغزالي أن أحد العلماء رد جسم الإنسان إلى العناصر

الأساسية فيه فخرج بالتتابع التالية: إذا جئنا بإنسان زنته مائة وأربعون رطلا، وأمعنا النظر في تكوينه وجدنا بدنه يحتوي على المواد التالية: قدر من الدهن يكفي لصنع سبع قطع من الصابون، قدر من الكربون يكفي لصنع سبعة أقلام رصاص، قدر من الفوسفور يكفي لصنع عشرين رأس عود ثقاب، قدر من ملح المغنيسيوم يصلح كجرعة واحدة لأحد المسهلات، قدر من الحديد يمكن عمل مسمار متوسط الحجم منه، قدر من الجير يكفي في تبيض بيت الدجاج، قدر من الكبريت يظهر جلد كلب واحد من البراغيث التي تسكن في شعره، قدر من الماء يملأ برميلا سعته عشر جالونات . وهذه المواد تشتري من الأسواق بمبلغ من المال يساوي خمسين أو ستين قرشا مصريا وتلك هي قيمة الانسان " . (الغزالي: نظرات في القرآن: ص ٥٨-٥٩).

فالماديون لا يعيرون أية أهمية للجانب الروحي أو الفكري للانسان . بل وصل بهم الأمر إلى حد اعتبار الإنسان واحداً من الهوام أو الحشرات العديدة، فهو حيوان ضمن المخلوقات، وخير تمثيل لهذه النظرة ما جاء في النظرية الداروينية (التطور والارتقاء). وكل ما جاء في هذه النظرية منافٍ لما قاله الحق تبارك وتعالى خالق الإنسان.

"يقول (جوليان هكسلي) في كتابه: الإنسان في العالم الحديث: إنه بعد (دارون) لم يعد في وسع الإنسان إلا أن يعتبر نفسه حيوانا، وتلك ملاحظة صادقة بالنسبة للداروينية ونظرتها للإنسان فمما لاشك فيه أن (دارون) قد رد الإنسان حيوانا ثم لم يرفعه من وهدة الحيوانية التي أنزله إليها برغم أن إيجاد نظرية التطور ذاتها كان يقضي إعطاء الإنسان مكانة متميزة بفضل خصائصه المتميزة التي

حصل عليها في أثناء التطور وذلك بفرض أن النظرية صحيحة من الألف للياء".  
(قطب: دراسات في النفس الإنسانية: ص ٣٥٧).

وقد وجدت هذه النظرية في بادئ الأمر قبولا من الرأسماليين والشيوعيين، حيث إنها كانت تخدم أغراضهم. ومن المعلوم أن هذه النظرة المادية البحتة لأصل الإنسان وتكوينه؛ لها آثارها السلبية العديدة التي أثرت بالتالي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية؛ تأثيراً سلبياً وعنهما نتج تفسير (كارل ماركس) للحياة؛ حيث فسر التاريخ الإنساني تفسيراً مادياً بحتاً ومنه جاء المذهب الشيوعي الملحد. ونحمد الله سبحانه وتعالى أننا نرى اليوم عياناً وبيانا سقوط المبادئ الشيوعية في محاضنها الأصلية. كما تأثر (فرويد) بهذه النظرة المادية للإنسان؛ فجاءت نظرتة للإنسان على أنه كائن أرضي، لا ترتقي مشاعره وعواطفه من عالم الأرض. وبني على ضوء ذلك نظرياته وآراءه، التي تعتبر الطاقة البهيمية البحتة هي الكيان الحقيقي للإنسان، وأن أي محاولة لتعديل ذلك يعد تدخلا في طبيعة ذلك الكيان (قطب: دراسات في النفس الإنسانية: ص ٢٠).

إلا أن التاريخ أثبت بطلان وجنوح الثرثرة والهديان الدارويني والفرويدي .. وسقطت تلك الأفكار والنظريات اليوم في الغرب قبل الشرق، وهذه النظرة المادية المتطرفة الحديثة... جاءت كرد فعل لتصرفات الكنيسة المتطرفة في تقديس الروح؛ فمعلوم أن المسيحية جاءت بعد مبالغة بني إسرائيل والعالم الروماني في التشبث بعالم الأرض والمادة، فجاء المسيح (عليه السلام) بدعوته الروحانية التي ترتفع بالإنسان إلى عالم السماء، إلا أن أتباع المسيح بالغوا في جانب الروح وأهملوا الجسد كلياً، وهذا التزمت والتشدد من جانب الكنيسة هو الذي دفع

الإنسان إلى كراهية الجانب الروحي في حياته، الذي يربطه بالخالق جل وعلا، فعاد إلى سيرته السابقة وفسر وجوده ماديا.

أما أصحاب المدرسة التجريبية فقد وضعوا الإنسان في المعمل واستخلصوا بعض النتائج عن حياته فعمموها على بني الإنسان، إلا أنهم لم يتناولوا إلا الجانب الجسدي من الإنسان، ولم يهتموا بالجانب الفكري أو الروحي في حياته .. ويضيف الشيخ قطب: في حين أن المدرسة السلوكية اعتبرت الإنسان مجموعة من العادات وردود الفعل المنعكسة التي قد تؤثر فيها البيئة، وساوت بين ردود الفعل عند الإنسان والحيوان، أي أنها لم تعر أية أهمية للجانب الفكري أو الروحي في الإنسان .

والمدرسة الميكانيكية نظرت إلى الإنسان كآلة، وفسرت سلوكه بقوانين الطبيعة والكيمياء وجردت الإنسان من إنسانيته. (قطب: الإنسان بين المادية والإسلام: ص ١٩). ومن خلال الملخص السريع الموجز، اتضح لنا هراء النظريات والأفكار التي تحدثت عن ذلك المجهول الذي حير العقول منذ زمن بعيد ألا وهو: الإنسان، وما قيل من نظريات وآراء عن أصله وتكوينه: إما أكاذيب باطلة، أو حقائق غير كاملة . وتمرور الأيام تستجد الدراسات والاكتشافات عن هذا الإنسان، وصدق الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. [سورة الذاريات الآية: ٢١].

ولقد اعترف بعض العلماء الكافرين الذين لا يؤمنون بالجانب الروحي وأثره في حياة الإنسان، كما لا يؤمنون بالنهاية التي يؤول إليها، أنهم توصلوا بتجاربههم وقياساتهم إلى ما لم يتوصل إليه غيرهم، فأقاموا النظريات وكونوا الفلاسفات

العديدة حول الإنسان وأصله وتكوينه يعترف بعضهم بعجزهم وفشلهم في معرفة أصل الإنسان وتكوينه فيقول (ألكسيس كارل) في كتابه: الإنسان ذلك المجهول: ص ١٧: "إن فكرتنا عن الإنسان تختلف تبعاً لإحساساتنا ومعتقداتنا، فالشخص المادي والشخص الروحي يقبلان نفس التعريف الذي يطلق على بلورة من الكلوريد ولكنهما لا يتفقان أحدهما مع الآخر في تعريف الكائن الحي .. وفي الحق لقد بذل الجنس البشري مجهوداً جباراً لكي يعرف نفسه ولكن بالرغم من أننا نملك الكثير من الملاحظات التي كونها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان، فإننا لم نستطع أن نفهم إلا جوانب معينة فقط من أنفسنا، إننا لانفهم الإنسان ككل .. إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة وواقع الأمر أن جهلنا مطبق."

ومما يجب التنبيه إليه هنا أن طالب العلم إن درس هذه النظريات والأفكار والفلسفات حول أصل الإنسان وتكوينه فإنه يجب ألا يدرسها على سبيل مقارنتها مع ما جاء في القرآن، فشتان ما بين قول الخالق وقول المخلوق، ولكن لا بأس من أن يبحث في تلك الآراء والأفكار ويناقشها مناقشة موضوعية، لا أن ينهر بها أو يجلّها، فما وافق القرآن نأخذ به، وخلافه نتركه، ونجعل المعيار والمقياس ما قاله الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

## ثانياً : مبادئ وقيم تربوية

### ترتبط بوظيفة الإنسان المسلم:

صدق الله العظيم القائل: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [سورة النحل الآية: ١٨]. فنعم الله سبحانه وتعالى الظاهرة والباطنة على الإنسان لاتعد ولا تحصى ولا تحصر؛ ومن هذه النعم ماهو مطلوب لذاته، ومنها ماهو مطلوب لغاية سعادة الآخرة؛ وهي السعادة التي يطلبها كل مؤمن، فمن فاز بها فاز بجنة الخلد، وبالحياة السرمدية الدائمة، وبالصحبة المباركة، وبالسرور الكامل والهناء التام.

والنعم المطلوبة لذاتها في الحياة الدنيا كالصحة والمال والجاه والبنين هي أيضا تعين على بلوغ سعادة الآخرة إن وجهها واستخدمها الإنسان لذلك. ومن أجل هذه النعم وأبرزها تفضيل الله سبحانه وتعالى الإنسان على العالمين: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٧٠].

ويبرز هذا التكريم والتفضيل في تكليف الإنسان وتحمله المسؤولية التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها. والمسؤولية أو الأمانة التي حملها الإنسان هي عبادة الله سبحانه وتعالى والدعوة إلى توحيده ومحبته وكمال طاعته. قال القرطبي: "أصل العبادة التذلل والخضوع وسميت وظائف الشرع للمكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين لله تعالى متذللين له". ولا تقتصر العبادة على أداء الشعائر الدينية فحسب؛ بل هي ترتبط بكل ما في حياة الإنسان الدنيوية من نشاطات وأعمال في مجال الاقتصاد والسياسة والشؤون الاجتماعية

ورعاية الأسرة، بل حتى في لذة الإنسان المباحة إذا قصد بها خيراً .. كل ذلك يؤدي إلى فوزه وفلاحه في الآخرة: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ\* لِأَشْرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. [سورة الأنعام الآية: ١٦٢-١٦٣]. وأوجه العبادة المختلفة بهذا المعنى هي صلة العبد بخالقه، فإن حافظ عليها كان على صلة دائمة بالله ينعم برحمته ورضوانه، فأى تكريم أفضل من هذا؟! وعليه نقول: إن الوظيفة الأساسية للإنسان في هذه الحياة هي عبادة الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ\* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا\* إِنْ اللَّهُ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ [سورة الذاريات الآية: ٥٦-٥٨]. وحيث إن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه في حياة الفرد الدنيوية التي تقوده إلى الحياة الأخروية؛ فهي إذن الالتزام بالفروض والواجبات والسنن والمبادئ والقيم التي شرعها الله سبحانه وتعالى وترك ما نهى الله عنه، ونصنفها فيما يلي:

- ١ - مبادئ وقيم تربط بين الإنسان المسلم وخالقه سبحانه وتعالى، وهي متمثلة في أداء أركان الإسلام وتحقيق أركان الإيمان.
- ٢ - مبادئ وقيم تربط بين الإنسان المسلم والآخرين من بني جنسه، وتنظم العلاقة بين الناس؛ بين الراعي والرعية، والولد والوالد، وبين الأسر والمجتمعات .. وتبين لكل ذي حق حقه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [سورة التحريم الآية: ٦]. وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته". (رواه البخاري) في صحيحه ٧٧/٩، ومسلم ١٤٥٩/٣ الحديث (١٨٢٩).

٣ - مبادئ وقيم تربط بين الإنسان المسلم وبين ما يحيط به من مخلوقات الله سبحانه وتعالى الأخرى في هذا الكون الفسيح، قال تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئكهم المتقون﴾ [سورة البقرة الآية: ١٧٧]. (وهذه أفرد لها فصل خاص)

وعلى ضوء هذا التصنيف للمبادئ والقيم تتضح لنا وظيفة الإنسان كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم. وفي تعدادنا لها سنقتصر على سرد الآيات والأحاديث، فهي مبادئ تربوية يندرج تحتها العديد من القيم التربوية، نفترض وضوحها للقارىء.



## أ. مبادئ وقيم تربط المسلم بخالفه سبحانه وتعالى:

هذه المبادئ وما يندرج تحتها من قيم هي أصل العبادة وتتضمن مناسك وشعائر يؤديها الإنسان، كما أنها تشتمل على كل ماتقوم به النفس الإنسانية من عمل مشروع لتضع نفسها في علاقة مباشرة وصلة دائمة بالله سبحانه وتعالى، ونلخصها فيما يلي:

١ - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله: هي الواجب الأول أو الركن الأساس لدخول الإنسان في بناء الإسلام، وهذه الشهادة تلزم الإنسان القيام بما يليها من أركان الإسلام ومبادئ الإيمان . ومكاتها عالية عند الله تعالى، فهي الحد الفاصل بين الحق والباطل، من قالها وجبت له الجنة . فلا إله إلا الله - أي لا معبود بحق سواه - تنفي العبادة لغير الله . وشهادة أن محمدا رسول الله تعني طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أحرر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع. قال صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة". البخاري ١٨٥٩/٤ الحديث (٥٨٢٧)، مسلم ٩٥/١ الحديث (٩٤/١٥٤). ولا يفهم منه أن مجرد التلفظ بها يكفي للدخول في الإسلام وضمن دخول الجنة دون القيام بالوظائف والواجبات التي تنطوي عليها ؛ كالصلاة والزكاة .. وبقية أركان الإسلام، فالشهادة وحدها دون باقي الأركان لا يتم بها الإيمان ولذلك قاتل الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) مانعي الزكاة استنادا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"

مسلم ٥٢/١ الحديث (٢١/٣٤) . وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة" (رواه مسلم) ٥٣/١ الحديث (٢٢/٣٦)، والبخاري ٣٢/١ الحديث (٢٥). ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصدقات وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ [سورة التوبة الآية: ٥]، ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ [سورة التوبة الآية: ١١]. وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) حين بعثه إلى اليمن فقال له: "ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم" (رواه البخاري) في صحيحه ١٣٠/٢، وأحمد ٢٣٣/١ الحديث (٢٠٧١) ..

## ب. الصلاة:

أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان في آيات عديدة بأن يؤدي الصلاة قال تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ [سورة النساء الآية: ١٠٣]، ﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون﴾. [سورة الأنعام الآية: ٧٢]، ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ [سورة هود الآية: ١١٤]، ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق﴾ [سورة إبراهيم الآية: ٣١] ... وغيرها من الآيات التي

تحت على أداء الصلاة، إضافة إلى الأحاديث السابق ذكرها في الشهادة مقرونة بالصلاة والزكاة، نذكر قوله صلى الله عليه وسلم: حيث قال: "إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم: الصلاة، قال يقول ربنا عز وجل لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها، فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا، هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم". (أبو داود برقم (٨٦٤)، وأحمد ٤٢٥/٢ برقم (٩٤٩٠)، وابن ماجه برقم (١٤٢٥)).

أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنه: "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا صلاة له، وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد" كثر العمال (المصنف لابن أبي شيبة - كتاب الإيمان (٢/١٨٤)، والمعجم الكبير للطبراني (١/١٩/٣) بسند حسن. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: "لا إيمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له" الترغيب للالباني ص ٢٣٠ رقم (٥٧٤)، التمهيد لابن عبد البر ٢٢٦/٤. وقال الشيخ الشعراوي: "إن الصلاة تختلف عن كل الأحكام بأن فرضت من الله مباشرة.. ولم يشأ الله في مقام قرب الرسول منه في حادث المعراج إلا أن يرده بما يقرب المؤمنين برسول الله من الله، فكانت الصلاة هدية القرب للقرب، ولم يستأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بالتكريم.. ولا يد أن يرجعه الله بتحفة وهدية إلى من يؤمن به لتكون وسيلة إلى القرب أيضاً، ولذلك يقول الله: ﴿... واسجد واقرب﴾ [سورة العلق الآية:

١٩]، فكان السجود الذي هو أظهر مظاهر الخضوع في الصلاة هو الذي يقرب الإنسان إلى الله - القرب الذي اقتربه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه، فكان الله سبحانه وتعالى حياً محمداً صلى الله عليه وسلم حين قربه منه في الملائ الأعلی بأن حملة هدية لتكون لهم حظاً في القرب من الله، كما كان لرسوله حظه في القرب منه " [الشعراوي: ص ١٨]. قال صلى الله عليه وسلم: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء" مسلم ٤٩/٢-٥٠.

### **مبادئ وقيم تربوية مرتبطة بالصلاة:**

#### **١ - من القرآن الكريم:**

فيما يلي أمثلة لمبادئ رئيسة في الصلاة جاءت بها الآيات الكريمة ومنها تستنبط بعضاً من القيم:

أ - قال تعالى: ﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ [سورة العنكبوت الآية: ٤٥]. القيمة الأساسية المستنبطة من هذه المبادئ هي: أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

ب - قال تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً\* إذا مسه الشر جزوعاً\* وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين\* الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ [سورة المعارج الآية: ١٨-٢٣]. القيمة الأساسية المستنبطة من هذه المبادئ هي: أن الصلاة تغرس الطمأنينة، وتغرس الشجاعة وتغرس الكرم في النفس، حيث تربي المؤمن على التوكل على الله والاعتماد عليه.

ج - قال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [سورة البقرة الآية: ٤٥]. ﴿يأبها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ [سورة البقرة الآية: ١٥٣]. القيمة الأساسية المستنبطة من هذه المبادئ هي: أن الصلاة تؤدي إلى التخفيف من المصائب، والعون في الملمات.

د - قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون\* الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [سورة المؤمنون الآية: ١-٢]. القيمة الأساسية المستنبطة من هذه المبادئ هي: أن الصلاة تقود إلى الفلاح والنجاح.

هـ - قال تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة\* إلا أصحاب اليمين\* في جنات يتساءلون\* عن المجرمين\* ما سلككم في سقر\* قالوا لم نك من المصلين﴾ [سورة المدثر الآية: ٣٨-٤٣]، ﴿فويل للمصلين\* الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [سورة الماعون الآية: ٤-٥]. القيمة الأساسية المستنبطة من هذه المبادئ هي: أن الصلاة تؤدي إلى النجاة من النار.

## ٢ - من السنة النبوية:

أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبادئ أساسية تستنبط منها القيم وفيما يلي أمثلة لذلك:

أ - عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا" البخاري (١/١٣٣)، ومسلم ١٣١/٢-١٣٢، وعنه أيضا

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر" رواه مسلم برقم (٢٣٣/١٦). القيمة الأساسية المستنبطة هي: أن الصلاة تمحو الذنوب والخطايا مهما كان حجمها إن اجتنبت الكبائر.

ب - عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها... الحديث " (متفق عليه) البخاري برقم (١٤٣/١)، ومسلم برقم (٦٣/١). القيمة الأساسية المستنبطة هي: أن الصلاة من أفضل وأحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى.

ج - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه" (رواه البخاري، كتاب المواقيت، الباب الثامن). - ونقل صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه في الحديث القدسي قوله سبحانه وتعالى: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبيدني ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين قال: مجدني عبدي - [وقال مرة: فوض إلي عبدي] - فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبيدني ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم\* صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعبدي ولعبيدني ما سأل) رواه مسلم ٢٩٦/١ الحديث (٣٩٥/٣٨). القيمة الأساسية المستنبطة هي: أن الصلاة مناجاة للرب سبحانه وتعالى.

**ج. الزكاة:** أوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة على الإنسان المسلم، وجعلها ركناً أساسياً من أركان الإسلام، وإن تخلى المسلم عن هذه الوظيفة يعاقب، فتارك الزكاة عن تهاون عاص، أما إذا استحل تركها أو اعتقد عدم فرضيتها، أو عدّها مغرماً، أو تركت جماعياً جحداً لها فإن ذلك كله كفر يستحق عليه القتل، وهذا ما فعله خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) مع الذين رفضوا دفع الزكاة . وقد أمرنا الله تعالى بإخراج الزكاة في عدد من الآيات في القرآن الكريم نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة النور الآية: ٥٦]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [سورة الزمل الآية: ٢٠]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٤٣]، ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٥٦]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ\* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ\* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ\* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [سورة المؤمنون الآية: ٤-١].

ولأهمية الزكاة نجد أن معظم الآيات التي تحت على دفع الزكاة اقترنت بالصلاة، فالصلاة حق لله تعالى والزكاة حق الفقراء، فهناك ست وعشرون آية اقترنت فيها الأمر بإقامة الصلاة مع إيتاء الزكاة. وقد توعد الله تعالى مانعي الزكاة بالعذاب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِشْرِهِمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ\* يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ

وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون ﴿ [سورة التوبة الآية: ٣٤-٣٥]، ﴿ولا يحسن الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة .﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨٠].

**وجوب الزكاة من السنة:** عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بني الإسلام على خمس: شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان" (رواه مسلم) ٤٥/١ الحديث (١٦/٢١)، وفي حق مانعي الزكاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة ويأخذ بلهزمته - أي شذقيه - يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا يحسن الذين يخلون .. الآية﴾" (رواه البخاري ١٣٨٥/١ الحديث (٤٥٦٥)).

## مبادئ وقيم تربوية مرتبطة بالزكاة:

### ١ - من القرآن الكريم :

الآيات القرآنية الواردة في الزكاة تعد مبادئ يستدل بها على عدة قيم، فيما يلي أمثلة لذلك:

أ - قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ [سورة التوبة الآية: ١٠٣]. القيمة الرئيسة هي أن الزكاة تؤدي الى تزكية النفوس وتطهيرها، والتزكية هي السمو والرفعة بالنفس الإنسانية من مهاوي الرذيلة، وتطهيرها من الشح والبخل



والتزكية شاملة للنفوس والأموال، ومن ثم نجد أن شعيرة الزكاة من أقوى الشعائر في تهذيب السلوك الإنساني، فالمال محبب للإنسان قال تعالى: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [سورة العاديات الآية: ٨]، وقال أيضا: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ [سورة الكهف الآية: ٤٦]. فقد قدم الحق تبارك وتعالى ذكر المال على الولد. وقال سبحانه: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾ [سورة التغابن الآية: ١٥]. كما أن المال ذكر مقدما على النفس: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ [سورة الحجرات الآية: ١٥]، ﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم \* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم..﴾ [سورة الصف الآية: ١٠-١١]. والآيات الكريمة في هذا المعنى عديدة جدا. ولمكانة المال نجد أن إخراج جزء منه في سبيل الله يعد تطهيرا للنفس. علماً أن هذا الجزء لن ينقص المال بل أنه يؤدي الى زيادته - فالزكاة لغة تعني النمو والزيادة.

ب - قال تعالى: ﴿فأنذرتكم نارا تلظى \* لا يصلها إلا الأشقى \* الذي كذب وتولى \* وسيجنها الأتقى \* الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ [سورة الليل الآية: ١٤-١٨]. القيمة الرئيسة التي تستنبط من المبادئ الواردة في الآيات السابقة هي: أن الزكاة تؤدي الى الوقاية من عذاب جهنم فالمؤمنون حقاً يلتزمون بها.

ج - قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم..﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٧٧]، ﴿.. والمقيمون

الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيماً ﴿سورة النساء الآية: ١٦٢﴾. القيمة الرئيسة هي: الفوز برضاء الله ورضوانه.

د- قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون\* الذين هم في صلاتهم خاشعون\* والذين هم عن اللغو معرضون\* والذين هم للزكاة فاعلون﴾ [سورة المؤمنون الآية: ١-٤]. القيمة الرئيسة هي: أن دفع الزكاة يؤدي الى الفلاح في الدنيا والفوز بالآخرة.

هـ- قال تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ [سورة التوبة الآية: ١١]. هذا مبدأ أساس يجب على المسلمين الالتزام به في تعاملهم، ومنه يستدل على قيمة رئيسة هي: أن الزكاة وسيلة الى تحقيق وتأكيد مبدأ الاخوة الإسلامية.

## ٢ - من السنة النبوية :

أ - جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه" (رواه الطبراني بإسناد جيد، وأخرجه أبو داود عن أبي الدرداء) ٢٩٨/١ الحديث (٤٢٩)، وابن ماجه برقم (١٤٠٣). في الحديث السابق عدد من المبادئ والقيم ومنها أن دفع الزكاة تؤدي الى دخول الجنة.

ب - وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولا الشرط اللثيمة، ولكن من وسط أموالكم؛ فإن الله لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره.." (رواه أبو داود) ٢٣٩/٢ - ٢٤٠ الحديث (١٥٨٢). القيمة الرئيسية هي: الزكاة المدفوعة عن طيب نفس ومن طيب ماله تكون سبباً في التمتع بحلاوة الإيمان.

ج - وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع قوله: "إن أولياء الله المصلون، ومن يقيم الصلوات الخمس التي كتبهن الله عليه، ويصوم رمضان ويحْتَسِبْ صومه، ويؤتي الزكاة طيبة بها نفسه، ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها.." رواه الطبراني، انظر: المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح: (ص ١٩١-١٩٢). القيمة الرئيسية هي: أن دافع الزكاة يعد من أولياء الله.

#### د . الصوم:

الصوم وظيفة وواجب وعبادة أوجبه الله سبحانه وتعالى على الإنسان، وهذه العبادة تنفرد بخصائص ومزايا عن غيرها من مظاهر العبادة. وقد أوجب الله عز وجل على المؤمنين صيام شهر رمضان قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٣]. وقال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ

ولتكمّلوا العدة وتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴿ [سورة البقرة  
الآية: ١٨٥].

**وجوب الصوم من السنة:** عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت:  
"كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم  
عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه" البخاري ٥٩٢/٢ برقم (٢٠٠٢).

### مبادئ وقيم تربوية مرتبطة بالصوم:

١ - من القرآن الكريم:

أ - قال تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا  
حلفتم..﴾ [سورة المائدة الآية: ٨٩]. القيمة أن الصوم يكفر عن الحلف! أو  
القسم، ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام  
ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة..﴾ [سورة البقرة الآية:  
١٩٦]، القيمة الرئيسة هي: أن الصوم يجزي عن الهدى لمن لا يقدر عليه. ﴿وما  
كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ..﴾ ثم يقول: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين  
متتابعين توبة من الله﴾ [سورة النساء الآية: ٩٢]، القيمة أن الصوم يعد  
كفارة عن القتل الخطأ. ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن  
يتماسا﴾ [سورة المجادلة الآية: ٤]، القيمة هنا أن الصوم يكون كفارة  
للظهار.

ب - قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على  
الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٣]. قيل في تفسير

(لعلكم تتقون): أي يجعلون الصيام وقاية لكم من الوقوع في الرذائل والمحرمات. فالقيمة هي: أن الصوم يعد وقاية للإنسان من الوقوع في المحرمات أو الرذائل. فالصوم يوصل الى تقوى الله تعالى وهي مرغوب كل مؤمن، لأن تقوى الله هي مخافته، والذي يتقى الله هو الذي عرفه، والصوم طريق الى معرفة الله تعالى، وذلك يدل على أن التقليل من الطعام والشراب يعين على سلامة الادراك، فالصوم يصقل النفس ويقوي الفكر ويجمع شتات القلب ويضيق مسالك الشيطان ويحد من غرام الشهوة وسطوة النفس وإذا تم ذلك للصائم أصبحت نفسه مهياة لادراك كثير من الحقائق وأعظمها تقوى الله بعد معرفته سبحانه وتعالى.

ج - قال تعالى: ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٤]، ﴿والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٣٥]. القيمة هي: أن الصوم فيه الأجر والثواب والخير من عند الله سبحانه وتعالى، فعلى المؤمنين التسابق في ذلك.

٢ - من السنة النبوية :

أ - عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنني صائم (مرتين)، والذي نفسي بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها" (صحيح البخاري) ٥٦٤/٢ الحديث (١٨٩٤). القيمة

الرئيسة هي: ليس الصوم امساکاً عن الطعام والشراب فقط بل أنه تهذيب للنفس وترويض للسلوك.

ب - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" (صحيح البخاري) ١٦٣٢/٤ برقم (٥٠٦٥). القيمة هنا أن الصوم يقوي النفس في تقوى الله ويضيّق مسالك الشيطان فيكون للإنسان وقاية من سهام الغواية والشيطان وبالتالي يضعف الشهوة الجنسية فهو يعد وقاية من الوقوع في الزنا لأن الصوم يجعل الصائم ينقي الله فلا يعصيه.

ج - عن حذيفة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة..." (صحيح البخاري) ١٧٨/١ الحديث (٥٢٥). القيمة هنا أن الرجل إذا وقع في خطأ أو مُحرّم في أهله وماله أو جاره، فإن كفارة ذلك الصلاة والصوم والصدقة. شرح الحديث "فتنة الرجل في أهله وماله..... الخ".

"أصل الفتنة اختبار الذهب بالنار لتظهر جودته من رداءته ثم استعملت في كل امر يكشفه الامتحان عن سوء. وتكون في الخير أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَنبَلِّغُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ والفتنة في المال تأتي بأخذه من غير ماخذه وصرفه في غير مصرفه. والفتنة في الأولاد تقع بالميل اليهم والالتفاء بهم وإيثارهم على الغير وأن يأتي لأجلهم بما لا يحل أو يخل بما يجب عليه ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، والفتنة في الأهل تقع بالميل اليهن وعليهن. وخص الرجل بالذكر لأنه غالباً صاحب التصرف في أهله وداره والا فالنساء شقائق الرجال في

الاحكام. والفتنة في جاره بعدم أداء ما أمره به من حقوق الحوار. والتكفير خاص بالصغائر - وتخصيص الصلاة وما يتلوها بالتكفير دون سائر العبادات إشارة الى عظم شأنها، لأن غيرها من الحسنات ليس فيه صلاحية التكفير". (هداية الباري الى ترتيب أحاديث البخاري، تأليف السيد عبدالرحيم عنبر الطهطاوي).

د - عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل (عليه السلام) يلقاه في كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ؛ يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل (عليه السلام) كان أجود بالخير من الريح المرسلة" (رواه البخاري) ٦٦/٢ الحديث (١٩٠٢). القيمة: رمضان شهر الصوم والقرآن والتسابق في فعل الخيرات.

هـ - عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"، (صحيح البخاري ٥٩٧/٢ الحديث (٢٠١٤). القيمة: حرص المؤمنين على الصوم والقيام، حيث فيه ليلة من قامها غفر له ماتقدم من ذنبه.

و - عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تحوّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان" (صحيح البخاري ٥٩٨/٢ الحديث (٢٠١٧). القيمة: ليلة القدر تكون في الوتر في العشر الأواخر من رمضان فعلى المسلمين تحريها.

## د- الحج:

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى الحج على الإنسان القادر المستطيع، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران الآية: ٩٧]، ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ..﴾ [سورة التوبة الآية: ٣]، ﴿وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج الآية: ٢٧].

**وجوب الحج من السنة:** عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال:

كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: "نعم...". (رواه البخاري) في صحيحه الحديث برقم (١٥١٣)، ومسلم برقم (٩٧٣/٢) (١٣٣٤/٤٠٧).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه" (رواه مسلم ٩٧٥/٢ الحديث (١٣٣٧/٤١٢)).



## مبادئ وقيم تربوية مرتبطة بالحج:

١ - من القرآن الكريم:

رأينا كيف أن الصلاة والزكاة والصيام شعائر يتعبد بها الإنسان، وهي أيضا مناهج تربية وتهذيب وتقويم، ووسائل تدريب عملي لتقوية الصلة بين العبد وربّه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، وفريضة الحج تجمع كل تلك المميزات؛ قال تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ [سورة إبراهيم الآية: ٣٧]، وفي فريضة الحج أيضا بذل وعطاء وصدقة: ﴿يأياها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليدوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾ [سورة المائدة الآية: ٩٥]، وقوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي مجله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتهم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ [سورة البقرة الآية: ١٩٦].

- فيه فوائد روحية واجتماعية واقتصادية: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق\* ليشهدوا منافع لهم ويذكروا

اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا  
البائس الفقير ﴿سورة الحج الآية: ٢٧-٢٨﴾.

- تربية للنفس على الصبر وتحمل المشاق: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض  
فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه  
الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ [سورة البقرة  
الآية: ١٩٧]. ونلاحظ أيضا أن في الآيات إشارة إلى نهاية الإنسان، وأن خير  
ما يجمعه ويأخذه من هذه الدنيا هو تقوى الله.

- غرس محبة السلام: حيث يحرم على المحرم الجدل والشقاق مع أخيه الإنسان  
قال تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق  
ولا جدال في الحج﴾، كذلك تكون المسألة مع الآخرين فإنه أمر بعدم اضطهاد  
الحيوانات، أو قطع النبات: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاع لكم  
وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه  
تحشرون﴾ [سورة المائدة الآية: ٩٦].

## ٢ - من السنة النبوية:

- الخضوع والخشوع لله سبحانه وتعالى، والتجرد من زينة الدنيا، هذا مع ما  
تؤدي إليه مناسك الحج من إحرام وتلبية ودعاء. عن عبد الله بن عمر (رضي  
الله عنهما) أن رجلا قال: يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب؟ فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم: "لا تلبسوا القميص ولا العمائم، ولا السراويلات ولا  
البرانس ولا الخفاف إلا أن لا يجد النعلين، فلبس الخفين. وليقطعهما أسفل من  
الكعبين، ولا تلبسوا من الثياب شيئا مسه زعفران ولا الورس"

البخاري ٥٤٦-٥٤٥/١ الحديث (١٨٣٨)، ومسلم ٨٣٤/٢ الحديث (١١٧٧/١) واللفظ لمسلم.

- التكفير عن السيئات السابقة: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" (متفق عليه).

- العتق من النار والفوز بالجنة: عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة" رواه مسلم (٩٨٣/٢) الحديث (١٣٤٨/٤٣٦). - وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" (متفق عليه) البخاري رقم الحديث (١٧٧٣)، ومسلم رقم الحديث (١٣٤٨/٤٣٦).

**ولكي يؤدي الإنسان الوظائف السابقة عن قناعة ورضى فلا بد من أن يعتقد الاعتقاد الجازم الذي لا يخالجه أدنى شك، ويؤمن الإيمان الكامل بأركان الإيمان الستة.**

### **معنى الإيمان من القرآن الكريم:**

ورد لفظ كلمة الإيمان في القرآن الكريم في سبع عشرة آية (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن) والإيمان عكسه الكفر قال تعالى: ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ [سورة البقرة الآية ١٠٨]، ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٦٧]، ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضرُوا

الله شيئا ولهم عذاب أليم ﴿ [سورة آل عمران الآية: ١٧٧]، ﴿إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ [سورة التوبة الآية: ٢٣]. وجاء في تعريف الإيمان بأنه ما قر في القلب وصدقه اللسان. قال تعالى: ﴿قالت الأعراب ءأما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم...﴾ [سورة الحجرات الآية: ١٤].

ونحن أمة الإسلام أمرنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ [سورة النساء الآية: ١٣٦]، والإيمان بالله فطرة في النفس الإنسانية قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون\* منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ [سورة الروم الآية: ٣٠-٣١].

ورد لفظ (الإيمان) بصيغة الأمر ﴿آمنوا﴾ في ثمان عشرة آية، منها قوله تعالى: ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه..﴾ [سورة الحديد الآية: ٧]، ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون﴾ [سورة البقرة الآية: ٤١].

كما ورد اللفظ بصيغة ﴿الذين آمنوا﴾ في مائتين وثمان وخمسين آية، اشتملت الآيات على وصف وتكليف ووعد ووعد، وقد نادى الله تعالى المؤمنين بصيغة ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ في تسع وثمانين آية.

والإيمان يزداد وينقص، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ [سورة الفتح الآية: ٤]، ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ [سورة الأنفال الآية: ٢]، ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾ [سورة التوبة الآية: ١٢٤].

### ٣. مبادئ وقيم تربوية تربط المسلم بالآخرين:

حدد المولى عز وجل للإنسان أسلوباً للتعامل مع الآخرين، فالالتزام به يكون عبادة، والحيدة عنه تكون معصية - أعاذنا الله منها - فقد جاء الإسلام بشريعة سماوية تحدد وظيفة الإنسان أياً كان موقعه في المجتمع، ونهى المولى عز وجل وتوعد كل من يقصر في واجبه، أو يغير وظيفته، أو يظهر عدم الرضى لما أمر به، قال تعالى: ﴿ولا تاتموا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ [سورة النساء الآية: ٣٢]. ووظيفة الإنسان فيما يخص ارتباطه بالآخرين تتمثل في عدد من المبادئ والقيم تتمثل في التقوى والتراحم لإعمار الأرض التي استخلف فيها، وخير ما يمثل ذلك الترابط: الزواج أو النكاح، فهو مبدأ وقيمة في نفس الوقت وفيمايلي تفصيل ذلك:

**الزواج:** فقد أمرنا الله بالزواج، ففيه إشباع للغريزة الفطرية في الإنسان حيث يشبع حاجاته البيولوجية والنفسية، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [سورة الروم الآية: ٢١]. كما حدد لنا الإسلام أسلوب هذا

الزواج وشروط صحته وبطلانه، قال تعالى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ  
والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله  
واسع عليم\* وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله..﴾  
[سورة النور الآية: ٣٢-٣٣]، ﴿وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا  
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما  
ملكتم أيما نكح ذلك أدنى ألا تعولوا\* وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن  
لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ [سورة النساء الآية: ٣-٤]، ﴿ولا  
تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا  
تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم..﴾  
[سورة البقرة الآية: ٢٢١]، ﴿ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد  
سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً\* حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم  
وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي  
أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في  
حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن..﴾  
[سورة النساء الآية: ٢٢-٢٦].

ومن السنة: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يامعشر الشباب من  
استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم  
يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" رواه مسلم (١٠١٨/٢) رقم (١٤٠٠/١).  
- وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"  
رواه مسلم برقم (١٤٦٧)، والنسائي (٦٩/٦). "حبيب إلي من الدنيا الطيب

والنساء، وجعل قرعة عيني في الصلاة" رواه النسائي بإسناد حسن (٦٢/٧)،  
وأحمد (١٩٩٣). - "تزوجوا الودود الولود فياني مكاتر بكم الأمم" رواه  
أبو داود ٥٤٢/٢ (٢٠٥٠)، والنسائي ٦٦-٦٥/٦ بإسناد حسن) - وعن أبي  
هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يجمع بين  
المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها". رواه مسلم برقم (١٤٠٨/٣٣). - وعنه  
أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يخطب الرجل على خطبة  
أخيه، ولا يسوم على سوم أخيه، ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها،  
ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفي مافي انائها، أو مافي صحفتها ولتنكح  
فإنما لها ما كتب الله لها" رواه مسلم (١٠٢٩/٢) رقم (١٤٠٨/٣٨).  
ولا يجوز للمرأة أن تنكح إلا بولي؛ فعن عائشة (رضي الله عنها) أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال: "أبما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل،  
فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها،  
فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له" رواه أبو داود (٥٦٦/٢) الحديث  
(٢٠٨٣)، والترمذي رقم الحديث (١١٠٢) وهو صحيح). وفي رواية: "لأنكاح  
إلا بولي وشاهدي عدل، فإن تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له" جمع  
الزوائد ٢٨٦/٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٤٢/١٨. - وعن ابن عباس (رضي  
الله عنهما) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأيام أحق بنفسها من  
وليها، والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها" رواه مسلم (١٠٣٧/٢)  
الحديث (٤١٢١/٦٦).

## تنظيم العلاقة الزوجية:

كما أن المولى عز وجل قد بين لنا في كتابه العزيز، وفي سنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم أسلوب التعامل بين الزوجين وواجب كل منهما نحو الآخر، وهذه تعد من القيم في الحياة الزوجية قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسِ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء الآية: ١]، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا. وَإِنِ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمَا مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [سورة النساء الآية: ٣٤-٣٥]، ﴿يَأْيُهَا الذِّبْنَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدَا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ..﴾ [سورة التغابن الآية: ١٤]، ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ..﴾ [سورة الطلاق الآية: ١]، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [سورة الطلاق الآية: ٢]، ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ لَتَضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمَلٌ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِن أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَاءْتَمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاَسَرْتُمْ فِى صُلْحٍ لِّهُ أُخْرَى﴾ [سورة الطلاق الآية: ٦].



ومن السنة: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها" رواه مسلم (١٠٩١/٢) الحديث (١٤٦٨/٦١). - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "...فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف..". رواه مسلم في الحج: رقم (١٢١٨).

وعلى الإنسان واجبات مختلفة في الحياة، فبعد أن تحدثنا عن تلك الوظائف في علاقته مع خالقه، نتحدث هنا عن تلك الوظائف في علاقته مع الآخرين من جنسه، علما بأننا نقتصر فقط على ذكر الآيات والأحاديث الواردة، التي توضح لنا مهمته ووظيفته، ولا شك أن هذه الوظائف هي المبادئ والقيم التي تقوم عليها حياة المسلم:

### أ. مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفته زوجاً:

جاء الإسلام بتنظيم دقيق للحياة الزوجية، فوضع لها المبادئ والقيم، وألزم الزوجين أن يلتزموا بها وأن يطبقوها، وحفظ حقوق وواجبات كل منهما تجاه الآخر وفيما يلي ذكر لأهم المبادئ والقيم التي تبنى عليها الحياة الزوجية في الإسلام:

#### أ. دفع صداق للمرأة حتى تكون زوجته: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾

[سورة النساء الآية: ٤]، ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن

بالمعروف ﴿ [سورة النساء الآية: ٢٥]. ومن السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه: "انظر ولو خاتماً من حديد". وعندما لم يجد شيئاً يصدقها إياه زوجه النبي صلى الله عليه وسلم: تلك المرأة بما معه من القرآن. (انظر: صحيح البخاري: كتاب النكاح - باب ٥٠). وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٩، ص ٢١٢-٢١٣، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد.

وينبغي التيسير في المهور، وعدم المغالاة أو المبالغة فيها حتى يتسنى للشباب الزواج، ولا يفهم من هذا إن رغب الرجل المبالغة في المهر أن ذلك مخالف للشرع ومحرم؛ فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثمنا مبيناً\* وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ [سورة النساء الآية: ٢٠-٢١]. وهذا استفهام إنكاري؛ إذ كيف يحق للرجل أن يأخذ أو يسترجع المهر أو حتى جزءاً منه بعد أن يكون قد ضاعج ولامس وتلدذ، وتمتع بالنظرة الحانية، والعتاب الرقيق، والبسمة الهادئة من زوجته، بعد أن استحل كل ذلك بالعهد والميثاق الذي وصفه الله بالغليظ لأهميته وعلو شأنه.

**ب - إشبام غريزتهما الجنسية أي إعفافهما:** ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٧]، ﴿فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله. نساؤكم حرث لكم فاءتوا حرثكم أنى شئتم﴾ [سورة البقرة الآية ٢٢٢-٢٢٣]، أي لا يستمر اعتزالكم لهن في المضاجعة، بل فيه حث على مباشرتهن بعد الطهر.

ومن السنة: عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا" رواه البخاري (٤٤٦/٣٢)، (١٤٣/٤)، ومسلم (١٦٢/٣). وقال صلى الله عليه وسلم: "وفي بضع أحدكم صدقة" رواه مسلم (٦٩٧/٢) الحديث (١٠٠٦/٥٣)، وأحمد (١٦٧/٥). والرسول صلى الله عليه وسلم: الذي تورمت قدماه من قيام الليل لم يزهده في النساء، بل كان يؤدي حقهن؛ وقد ذكر أنه طاف في ليلة واحدة على نسائه التسع واعتسل غسلا واحدا لذلك. أخرج البخاري من طريق قتادة عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم: يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين". وأخرج ابن سعد عن سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالت: طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم: على نسائه التسع ليلة. (انظر: السيوطي: الخصائص الكبرى: ج١، ص١١٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: "حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجَعَلَ قِرَّةً عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ" (رواه النسائي باسناد حسن) النسائي ٦٢/٧.

ومن كمال المبادئ والقيم الاسلامية وشمولها إهتمامها بوضع آداب للمباشرة (الجماع) حتى ترتفع بها من مستوى البهيمية، ومن تلك الآداب:

- تزين الزوجة لزوجها وتزين الزوج لزوجته في حدود المشروع والمعقول:

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٢٨].

وروى مسلم أن السيدة عائشة (رضي الله عنها) سألت: "بأي شيء كان يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم: إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك". وقد جاء عن ابن عباس (رضي الله عنهما): "إني أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي". وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال له: "إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلِكَ حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثة" (رواه أحمد في المسند: ج ٣، ص ٢٩٨). وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم - [هي العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ] - ونشف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء - [أي الاستنحاء] - قال مصعب ابن شيبة: ونسيت العاشرة إلا أن تكون: المضمضة" رواه مسلم (٢٢٣/١) الحديث (٢٦١/٥٦) وغيره - انظر: ابن الأثير: ج ٤، ص ٧٧٤، رقم (٢٩٣٠). وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطن الحق وغمط الناس" رواه مسلم (٩٣/١) الحديث (٩١/١٤٧)، والترمذي (٣١٧/٤) - (٣١٨) الحديث (١٩٩٩). وهذا دليل على وجوب التزين والاهتمام بالمظهر لاسيما حين مقابلة الزوج.

- التسمية والدعاء: قال صلى الله عليه وسلم: "لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا، فإنه

إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا" رواه البخاري (٢٠٠٦/٤) الحديث (٦٣٨٨)، ومسلم ١٠٥٨/٢٢ (١٤٣٤/١١٦).

- المداعبة ودواعي الجماع: قال تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٢٣]، ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ [سورة النساء الآية: ١٩]. عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: هلك أبي وترك سبع بنات أو تسع بنات، فتزوجت امرأة ثيبا، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تزوجت يا جابر؟ فقلت: نعم، فقال: بكر أم ثيبا؟ قلت: بل ثيبا، قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك؟ قال: فقلت: إن عبد الله هلك وترك بنات وإني كرهت أن أحيئن بمثلهن فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحنهن، فقال: ببارك الله لك أو قال خيرا" رواه البخاري (١٧٢٨-١٧٢٩) الحديث (٥٣٦٧). - وكانت عائشة (رضي الله عنها) تدل على رسول الله لأنه لم يتزوج بكرا غيرها فكانت تقول له: لو نزلت واديا فيه شجر أكل منها، وشجر لم يؤكل منها في أيهما ترتع بعيرك؟ وكان يرد عليها: في التي لم يؤكل منها" رواه البخاري. وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "كنت أغتسل أنا ورسول الله من إناء بيني وبينه واحد، فيبادرنى حتى أقول: دع لي، دع لي. قالت: وهما جنبان" البخاري برقم (٢٥٠)، ومسلم برقم (٣٢١/٤٦) واللفظ لمسلم.

**جـ. الابتعاد عن الزنى وما يوصل إليه:** قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ [سورة النور الآية: ٣٠]، ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك

كان عنه مسؤولاً ﴿ [سورة الإسراء الآية: ٣٦] ، ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ [سورة النور الآية: ٣] ، ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٣٢] .

ومن السنة: عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم" (رواه البخاري برقم (٥٢٣٣) ، ومسلم برقم ٤٢٤/١٣٤١) . - وقال صلى الله عليه وسلم "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر" مسلم برقم (١٠٧/١٧٢) . - وعن عقبه بن عامر (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحم؟ قال: الحم الموت" رواه البخاري برقم (٥٢٣٢) ، ومسلم برقم (٢١٧٢/٢٠) والحم: أقرباء الزوج. (انظر: الحسني: أدب الإسلام في نظام الأسرة، ص ٨٦) .

**د - معاشرتها بالمعروف وبالمحب والعطف والعنان:** قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يجل لكم أن تراثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بمعروف ..﴾ [سورة النساء الآية: ١٩] ، ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ [سورة الطلاق الآية: ٢] ، ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ..﴾ [سورة الروم الآية: ٢١] ، ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس هن ..﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٧] .

جعل الله سبحانه وتعالى التزاوج من أجل الإنجاب وإكثار النسل وعمارة الكون، ويشترك الإنسان في هذا مع غيره من الكائنات الحية، إلا أن التزاوج بين البشر أرقى فله مميزات عديدة، منها: السكن والراحة والطمأنينة والمودة والرحمة... وهذا ما تشير إليه الآية السابقة.

ومن السنة: ما جاء عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" رواه الترمذي برقم (٣٨٩٥) وصححه. - وعن معاوية بن حيدة (رضي الله عنه) قال: قلت لرسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت" رواه أبو داود برقم (٢١٤٢)، وهو حديث حسن. وعن عبد الله بن زمعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم" رواه البخاري برقم (٥٢٠٤). - وفي خطبة حجة الوداع قال النبي صلى الله عليه وسلم: "... ألا استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم، لستم تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا" رواه الترمذي برقم (١١٦٣) وقال: (حديث حسن صحيح)، وابن ماجه برقم (١٨٥١). - وقال في حديث آخر: "اضربوهن ولا يضربهن إلا شراركم" انظر كنز العمال برقم (٤٤٩٤٧).

**٥- الإنفاق عليها وكسوتها:** قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء

بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ [سورة النساء

الآية: ٣٤]، ﴿وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٢٨]. جاء التفضيل هنا بناء على المسؤولية التي يتحملها الرجل في الانفاق على أسرته، قال تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن واءتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى\* لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ [سورة الطلاق الآية: ٦-٧].

ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك" رواه مسلم برقم (٣٩/٩٩٥). - وعن معاوية القشيري (رضي الله عنه) قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ما تقول في نساءنا؟ قال: "أطعموهن مما تأكلون، واكسوهن مما تكتسون، ولا تضربوهن ولا تقبحوهن" رواه أبو داود برقم (٢١٤٤). - وفي رواية ابن ماجه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت" انظر كنز العمال رقم (٤٤٩٧٥)، ويجب على الزوج أن ينفق على زوجته بسخاوة نفس وكريم خلق، من غير تكبر أو إذلال أو إهانة.



**و - الوعظ والإرشاد والتوجيه: قال تعالى:** ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم الآية: ٦]، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة النساء الآية: ٣٤]، ﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٢٨]. والقوامه هنا تتطلب أن يكون الرجل على قدر من المسؤولية؛ عالماً بأمور دينه ودينه، قوي الشخصية في الحق، قادراً على رعاية وتوجيه زوجته وأولاده، وإبعادهم عن كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى باتباع مرضاة الله، قال تعالى عن إسماعيل (عليه السلام): ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [سورة مريم الآية: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه الآية: ١٣٢].

ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ أهله فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء" رواه أبو داود برقم (١٣٠٨)، وابن ماجه برقم (١٣٣٦)، والنسائي برقم (١٦١١) بإسناد حسن.

## **ب - مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفتها زوجة:**

وضح الإسلام واجبات الزوجة تجاه زوجها في آيات عديدة وفي أحاديث كثيرة وهي بمثابة مبادئ وقيم يلتزم بها المسلم قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [سورة النساء الآية: ٣٤].

أ . حفظ الرجل في غيابه بالابتعاد عن الزنى وما يوصل إليه : قال تعالى :

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [سورة النور الآية: ٣١] ، ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ [سورة الإسراء الآية: ٣٢] .

ومن السنة: عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب المرأة الملقاة البرعة - [أي الظريفة] - مع زوجها، الحصان - [أي المتنتعة عن غيره] -". (الدليمي: مسند الفردوس - انظر كنز العمال رقم (٤٥١٣٠) - وعن أبي أمامة (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرتة، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله" رواه ابن ماجه برقم (١٨٥٧)، ومشكاة برقم (٣٠٩٥)، والحديث ضعيف وله شواهد). - وقال صلى الله عليه وسلم مخاطبا عمر (رضي الله عنه): "ألا أخبرك بخير ما يكتز المرء؟ المرأة الصالحة ؛ إذا نظر إليها سرتة وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته" رواه ابو داود برقم (١٦٦٤)، والحاكم (٣٦٣/٢) برقم (٣٩٨/٣٢٨١) وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه).

ب . طاعة الزوج في غير معصية الله: قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾ [سورة النساء الآية: ٣٤]، ﴿يأيتها النبي إذا جاءك المؤمنات يابعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريته بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ [سورة الممتحنة الآية: ١٢]، وعن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت" رواه أحمد برقم (١٦٦١)، والطبراني في الأوسط (٢/١٦٩) حديث حسن أو صحيح له طرق. - وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن أصيبوا أحرؤا، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون. ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبلغني من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله" رواه البزار واللفظ له - انظر مجمع الزوائد للهيتمي (٣٠٥/٤)، والترغيب (٥٣/٣).

## وفي عقوبة الزوجة التي تعصي زوجها ورد مايلي:

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما عبد آبق من مواليه حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع" رواه الطبراني بإسناد جيد في المعجم الصغير ص ٩٧، والأوسط (١/١٦٩٢)، والحاكم في المستدرک (٤/١٧٣). - وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو" رواه الطبراني في الأوسط، وابن خزيمة برقم (٩٤٠)، وابن حبان برقم (٥٣٥٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عقيل وحديثه حسن وفيه ضعف وبقيّة رجاله ثقات - مجمع الزوائد ٤/٣١٣).

ج - تلبية رغبة زوجها كلما دعاها إلى الفراش: قال تعالى:

﴿نساؤكم حرث لكم فاءتوا حرثكم أنى شئتم ..﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٢٣]، ﴿والذين هم لفروجهم حافظون\* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ [سورة المؤمنون الآية: ٥-٦]، ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن..﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٧]. وفي المقابل نهى الله سبحانه وتعالى عن حرمان الزوجة من إشباع غريزتها الجنسية مدة تزيد عن أربعة أشهر حيث قال: ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم\* وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾ [سورة البقرة الآية:

٢٢٦-٢٢٧]. فإذا حلف الزوج ألا يقرب زوجته أكثر من أربعة أشهر يأمره الشرع بأن يكفر عن يمينه ويعود إلى زوجته، وإن أبى تطلق منه بحكم القاضي خوفا من الفتنة والضرر. (راجع كتب التفسير لمعرفة حكم الإيلاء).

ومن السنة: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح" رواه البخاري برقم (٥١٩٣)، ومسلم برقم (١٤٢٦/١٢٢). وفي رواية: "والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها" (أي زوجها)، رواه مسلم برقم (١٤٣٦/١٢١) - ، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه" رواه ابن ماجه برقم (١٨٥٣) واسناده صحيح. وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور" المعجم الكبير للطبراني (٣٩٨/٨)، والهيتمي في مجمع الزوائد - وقال: رواه أحمد وفيه محمد بن جابر اليماني وهو ضعيف، وقد وثقه غير واحد - انظر مجمع الزوائد (٢٩٥/٤).

**د - التزين للزوج حتى يسر منها:** قال تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن..﴾ [سورة النور الآية: ٣١]، ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة..﴾ [سورة النور الآية: ٦٠].

جمال المرأة عنصر هام في تركيبها ولجذب الرجل إليها، قال صلى الله عليه وسلم: "تنكح المرأة لأربع: لمالها وحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" رواه البخاري برقم (٥٠٩٠)، ومسلم برقم (١٤٦٦/٥٣). - وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرتة، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله" رواه ابن ماجه برقم (١٨٥٧)، والحديث ضعيف وله شواهد). - وقال صلى الله عليه وسلم مخاطبا عمر (رضي الله عنه): "ألا أخبرك بخير ما يكتز المرء؟ المرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها سرتة، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته" رواه أبو داود برقم (١٦٦٤)، والحديث حسن، انظر: ابن الأثير: جامع الأصول: ج ٢، رقم (٦٥٣). (ولمزيد من المعلومات انظر: الغزالي: إحياء علوم الدين: ج ٢، ص ٦١).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التزين يجب ألا يقتصر على الجانب الحسي بل لا بد أن يكون معنويا أيضا؛ أي في حسن الخلق، كما يجب على المرأة أن تبتعد عن الزينة المحرمة؛ كوصل الشعر والوشم والنمص وتفليج الأسنان فعن ابن مسعود (رضي الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى" رواه الترمذي برقم (٢٧٨٢)، رواه البخاري برقم (٥٩٣١).

**٥- احترام الزوج وتقديره:** قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في

المضاجع واضربوهن فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ﴿ [سورة النساء الآية: ٣٤]. وقال أيضا: ﴿وهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة..﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٢٨].

ومن السنة: ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها" رواه الترمذي برقم (١١٥٩) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه برقم (١٨٥٣). والإسلام رفع من مكانة الزوج إلى درجة جعل فيها رضاه سببا لرضى الله سبحانه وتعالى، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لا تؤذي المرأة حق ربها حتى تؤذي حق زوجها" رواه ابن ماجه برقم (١٨٥٣).. وروى أم سلمة (رضي الله عنها) عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة" (رواه ابن ماجه برقم (١٨٥٤)). ورووا عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث عديدة، في عقوبة الزوجة التي تغضب زوجها ولا تحترمه، منها: ما رواه ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... ورأيت النار، فلم أر منظراً كالיום قط أظع ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير - أي الزوج - ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط" رواه البخاري برقم (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧/١٧).

**و - حفظ مال الزوج وعدم الإسراف فيه:** نهى الله سبحانه وتعالى عن

الإسراف حتى في الأكل والشرب: قال تعالى: "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه

لا يحب المسرفين" [سورة الأعراف الآية: ٣١]. وقال أيضا: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [سورة الفرقان الآية: ٦٧].  
ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يجوز لامرأة عطية إلا بأذن زوجها" رواه النسائي برقم (٢٥٤١)، وابن ماجه برقم (٢٣٨٨)، وأبوداود برقم (٣٥٤٧) والحديث سكت عليه أبوداود فما سكت عليه أبوداود فهو صالح للاستدلال والحجة.. فالإسلام لا يميز التصرف في مال الزوج دون إذنه إلا في الصدقة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أطعمت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة لها أجرها، وله مثله وللخازن مثل ذلك له بما كسب، ولها بما أنفقت" رواه البخاري برقم (١٤٤٠) - وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه: "إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فلها نصف أجره" انظر فتح الباري (٣/٣٥٦) - وفي رواية: "إذا تصدقت المرأة من بيت زوجها كتب لها أجر ولزوجها مثل ذلك وللخازن مثل لك لا ينقص كل واحد منهم من أجر صاحبه شيئاً" انظر فتح الباري (٣/٣٥٦)، ومسلم برقم (١٠٢٤/٨٠).

### ج. مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفته والداً:

أ. النصح والإرشاد والتوجيه للأبناء: قال تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم\* ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير\* وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبؤكم



بما كنتم تعملون . يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير\* يابني أقم الصلاة واءمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور\* ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور\* واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴿ [سورة لقمان الآية: ١٣-١٩] . وقال تعالى على لسان يعقوب (عليه السلام): ﴿ قال يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ [سورة يوسف الآية: ٥] ، ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون\* أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٣٢-١٣٣] ، ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ [سورة هود الآية: ٤٢] .

ومن السنة: عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع" رواه أبو داود برقم (٤٩٥) باسناد حسن. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم" رواه ابن ماجه برقم (٣٦٧١) . - وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب

نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن" رواه الديلمي - انظر: السيوطي: الجامع الصغير، رقم: (٣١١) وانظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٦ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ط ٢ - ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م. - وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن" (رواه الترمذي (٣٥٤/١)، والحاكم (٢٦٣/٤) وقال الحاكم صحيح الاسناد. ص ٤١٦، رقم (٢١٨). - وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة" رواه أبو داود برقم (٥١٤٧)، والترمذي برقم (١٩١٣) - وفي رواية أخرى قال: "ثلاث أخوات أو ثلاث بنات أو بنتان أو أختان" (رواه أبو داود برقم (٥١٤٨) والحديثان سكت عليهما أبو داود فما سكت عليه أبو داود فهو صالح للاحتجاج.

**ب - الرضاعة والمضانة والنفقة:** قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك...﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٣٣]. فالمولود له هو الوالد أي الزوج، وقد أوجب الله سبحانه وتعالى عليه نفقة الزوجة وكسوتها من غير إسراف: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ [سورة الطلاق الآية: ٧]. وقد ذكر المولى عز وجل أن الإنفاق بصفة

عامة معوض من عند الله؛ فمن الأولى أن يكون ذلك الإنفاق على الأقربين.  
 وقال تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ [سورة سبأ الآية: ٣٩]، ﴿وآت  
 ذا القربى حقه وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً\* إن المبذرين كانوا إخوان  
 الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٢٦-٢٧]، وقد ذم  
 المولى سبحانه وتعالى البخل فقال: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من  
 فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث  
 السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨٠].

ومن السنة: ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد  
 السفلى، وأبدأ بمن تعول، تقول المرأة إما أن تطعمني وإما أن تطلقني، ويقول  
 العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني إلى من تدعني؟..." رواه  
 البخاري برقم (٥٣٥٥). - "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت" رواه أبو داود  
 برقم (١٦٩٢)، والحاكم برقم (٤١٥/١)، وأحمد في المسند. - وفي رواية لمسلم:  
 قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك  
 قوته" برقم (٩٩٦/٤٠)، وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال: "إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة"  
 رواه البخاري برقم (٥٣٥١). كما بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أجر  
 وثواب تربية الأولاد والنفقة عليهم في قوله: "من عال جاريتين دخلت أنا وهو  
 الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه" رواه الترمذي برقم (١٩١٤). - وفي حديث آخر  
 يوضح لنا أن الأجر والثواب حاصل للأب الذي قد حرم من تربية أبنائه، قال

صلى الله عليه وسلم: "مامن مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل" رواه أحمد برقم (٤٧٣/٢)، وابن ماجه برقم (١٦٠٤) والحديث صحيح - رجاله ثقات.

وإذا بخل الوالد على ولده وزوجه بالنفقة الواجبة؛ جاز لهم الأخذ من ماله دون إذنه قدر ما يكفيهم للأكل، فعن عائشة (رضي الله عنها) أن هند بنت عتبة قالت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف" رواه البخاري برقم (٥٣٦٤). - وعن أم سلمة (رضي الله عنها) قال: قلت يارسول الله هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم، ولست بتاركتهم هكذا وهكذا، إنما هم بني؟ فقال: "نعم لك أجر ما أنفقت عليهم" رواه البخاري برقم (٥٣٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٠١/٤٧).

كما ورد في حق الرضاة أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو إليه زوجها وقالت له: يارسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنت أحق به ما لم تنكحي" رواه أبو داود برقم (٢٢٧٦).

**ج. العدل في المعاملة والحب بين الأبناء:** قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَأَنْ تُلْوَا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء الآية: ١٣٥]،

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ۖ﴾ [سورة النحل الآية: ٩٠]. وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في قصة يوسف (عليه السلام) أن سبب حقد إخوته عليه وغيرتهم منه هو ما كان يمتاز به يوسف عنهم من زيادة في الحب له من والدهم والقرب إليه: ﴿إِذ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يوسف الآية: ٩، ٨].

ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: لوالد النعمان بن بشير رضي الله عنه حين قال له: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواح عطيّة فأمرتني أن أشهدك يارسول الله، قال: "أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" رواه البخاري ٢٦١/٣ برقم (٢٥٨٧)، ومسلم بشرح النووي ج ١١، ص ٦٧، برقم (١٦٢٣/١٣). - وعن النعمان بن بشير أن أباه أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني نخلت ابني هذا غلاما فقال: "أكلّ ولدك نخلت مثله؟ قال: لا، قال: فأرجعه" رواه البخاري برقم (٢٥٨٦)، ومسلم بشرح النووي ج ١١، ص ٦٥-٦٦، برقم (١٦٢٣/٩). وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف" رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٧٨/٦).

**د - عدم إيذاء الأبناء وقتلهم:** قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ عَلَىٰ قَدِّ ضَلُوعِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٤٠]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ

نحن نرزقكم وإياهم .. ﴿ [سورة الأنعام الآية: ١٥١] ، ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئنا كبيرا﴾ [سورة الإسراء الآية: ٣١] ، ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٥٨] .

ومن السنة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم "كان ينهى عن عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات" رواه البخاري برقم (٧٢٩٢)، ومسلم برقم (٥٩٣/١٢) . - وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابتهاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن الله عز وجل قد أوجب بها لها الجنة أو أعتقها بها من النار" (رواه مسلم في البر والصلة برقم (٢٦٣٠/١٤٨) .

**هـ - توريث الأبناء وعدم حرمانهم من الميراث:** قال تعالى:  
﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ [سورة النساء الآية: ٧] ،  
﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ [سورة النساء الآية: ١١] .

ومن السنة: عن جابر (رضي الله عنه) قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتها من سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما

فلم يدع لهما مالاً ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: يقضي الله في ذلك. فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال: "أعط ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك" رواه الخمسة إلا النسائي، الترمذي برقم ٢٠٩٢ وقال هذا حديث صحيح وأبو داود برقم (٢٨٩١)، وابن ماجه برقم (٢٧٢٠).

**و- تزويجهن:** قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ...﴾ [سورة النور الآية: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَاتِكُمْ عَلَىٰ الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [سورة النور الآية: ٣٣]، ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَىٰ ابْنَتِي هَاتَيْنِ...﴾ [سورة القصص الآية: ٢٧].

ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم" رواه الحاكم برقم (١٤/٢٦٨٥)، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا السياق. وفي رواية: "تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة" رواه أحمد برقم (١٥٨/٣). وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة" رواه الترمذي برقم (١٩١٦) وقال: هذا حديث غريب، وأبو داود برقم (٥١٤٧) واللفظ للترمذي.

## د . مبادئ وقيم تربوية من خلال وظيفته ولداً :

أ . بر الوالدين وطاعتهما في غير معصية الله : والآيات الواردة في ذلك عديدة منها قوله تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً\* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٢٣-٢٤] ، ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فأنبؤكم بما كنتم تعملون﴾ [سورة العنكبوت الآية: ٨] ، ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير\* وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبؤكم بما كنتم تعملون﴾ [سورة لقمان الآية: ١٤-١٥] ، ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا...﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٥١] .

نرى في الآيات السابقة وغيرها ؛ أن الله سبحانه وتعالى كثيراً ما يقرن بر الوالدين والإحسان إليهما بعبادته عز وجل . كما في دعوات الرسل ما ينص على ذلك؛ فقد قال تعالى : ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا...﴾ [سورة البقرة الآية: ٨٣] . وعن يحيى عليه السلام يقول تعالى : ﴿وبرا بوالديه ولم يكن جباراً عصياً﴾ [سورة مريم الآية: ١٤] . ومن بر الوالدين: رعايتهم والسهر على خدمتهم، حتى الأتشى فإنها مدحت في القرآن



على ذلك، قال تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليها أمة من الناس يسقون\* ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ [سورة القصص الآية: ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [سورة الإسراء الآية: ٢٤] فيه إشارة إلى أن البر لا يكون في حياتهما فقط بل يمتد إلى ما بعد وفاتهما؛ وذلك باستمرار الدعاء لهما (ولا يجوز ذلك إذا كانا غير مسلمين) قال تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ [التوبة الآية: ١١٣]، وإنفاذ عهدهما ووصيتهما، والإحسان إلى أحبابهما .. وهذا من عظم شأن بر الوالدين، فقد جعله الله سبحانه وتعالى ساريا حتى بعد موتهما.

ومن السنة: ما رواه أبو داود عن أبي حميد الساعدي أبي أسيد قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: "نعم؛ الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما" رواه أبو داود برقم (٥١٤٢)، وابن ماجه برقم (٣٦٦٤). ويلزم للعاق إذا مات والداه أن يكثر لهما من الدعاء والاستغفار والعمل الصالح يوهبه لهما حتى يغير الله عقوقه بالبر، فقد روى البيهقي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وإنه لهما لعاق؛ فلا يزال يدعو لهما حتى يكتبه الله بارا" رواه التبريزي في المشكاة برقم (٤٩٤٢) الحديث متكلم فيه انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة



ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: صلى الله عليه وسلم "أنت ومالك لأبيك". وجاء ذلك في حديث مطول يرويه جابر (رضي الله عنه): أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله إن لي مالا وولدا وإن أبي يريد أن يجتاح مالي... فقال صلى الله عليه وسلم: "أنت ومالك لأبيك" رواه أبو داود برقم (٣٥٣٠)، وابن ماجه برقم (٢٢٩١) واللفظ له اسناده صحيح ورجاله ثقات على شرط البخاري، وأحمد برقم (٦٩٠٢)، وغيرهما.

### هـ- مبادئ وقيم تربوية من خلال علاقته بغير أفراد أسرته:

كما حدد الإسلام وظيفة الإنسان ونظم علاقاته داخل أسرته الصغيرة؛ نجد أنه قد حدد ونظم تلك الوظيفة والعلاقة داخل أسرته الكبيرة، وهي الأمة الإسلامية، حتى شملت البشرية كلها. وكما أشرنا من قبل أن علاقته مع بني جنسه حددت على أساس العقيدة فهي القاعدة الراسخة التي تسيطر على حركاته وسكناته ونواياه. فحبه وكرهه لا يكون إلا في الله والله. وقد تكون رابطة الدم تجمع بين شخص مؤمن وآخر غير مؤمن؛ إلا أن هذه الرابطة تأثرها لا يكون كرابطة الأخوة في الإيمان بالله، فالله سبحانه وتعالى عاتب نبيه نوحا (عليه السلام) حين رغب نجاه ابنه من الغرق مع كفره، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين\* قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [سورة هود الآية: ٤٥-٤٦]. كما وجه الله تعالى نبيه المصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن لا يستغفروا لأقربائهم المشركين فقال تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن

يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» [سورة التوبة الآية: ١١٣]. وفي استغفار إبراهيم لأبيه قال تعالى: ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًا﴾ [سورة مريم الآية: ٤٧]، وقال عز وجل: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾ [سورة التوبة الآية: ١١٤].

وشرحنا لوظيفة الإنسان تجاه الآخرين يكون من خلال حديثنا عن مكارم الأخلاق، فلقد اهتم بها الإسلام أيما اهتمام، وجعلها الركيزة الأولى في إيجاد التقارب والتآلف والمحبة بين الأمم والشعوب، ومادنا سنتطرق للحديث عن الأخلاق الحميدة في الفصل السادس من هذه الدراسة فسنقصر الحديث هنا على الجانب السلوكي من الأخلاق، أي تلك التي تكون موجهة نحو الآخرين، فالصدق والأمانة والاستقامة والحياء والخوف والرجاء والقناعة والعفاف وغض البصر وشكر النعم والتواضع والحلم وطلاقة الوجه وحسن الكلام ... جميعها تعد من مكارم الأخلاق إلا أنها ترتبط بالجانب العاطفي أو الإحساسي والشعوري في الإنسان، وغالبا لا تكون العلاقة فيها مباشرة مع شخص آخر بل هي انفعال وتهذيب بين الإنسان ونفسه.

وعليه فإن من أهم وظائف الإنسان تجاه الآخرين كما وردت في القرآن والسنة مانوحه فيما يلي:

**١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر... ﴿ [سورة التوبة الآية: ٧١]، ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ [سورة آل عمران الآية: ١١٠]، ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٠٤]، وتوعد الله سبحانه وتعالى من يتخلى عن هذه المهمة في قوله تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون\* كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [سورة المائدة الآية: ٧٨-٧٩].

ومن السنة: مرواه أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" رواه مسلم برقم (٤٩/٧٨). - وعن حذيفة (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" رواه الترمذي برقم (٢١٦٩) وحسنه. - وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض" ثم قال: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون... إلى قوله: فاسقون﴾ - ثم قال: "كلا والله

لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا" أو ليعذبن الله بقلوب بعضكم ببعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم ﴿ رواه أبو داود برقم (٤٣٣٦ - ٤٣٣٧)، الترمذي برقم (٣٠٤٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه برقم (٤٠٠٦).

**٣. الإصلاح بين الناس:** قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾ [سورة الحجرات الآية: ١٠]، ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء الآية: ١١٤].

والإصلاح يؤدي إلى مرضاة الله قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٧٠] - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [سورة هود الآية: ١١٧].

ومن السنة: ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة" (متفق عليه) البخاري (٢٢٦/٥)، ومسلم برقم (٢٩٨٩) واللفظ له. - وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا" (متفق عليه) البخاري برقم (٦٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٠٥) واللفظ للبخاري.

### ٣ - التعاون على البر والتقوى: قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر

والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [سورة المائدة الآية: ٢] - وقال أيضا: ﴿والعصر\* إن الإنسان لفي خسر\* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [سورة العصر الآيات: ١-٣].

ومن السنة: مارواه أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا إلى بني لحيان من هذيل فقال: "لينعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما" رواه مسلم برقم (١٨٩٦/١٣٧). - وعن أبي عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا" (متفق عليه) البخاري ٧٦/٥ برقم (٢٨٤٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٩٥/١٣٦).

### ٤ - عدم الظلم: الآيات الواردة في الظلم ومشتقاته والنهي عنه ووعيد

الظالمين تزيد على ثلاثمائة آية في كتاب الله قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله إن الله لا يحب الظالمين﴾ [سورة الشورى الآية: ٤٠]، ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾ [سورة الزخرف الآية: ٦٥].

ومن السنة: مارواه جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم" رواه مسلم برقم (٢٥٧٨/٥٦). - وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين" (متفق عليه) البخاري برقم (٢٤٥٣)، ومسلم برقم (١٦١٢/١٤٢).

**٥. حق الجار:** قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾ [سورة النساء الآية: ٣٦]، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [سورة التوبة الآية: ٦].

ومن السنة: مرواه ابن عمر وعائشة (رضي الله عنهما) قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" رواه البخاري برقم (٦٠١٥)، ومسلم برقم (٢٦٢٤/١٤٠). - وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يارسل الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه" رواه البخاري برقم (٦٠١٦).

**٦. الايتار:** قال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [سورة الحشر الآية: ٩]، ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا\* إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا﴾ [سورة الانسان الآية: ٨-١٠]. ومن السنة ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه): جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نساءه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك.. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من يضيف هذا الليلة؟ رحمه الله فقال رجل من الأنصار فقال: أنا يارسل الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: اكرمي ضيف



رسول الله صلى الله عليه وسلم - وفي رواية: قال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعليلهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفي السراج وأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي الى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة" رواه البخاري برقم (٤٨٨٩)، ومسلم برقم (٢٠٥٤/١٧٣) واللفظ له. - وعن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم" رواه البخاري برقم (٢٤٨٦).

## ٧. الصفح والعفو: قال تعالى: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله

غفور رحيم﴾ [سورة التغابن الآية: ١٤] - ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين\* ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل\* إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق أولئك هم عذاب أليم\* ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [سورة الشورى الآية: ٤٠-٤٣]، ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ [سورة النور الآية: ٢٢]. جاء في سبب نزول هذه الآية: أن ممن تكلم في السيدة عائشة (رضي الله عنها): (مسطح بن أثانة) وكان أبو بكر ينفق عليه لقرابته منه وفقره، فقال: والله لا أنفق عليه شيئا بعد الذي قال عن عائشة، فأنزل الله هذه الآية، فقال أبو بكر: إني أحب أن

يغفر الله لي فأرجع إلى مسطح ما كان ينفق عليه. انظر: السيوطي: أسباب النزول، وأيضاً: أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي ص ١٨٥.

ومن السنة: مارواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" رواه البخاري برقم (٦١١٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٩/١٠٧). - "وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: "لا تغضب" فردد مراراً، قال: "لا تغضب" رواه البخاري برقم (٦١١٦).

#### ٨. عدم الاستهزاء والسخرية: قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نَسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات الآية: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [سورة الهمزة الآية: ١] - وقال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة الآية: ٧٩].

ومن السنة: مارواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" رواه مسلم برقم (٢٥٦٤/٣٢). وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن شعبة عن واصل المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إنني ساءت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت

أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم". رواه البخاري برقم (٣٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٦١/٤٠).

### و- مبادئ وقيم تربوية من خلال علاقته بغير المسلمين:

إن اختلاف الناس حتى في العقيدة سنة الله في خلقه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين\* إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾. [سورة هود الآية: ١١٨-١١٩].

كما أن الإسلام لا يُكره الناس على أن يتركوا دينهم ويدخلوا في الإسلام: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٥٦]، ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [سورة يونس الآية: ٩٩]. ومن سماحة الإسلام وشموله وكمالته أن وضع المبادئ والأسس التي تقوم عليه العلاقة بين المؤمنين وغيرهم، ورغم ذلك فإن البعض يظن أنه لا يجوز للمسلم أن يتصل أو يتعامل مع غير المسلمين من المشركين والملحدين وأهل الكتاب، بيد أن الإسلام وضع لنا الأسس والمبادئ التي تقوم عليها علاقاتنا مع غير المؤمنين، فنجد بداً بتحديد وحدة البشرية وضرورة التعامل والتراحم بين أفرادها ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [سورة النساء الآية: ١]. إلا أن هذا لا يعني أن يتخذ المؤمنون الكافرين أصدقاء وأحباء يفشون إليهم أسرارهم، ويتعاهدون ويتعاونون معهم من دون المؤمنين، فقد حذرنا الله

سبحانه وتعالى من ذلك حيث يقول: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ [سورة آل عمران الآية: ٢٨]، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [سورة المائدة الآية: ٥١]. حتى لو كان أولئك تربطهم بالمؤمنين رابطة النسب، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ [سورة التوبة الآية: ٢٣]، ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [سورة المجادلة الآية: ٢٢].

الآيات السابقة توضح تحريم محبة ومودة غير المؤمنين، ولا يفهم من هذا أن الاتصال والتعامل والتعاون معهم محرم إذا كان ضمن الشروط التي وضعها لنا الإسلام؛ وأولها: إن كان أولئك [غير المؤمنين] لا يقاتلوننا أو يمنعوننا من الدعوة إلى الإسلام وممارسته في حياتنا. كما أنهم لم يعتدوا علينا في ديارنا. وثانيها: لم يساعدوا الغير على أعدائنا؛ فلا بأس من التعامل معهم والإحسان إليهم والعدل في معاملتهم، قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين\* إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم

أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿ [سورة الممتحنة الآية: ٨-٩]. يقول سيد قطب في مجرى تفسير هذه الآية: "القرآن يضع القاعدة الإسلامية الكبرى في العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم، فيجعل المقاطعة والخصومة خاصة بحالة العداء والعدوان، فأما حين ينتفي العداء والعدوان فهو البر لمن يستحق البر، وهو القسط في المعاملة والعدل". (سيد قطب: في ظلال القرآن: ج ٦، ص ٣٥٤٤).

ويوضح المولى عز وجل أن التعاون والتعامل مع غير المؤمنين يكون في مجال البر، أي في أعمال الخير، لا الشرك ولا الأذى ولا الإضرار بالآخرين، قال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [سورة المائدة الآية: ٢]. ويرى السيد رشيد رضا في تفسير المنار في تفسيره لآيات التعامل مع غير المؤمنين إذا لم يكن بينهم وبين المسلمين حرب وعداء إذا كان وراء ذلك مصلحة ونصرة للمسلمين، وإذا أنكرنا التعامل مع غير المؤمنين كيف نستطيع تبليغ دعوة التوحيد، والتي تتطلب الاتصال بغير المؤمنين أيا كانت مذاهبهم ونحلهم، ونجادهم بالتي هي أحسن، ولا نكرهم على الدخول في عقيدتنا، هذه كلها مبادئ وضعها لنا الإسلام قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإهنا وإهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ [سورة العنكبوت الآية: ٤٦]، ويقول سبحانه: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [سورة النحل الآية: ١٢٥].

والإسلام دائما يدعو إلى الصلح والمودة، ويرجحهما على العداوة والبغضاء اللتين لا تولدان إلا الحقد والكراهية والتنافر والتباعد بين الأمم والشعوب، وليست هذه من الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام . فالإسلام يطلب من المسلم أن يكون دائما متفائلا بالخير: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عبادتكم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾ [سورة الممتحنة الآية: ٧].

بعد أن استعرضنا في الصفحات السابقة علاقة الإنسان بالأقربين من حوله من مواقعه المختلفة؛ نخلص إلى أن الإنسان اجتماعي بالفطرة، فلا يمكن أن يعيش بمفرده أو في معزل عن الآخرين . وقد منَّ الله على الإنسان فخلق الله زوجا: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة..﴾ [سورة الروم الآية: ٢١]. ومن الزوجين تتكون الأسرة التي هي نواة المجتمع. ولكي يعيش هذا المجتمع فلا بد له من نظام يحكم سلوك أفراده، والإسلام أتى بذلك النظام وهو مجموعة المبادئ والقيم التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع. وحتى يكون الأمن والسلام والسعادة الحقة للجميع.

وقد بني هذا النظام على مبدأ أساسي، وقاعدة متينة، ألا وهي: محبة الله سبحانه وتعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبة المؤمنين الصالحين. قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتكموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسين﴾ [سورة التوبة الآية: ٢٤]. وقال صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا

الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" رواه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣/٦٧) واللفظ للبخاري. - وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: "من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصومه حتى يكون كذلك". (انظر: فتح المجيد: ص ٢٩٧).

والعلاقات المبنية على مبدأ محبة الله تكون قوية متماسكة منجية من عذاب الله، خلافا للعلاقات المبنية على أهواء وأغراض شخصية بحتة قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف الآية: ٦٧]. والمحبة التي تكون في الله والله تصل بصاحبها إلى أن يؤثر غيره على نفسه، ويتخلى عن الأنانية وحب الذات، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر الآية: ٩]. ونجد يوم القيامة هؤلاء الأخلاء الأحباب الذين كانت علاقتهم ومحبتهم مبنية على غير محبة الله ورضاه يتخلى بعضهم عن بعض، وينكر ويحسد بعضهم الآخر. قال تعالى: ﴿إِذ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ [سورة البقرة الآية: ١٦٦]. والعمل إن لم يكن مبنيا على محبة الله ورسوله لا يقبل يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتى الله بقلب سليم﴾ [سورة الشعراء الآية: ٨٨-٨٩]؛ وكذا لا يشفع لصاحبه بل يكون حسرة عليه ويذهب أدراج الرياح، قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا﴾ [سورة الفرقان الآية: ٢٣].

لذا فعلاقة الإنسان بالآخرين يجب أن تكون مبنية على أساس ما جاء في القرآن والسنة.

## مراجع الفصل الثالث

- ابن قَيِّم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. ت (٧٥١هـ) -  
الروح - ط ١، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. ت (٧٢٨هـ) - مجموع فتاوي شيخ  
الإسلام ابن تيمية - جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، مصر،  
١٣٢٨هـ/١٩٦٢م.
- أبو العيين، علي خليل - فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم - دار  
الفكر العربي، ط ١، ١٩٨٠م.
- بنت الشاطي، عائشة عبدالرحمن - القرآن وقضايا الإنسان - دار العلم  
للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨١م.
- الجوزو، محمد علي - مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة - دار العلم  
للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.
- حوى، سعيد - تربيتنا الروحية - دار الكتب العربية، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ.
- الحسيني، السيد محمد بن علوي المالكي - أدب الأسرة في الإسلام - ط ٢،  
١٤٠١هـ.
- الخطيب، عبدالكريم - الإنسان في القرآن - من البداية الى النهاية - دار الفكر  
العربي، ط ١، ١٩٧٩م.
- حياط، محمد جميل بن علي - النظرية التربوية في الإسلام - دراسة تحليلية -  
مطابع الصفا، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ.



- درادكة، صالح موسى - الإنسان في القرآن الكريم - دار الهجرة، بيروت، دمشق، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن - أسباب النزول - دار مكتبة الهلال، ط ١، ١٩٨٦م.
- السائح، عبدالحميد - عقيدة المسلم وما يتصل بها - مطابع وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، عمان، ط ٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- شعراوي، محمد متولي - الاسراء والمعراج - ضميريه، عثمان جمعه - التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان - العقاد، عباس محمود - الإنسان في القرآن - دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٧٨م.
- عبدالباقي، محمد فؤاد - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - دار القلم، بيروت.
- الغزالي، حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد ت. (٥٠٥هـ) - إحياء علوم الدين - مكتبة زهران، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الغزالي، محمد - نظرات في القرآن - دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ٥، (د.ت).
- قطب، سيد - في ظلال القرآن - (٦ أجزاء)، دار الشروق، جدة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- قطب، محمد - دراسات في النفس الإنسانية - ١٩٦٧م.

- قطب، محمد - الإنسان بين المادية والإسلام - دار الشروق، بيروت، ط ٥،  
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- قس، حامد صادق - الكون والإنسان في التصور الإسلامي -

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري - التذكار في أفضل الأذكار -  
مكتبة الخانجي، ط ١، ١٣٥٥هـ.

- الكيلاني، ماجد عرسان - تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية - دار ابن  
كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط ٢، ١٤٠٥هـ /  
١٩٨٥م.

- الكسيس كارل - الإنسان هذا المجهول - ترجمة انطوان العبيدي، دار الكتب  
المصرية، القاهرة، (د.ت).

- المكّي، السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني - شريعة الله الخالدة - دراسة  
في تاريخ تشريع الأحكام ومذاهب الفقهاء والاعلام - دار الشروق، جدة، ط ٢،  
١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

- الهاشمي، عابد توفيق - مدخل الى التصور الإسلامي -

- يالجن، مقداد - الاتجاه الأخلاقي في الإسلام - مكتبة الخانجي، القاهرة،  
١٩٧٣م.

## الفصل الرابع

### مبادئ وقيم تربوية من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة

تمهيد:

أولاً: مبادئ وقيم تربوية عامة

ثانياً: مبادئ وقيم تربوية ترتبط بالعالم المشهود

١ - عالم الحيوان

٢ - عالم النبات

٣ - عالم الجماد

ثالثاً: مبادئ وقيم تربوية ترتبط بعالم الغيب

١ - مبادئ وقيم حول مفهوم الغيب

٢ - مبادئ وقيم حول عالم الملائكة

٣ - مبادئ وقيم حول عالم الجن



## تمهيد:

كما سبق أن ذكرنا أن الإسلام جاء بمبادئ وقيم تربوية تنظم حياة الإنسان في علاقته مع خالقه سبحانه وتعالى أولاً، ومع بني جنسه ثانياً، ومع بقية مخلوقات الله سبحانه وتعالى ثالثاً، لكي يعيش الملتزم بها حياة آمنة مستقرة لالبس فيها ولا غموض.

في الصفحات السابقة تحدثنا عن المبادئ والقيم التربوية من خلال التصور الإسلامي للإنسان وفي هذا الجزء نتحدث عن المبادئ والقيم التربوية من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة.

يشمل الكون كل مخلوقات الله سبحانه وتعالى التي لا يمكن حصرها أو عدّها فلا يعلمها إلا هو وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٨٥]، ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [سورة النحل الآية: ٨].

إن لفظ (كان - يكون - كن) ورد في مواضع من القرآن منها: قال تعالى: ﴿فإثما يقول له كن فيكون﴾ [سورة البقرة الآية: ١١٧، آل عمران الآية: ٤٧، مريم الآية: ٣٥، غافر الآية: ٦٨].

قال تعالى: ﴿ثم قال له كن فيكون﴾ [سورة آل عمران الآية: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ [سورة الأنعام الآية: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿إثما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [سورة النحل الآية: ٤٠].

فالكون هو الذي كوّنه الخالق سبحانه وتعالى وخلقته. والكون هو العالم الذي نعيش فيه ومجموع أجزائه، أي مجموع المخلوقات، يطلق عليها اسم العالم ...

فالعالم: هو ماسوى الله تعالى من مخلوقات. فكل موجود عالم، لأنه من يعلم به وجود الخالق سبحانه وتعالى (ضميرية، ص ٩).

**فالكون يشمل:** السماء وما تحويه من نجوم وكواكب ومجرات. والشمس والقمر، والأرض وما عليها من تضاريس وحيوان ونبات، وما تتعرض له من تقلبات وما يسقط عليها من برد ومطر وما بداخلها من خيرات - الإنسان جزء من الكون وأفرد الحديث عنه في الفصل السابق.

ويمكن القول إن الكون يتكون من قسمين: قسم يدركه الإنسان بحواسه (عالم الشهادة)، وقسم لا يدركه بحواسه (عالم الغيب) إنما يؤمن به لأنه أخبر به عن طريق الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إنه هو إلا وحي يوحى.

الكون ميدان فسيح يتناوله العلماء بالدراسة في جميع فروع العلم والمعرفة، والتربويون يستنبطون من آياته المبادئ والقيم التربوية التى تنظم حياة الإنسان وهذا ما نسعى إليه في هذا الجزء من الدراسة.

وأكرر القول إنى لا أدعي القدرة على حصر كل تلك المبادئ والقيم، ولكن أعرض نماذج منها فقط ... فمكونات الكون لا يمكن حصرها فكيف إذا بمبادئها وقيمها.

### **أولاً: مبادئ وقيم تربوية عامة:**

قبل سرد المبادئ والقيم التربوية المرتبطة بمكونات الكون نذكر بعضاً من المبادئ والقيم التربوية المستنبطة من خلق هذا الكون بصفة عامة:

١ - خلق الله الكون لحكمة وغاية ولم يخلقه عبثاً. قال تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويلٌ للذين كفروا من النار﴾ [سورة ص الآية: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آياتٍ لأولي الألباب\* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٩٠-١٩١]، ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعين﴾ [سورة الدخان الآية: ٣٨، سورة الأنبياء الآية: ١٦].

٢ - خلق الله الكون لعبادته وحده، فكل ما في الكون يسجد لله وبطبعه ويخضع له آلياً، ما عدا الإنسان فإن ذلك يكون بالنسبة له إختيارياً.

قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب﴾ [سورة الحج الآية: ١٨]، ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٤١].

٣ - الكون خُلِقَ من مخلوقات الله سبحانه وتعالى ودليل على وجوده. قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٩]، قال تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُدبّر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا

تذكرون\* إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقا إنه يُبدئ الخلق ثم يعيده ليجزى  
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم  
وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴿ [سورة يونس الآية: ٣، ٤].

هذه الآيات وغيرها كثير في كتاب الله تُكذِّب أولئك الملحدين (الطبيعيين)  
القائلين بأزلية الكون .. وأنه لا بداية له ولا نهاية، والله سبحانه وتعالى يقول:  
﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ [سورة الأنبياء  
الآية: ١٠٤]، ﴿ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدئ  
الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ﴾ [سورة يونس الآية: ٣٤]. والعلم الحديث أثبت  
كذبهم وبهتانهم وتناقض أقوالهم، حيث ثبت أن مكونات هذا الكون آخذة في  
التلاشي ولا بد لها من نهاية، كما أن كثيراً من علماء الغرب المتصفين شهدوا  
بوحداية الله وخلق هذا الكون. يقول د. إيرفنج وليم وهو استاذ العلوم الطبيعية  
في جامعة ميتشجن ومختص في وراثة النباتات: (الإيمان بالدين تدعمه الاكتشافات  
العلمية. وقد أيدت العلوم فعلا كثيراً من النبوءات التي جاءت بها الكتب  
المقدسة... فعلم الفلك مثلاً يشير إلى أن لهذا الكون بداية قديمة وأن الكون يسير  
إلى نهاية محتومة وليس مما يتفق مع العلم أن نعتقد أن هذا الكون أزلي ليس له  
بداية أو أبدى ليس له نهاية، فهو قائم على أساس التغير" وفي هذا الرأي يلتقي  
الدين بالعلم... إلى أن ينهي قوله... قائلاً: اني أعتقد في وجود الله لأن وجوده  
القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون  
التي نشاهدها)، (مونسما، ص ٥٣، ٥٤).



٤ - خلق الله سبحانه وتعالى الكون وهياًه لكي يعيش عليه الإنسان وهو أرقى مخلوقات الله متنقلاً في أرجائه، ومتنعماً بثمراته وخيراته، ولا بد للإنسان من التمعن والتفكر في تلك النعمة العظيمة التي وهبها له وفضله بها على سائر مخلوقاته فسخر له أعظم وأكبر مخلوقاته السموات والأرض إلى أصغرها حجماً من الحيوان والنبات ليستفيد منها في حياته، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ\* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ\* وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم الآية: ٣٢ - ٣٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ\* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ\* وَهُمْ فِيهَا مَنَافِعَ وَمَشَارِبَ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة يس الآية: ٧١-٧٣]، ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ [سورة الجاثية الآية: ١٣].

٥ - تشهد الأرض والسماء والجبال والبحار والمحيطات بعظمة الله سبحانه وتعالى وتدل على وجوده، وتقف شامخة قوية تتحدى الإنسان وتبهره بحجمها وضخامتها، إلا أن قدرة الله سبحانه وتعالى تنسفها وتجعلها أشلاء تتطاير في الهواء فتغير وتبديل أو تزول كلياً، والآيات التي تدل على ذلك في كتاب الله كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً وكرها قالتا أتينا طائعين﴾ [سورة فصلت الآية: ١١]، وقوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ [سورة

إبراهيم الآية: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً وَحَمَلَتِ الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ فَذُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة الآية: ١٣ - ١٦].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [سورة الطور الآية: ٩-١٠]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [سورة المعارج الآية: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ \* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ \* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ \* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ \* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ \* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [سورة التكوير الآية: ١-٦]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ \* وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَشَرَتْ \* وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [سورة الانفطار الآية: ١-٣].

فسبحان الله وتعالى القادر على خلق هذا الكون الكبير الذي لا يعجزه سبحانه أن يخرج هذا الإنسان الذي يعد خلقه يسيراً قياساً الى خلق السماوات والارض أن يميته ويعيده الى الحياة مرة أخرى.

٦ - مكونات هذا الكون يسيرها المولى عز وجل فهي إما أن تكون رحمة للإنسان وإما أن تكون عليه عذاباً ونقمة. ونأخذ الرياح والريح مثلاً لذلك فهي تكون نعمة عليه حين تهب بنسيمها البارد العليل وحين تكون لواقح للثمرات وحين تحمل المطر... قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سَقَنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ٥٧].

وتكون نعمة وعذاباً حين يسلطها الله على الإنسان قال تعالى: ﴿أفأنتم أن  
يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لاتجدوا لكم وكيلاً\* أم  
أنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيفرقكم بما  
كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ [سورة الإسراء الآية: ٦٨-٦٩].

وهؤلاء قوم ثمود وقوم عاد أهلكهم الله بالطاغية وبالريح قال تعالى:  
﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة\* فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية\* وأما عاد فأهلكوا  
بريح صرصر عاتية\* سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم  
فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ [سورة الحاقة الآية: ٤ - ٧].

والله سبحانه وتعالى يحذر الكافرين وينذرهم اليوم بما أهلك به الأقوام  
السابقة فيعذبهم عذاباً خفيفاً عسى أن يتوبوا ويعودوا إلى الله سبحانه وذلك  
حين يرسل عليهم الريح التي تأخذ أسماء عديدة حسب المناطق التي تهب عليها  
فتعرف في أمريكا برياح الترنادو التي تقتلع الأشجار من جذورها وتهدم المنازل  
وتسبب الفيضانات التي تدمر مدناً وقرى بأكملها.

## ثانياً: مبادئ وقيم تربوية ترتبط بالعالم المشهود:

كما أن القرآن كتاب الله المقروء، فإن الكون كتاب الله المشهود، فكل  
ما في الكون يشهد بوجود الله وينطق بعظمته، والكون المشهود هو العالم أو  
الأشياء التي نشعر بها وندركها بجواسنا الخمس. والإنسان يرى ويدرك العديد  
من مخلوقات الله سبحانه وتعالى سواء كانت على الأرض أم في أعماق المحيطات  
أم في السماء، وكل هذه المخلوقات وإن كانت ترى منفصلة الواحدة عن

الأخرى إلا أنها في واقع الأمر مرتبطة بطريقة أو بأخرى بعضها مع بعض ومن أولى هذه المخلوقات:

## ١ . عالم الحيوان:

فالحيوانات التي تعيش معنا على هذا الكوكب عديدة لا يمكن للإنسان أن يحصرها ولا أن يعدها ولا أن يدعي معرفتها كلها، ولم يخلقها الله عبثاً بل إن لها وظيفةً ومهامً تؤديها، وهي بطريقة أو بأخرى ترتبط بحياة الإنسان. لذا بين لنا المولى عز وجل المبادئ والقيم التي على ضوءها يتعامل الإنسان مع الحيوان. وفيما يلي نذكر بعضاً من تلك المبادئ والقيم:

١ - دراسة الكائنات الحية تؤدي إلى زيادة الإيمان بالله وبعظمته وقدرته، فالعلم الحديث يوضح اختلاف وحدة التكوين أو الحياة (البروتوبلازم) بين النبات والحيوان، ولم يستطع الإنسان حتى الآن الوصول إلى حقيقة هذه الوحدة أو الخلية. وللتدليل على ذلك نذكر ما ذكره أحد المختصين الغربيين في علم الأحياء والنبات حيث يقول: "إنني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها، وأن الملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق ولذلك فإنني أؤمن بوجود الله إيماناً راسخاً" (مونسما، ص ٧٧).

٢ - خلق الله سبحانه وتعالى الحيوانات بأنواعها وسخرها وذلّلها للإنسان حتى ينتفع بها قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْعٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون\* وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم\* والخيل

والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ [سورة النحل  
الآية: ٥ - ٨].

٣ - الآيات في الفقرة السابقة توضح نعمة الأنعام على الإنسان، في جانبها  
المادي. وهو أنها مُعدّة للأكل والركوب ومن جلودها وأوبارها وأظفارها ينتفع  
الإنسان .. إلا أن المولى سبحانه وتعالى لم يُغفل ذكر نفعها الوجداني للإنسان،  
فهي تُدخِلُ البهجة والسرور إلى نفسه في شكلها وألوانها وأحجامها  
وحركتها، وأصواتها، فهي زينة يُسرُّ المرءُ برؤيتها.

في هذه الآيات وكما ذكر سيد قطب إشارة من المولى عز وجل وتبنيه  
للإنسان لأن يكون مستعداً لرؤية أنماط جديدة من أدوات الحمل والنقل  
والركوب والزينة .. وعليه أن يتقبلها ويأنس بها ويستخدمها ... وفي هذا أكبر  
دليل على أن الإسلام عقيدة مفتوحة مرنة تسائر كل زمان ومكان وتتقبل ما  
يتمخض عنه العلم من مخترعات ومبتكرات. (سيد قطب في ظلال القرآن مجلد ٤،  
ص ٢١٥٧).

٤ - قال سيد قطب (إن الناس ليسوا وحدهم في هذا الكون، حتى يكون  
وجودهم مصادفة وحتى تكون حياتهم سدًى، إن حولهم أحياءً أخرى كلها ذات  
أمر منتظم، يوحى بالقصد والتدبير والحكمة، ويوحى كذلك بوحدة الخالق،  
ووحدة التدبير الذي يأخذ به خلقه كله ..

إنه ما من دابة في الأرض - وهذا يشمل كل الأحياء من حشرات وهوام  
وزواحف وفقاريات - وما من طائر يطير بجناحيه في الهواء - وهذا يشمل كل  
طائر يطير أو حشرة غير ذلك من الكائنات الطائرة - ما من خلق حي في هذه

الأرض كلها إلا وهو ينتظم في أمة، ذات خصائص واحدة، وذات طريقة في الحياة واحدة كذلك ... شأنها في هذا شأن أمة الناس ...

ماترك الله شيئاً من خلقه بدون تدبير يشمله، وعلم يحصيه ... وفي النهاية تحشر الخلائق إلى ربها ... فيقضي في أمرها بما يشاء" (سيد قطب: في ظلال القرآن، مجلد ٢، ص ١٠٨٠). وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم \* ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ [سورة الأنعام الآية: ٣٨].

٥ - يجب على المرء أن يؤمن بالإيمان المطلق بأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الحيوان أيّاً كان نوعه وحجمه عبثاً بل لفائدة ومنفعة، اكتشف الإنسان بعضها ولم يكتشف الكثير منها. وفائدة الإنسان منه لا تتوقف على الحيوانات الكبيرة التي سبقت الإشارة إليها بل أنه يتنفع من أنواع أخرى عديدة منها النحل المخلوق الصغير الحجم العظيم الفائدة. قال تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون \* ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ [سورة النحل الآية: ٦٨ - ٦٩].

نستخلص من الآية السابقة أن توجيه الله وإرشاده لم يقتصر على الإنسان بل شمل الحيوان أيضاً فالنحل بوحى من الله وبقدرته سبحانه وتعالى، أو بالفطرة التي فطره عليها يعمل وينتج وكأنه في مصنع مثله مثل الإنسان. "فالنحل يعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها، أو في تقسيم

العمل بينها، أو في طريقة إفرازها للعسل الصافي" (المرجع السابق، مجلد ٤، ص ٢١٨١).

٦- ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم آيات كثيرة توضح الأخطاء التي ارتكبتها الإنسان حين استخدامه للحيوان وكذلك وردت أحاديث عديدة في هذا المعنى تبين خروج هذا الإنسان عن أوامر الله سبحانه وتعالى في استغلاله لهذا الحيوان المسخر له. قال تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقال هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ... وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه ... وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يك ميتة فهم فيه شركاء﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٣٦ - ١٣٩].

هذه الآيات تتحدث عن قضية غاية في الأهمية هي قضية التشريع، التي يجب أن يكون لله وحده لا شريك له. فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق وإليه المعاد وهو صاحب الحكم والتصرف فيه، فلا يجوز للإنسان أن يتصرف في شيء من مخلوقات الله إلا بموجب ما أمر ونهى عنه، فالإنسان في الجاهلية القديمة أشرك بالله حين ذبح للأنعام، فجعل جزءاً منها لله وجزءاً لآلهته الأصنام والأوثان، وآخرون حرّموا ركوب ظهور بعض الأنعام، أو لا يذكرون اسم الله عليها حين ركوبها أو عند حلبها إنما تذكر آلهتهم (المرجع السابق، مجلد ٣، ص ١٢١٣-١٢١٤).

ويقوم أصحاب الجاهلية الحديثة اليوم بذبح الأنعام أو غيرها من الدواب  
للسحر والمشعوذين الذين يقدمونها لشياطين الجن الذين يتعاملون معهم (كما  
يزعمون) وتناسي أولئك أن المبدأ الأساس في الذبح يعود إلى مبدأ التشريع الإلهي  
فلا يجوز الذبح أو التوجه بشيء من ذلك لغير الله. ومن يفعل ذلك فقد أشرك  
وكفر.

٧ - كما أن المولى سبحانه وتعالى قد قص علينا بعضاً من أوهام الجاهلية  
وظلمات الوثنية لدى العرب قديماً، حيث كانوا يققون أو يتركون بعض الأنعام  
لآلهتهم وأوثانهم أو أنهم يجرّمون ذبحها أو استخدامها أو الاستفادة بشيء منها  
دون الاستناد إلى أمر من عند الله كما أن عملهم ذلك لا يقوم به ذو عقل سليم  
ومنطق قويم ... إنما هي أوهام وخرافات وطيش يدل على ضياع الإنسان حينما  
لا يلتزم بأوامر الله.

يذكر لنا المولى عز وجل كل ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ  
بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ...﴾ [سورة المائدة الآية: ١٠٣].

هذه الأنواع من الأنعام وردت حولها عدة تفسيرات منها: أن البحيرة من  
الإبل هي التي يحجز لبنها للآلهة، والسائبة من الإبل تلك التي تترك للآلهة  
والطواغيت، والوصيلة هي الناقة التي تكرر بأنثى ثم تتني بأنثى فيذبجونها  
لطواغيتهم، والحامي هو الفحل من الإبل بعد أن يضرب عدداً من النوق يترك  
للطواغيت ... هذه سمة من سمات الجاهلية القديمة ... ولكن تبقى الجاهلية سائدة  
طالما أن المبدأ الذي انطلقت منه لا يزال قائماً وهو تحكيم غير الله في الأمور  
الدنيوية .. وهذا هو الشرك بعينه حين جعل الإنسان تشريعه وسلطته ومبادئه



وقيمه وموازينه للأمر على غير هدى الله. هذا ما نشاهده اليوم في جاهلية القرن العشرين، طقوس وعادات وتقاليد يمارسها البعض في ذبحهم ونذرهم ما أنزل الله بها من سلطان ... ويذكر سيد قطب في تعقيبه على هذه الآيات أن أولئك الجهلة كانوا يعتقدون بدين إبراهيم عليه السلام ولكنهم شرعوا لأنفسهم وتركوا ملة إبراهيم. وهذا ما يفعله كثير من المسلمين اليوم يؤمنون بالله رباً وبمحمد نبياً، إلا أنهم يأتون من الأمور ما يدخلهم في الشرك فهم يذبحون على قبور موتاهم أو باسم مشايخهم وهم برآء من ذلك، أو أنهم يخصصون لذبحهم أياماً ومناسبات خاصة لم ترد في الشرع وينذرون لغير الله فهم بهذا لا يختلفون عن أصحاب الجاهلية الأولى، بل أن جهلهم أسوأ وأشد ...

٨ - كان الحيوان ولا يزال مادة امتحان أساسية للإنسان منذ القدم. فنهى الله سبحانه وتعالى اليهود من قبل عن صيد البحر في يوم السبت حينما سألوا موسى أن يجعل لهم يوماً للراحة والصلاة فلا يشتغلوا فيه بشيء من أمور الدنيا، فجعل الله لهم يوم السبت وأراد امتحانهم في صدقهم فساق إليهم صيد البحر يجيء إليهم قرب الشواطئ (في هذا دليل على أن الحيوانات تطيع أوامر الله)، ولكن اليهود كعادتهم لم يلتزموا بعهد، واحتالوا على الله بأن حوطوا السمك في ذلك اليوم وعادوا واصطادوه في اليوم التالي. وامتنح الله المسلمين في اختبار مشابه لهذا حين أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم الصيد وهم في ملابس الإحرام حتى أصبح يطوف بحيامهم ومنازلهم إلا أنهم التزموا أمر الله فأبان أنهم أهل للالتزام بما شرع الله لهم من أحكام وأنهم خير من بني إسرائيل في ذلك.

وقد نزع الله الخلافة في الأرض من بني إسرائيل واثمن عليها أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٦٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة الآية: ٩٤].

٩ - كذلك فقد حرم الله سبحانه وتعالى على الإنسان قديماً وحديثاً أكل بعض الحيوانات ففي القديم حرمت على اليهود الإبل والنعام والوز، وكل حيوان لم تنفرج قائمته وكذلك حمار الوحش، كما حرمت عليهم شحومها وتُرب البقر والغنم، إلا ما كان ملتصقاً بلحم الظهر، وحرّم عليهم أكل المراض وفيها الأمعاء (الحوايا) وقد جاء هذا التضييق من الله سبحانه وتعالى على اليهود مجازاة على بغيهم ومخالفتهم لأوامر الله قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شَحُومُهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٤٦]، (محمد علي الصابون: مختصر تفسير ابن كثير، تفسير سورة الأنعام).

وحرّم الله سبحانه وتعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم حفاظاً على صحتها وسلامة أجسامها ورحمة بهم بعض الحيوانات وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أٰهَلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ

والمخنقة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على  
النَّصَب وأن تستقسموا بالأزلام ذلك فسق ﴿ [سورة المائدة الآية: ٣].

النصب حجارة حول الكعبة قال ابن جريح: وهي ثلاثمائة وستون نصبا،  
كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء  
تلك الذبائح ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب، والاستقسام بالأزلام، وهي  
عبارة عن قدام ثلاثة على أحدها مكتوب: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل والثالث  
ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع سهم الأمر فعله، أو النهي تركه، وإن طلع  
الفارغ أعاد.

والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام. (المرجع السابق)،  
تفسير سورة المائدة). وقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين وحرّم عليهم هذه  
الأعمال.

## عالم النبات:

لايستطيع الإنسان حصر أنواع النباتات التي خلقها الله سبحانه وتعالى والتي  
تقاسمنا الحياة على هذا الكوكب، ولم تخلق عبثاً بل أن لها وظائف تؤديها،  
والارتباط بينها وبين مخلوقات الله الأخرى وثيق جداً وبدونها تستحيل الحياة.  
ومن تدبر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن النبات نستنبط  
المبادئ والقيم التالية:

١ - بدأ الارتباط بين الإنسان والنبات في الجنة، حين أمر الله سبحانه وتعالى  
أبانا آدم عليه السلام وأُمَّنا حواء أن لا يأكلا من تلك الشجرة؛ إلا أن الشيطان  
أغواهما ووسوس لهما فأكلا منها وكان ذلك سبباً في خروجهما من الجنة، وبعد

توبة آدم عليه السلام عوضه الله بأحسن مما كان فيه حين استخلفه في الأرض وأعطاه الدرية. "إن قصة الشجرة المحرمة ووسوسة الشيطان باللذة ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة بعد السكر [هكذا وردت في الظلال وينبغي أن لا يكون هذا الأسلوب مع أنبياء الله] والغفلة، والندم وطلب المغفرة... إنها هي تجربة البشرية المتجددة المكررة" (سيد قطب - فى ظلال القرآن، جـ ١، ص ٥٩). قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ، وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٣٥]. ومن الآية السابقة نستنبط الكثير من المبادئ والقيم التربوية وفي مقدمتها: إن طاعة الله واجبة وطاعته تؤدي إلى رضوانه ونعيمه، وعدل الله ورحمته بعباده إذ أعطاهم فرصة التوبة وإن تابوا يعوضهم بأفضل مما أخذ منهم...، وإن شهوة البطن من أقوى الشهوات التي قد توقع الإنسان في المحرمات.

٢ - يصور القرآن الكريم في أسلوب بديع رائع وشيق وجذاب يأخذ بالعقول والقلوب عملية نمو النبات، وهذا التصوير يراه المتأمل للآيات وكأنه شريط سينمائي يعرض العملية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿هو الذى يرسل الرياح، بشراً بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت، فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ [سورة الأعراف الآية: ٥٧]. ومن الآية الكريمة يتضح لنا العديد من المبادئ والقيم التربوية، منها: ان ما يجرى في هذا الكون هو بأمر الله سبحانه وتعالى وتدبيره وسلطانه ونواهيه أو فطرته التي وضعها في الأشياء، وفي هذا نفي للعفوية أو المصادفة التي يقول بها الملحدون (الطبيعيون) في تسيير الكون.

والآية الكريمة تثبت مشيئة الله وقدرته، وثبت الناموس الثابت والسنة الجارية إلا أنها تبين القدر المصاحب لكل حركة من حركات الناموس وفي كل مرة تتحقق فيها السنة (سيد قطب - في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٢٩٨ - ١٢٩٩).

٣ - يمثل الله سبحانه وتعالى للنشأة الأولى للإنسان وتكاثره أو النشأة الآخرة بعملية نمو النبات، التي تتكرر أمام أعيننا حيث يقوم الإنسان بحث الأرض ووضع البذرة فيها وقد يتعهدا بالرعاية والسقاية، ولكن قدرة الله سبحانه ومشيئته هي التي تنبتها وتغذي ساقها حتى تصبح شجرة كبيرة تؤتي ثمارها وتعيد نوعها .. هذه العملية ولو أنها لم تتكرر أما الإنسان فأبي عاقل سيصدق بأن النواة تخرج لنا نخله خضرة عالية تعطي لنا كمية كبيرة من التمر أو الرطب. ومن الذي سيصدق أن بذرة البرتقال تنشئ شجرة كبيرة تعطي مئات من حبات البرتقال .. فهذه الرحلة التي تعطيها البذرة دون أن تخطئ .. هي نفس الرحلة التي تمر بها الخلية من المنى بعد أن يتم التلاقح .. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أفرأيتم ما تمنيون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ... أفرأيتم ما تحرثون \* أنتم تزرعون أم نحن الزارعون﴾ [سورة الواقعة الآية: ٥٨ - ٦٤].

أهم مبدأ نستخلصه من الآيات السابقة هو عجز الإنسان عن الإتيان بشيء لم يريده الله سبحانه وتعالى، وإن خلق روح الحياة هو بيد الله وحده - وإن الله سبحانه وتعالى يكافئ كل من عمل وجد واجتهد فمن بذر حصداً بمشيئة الله سبحانه وتعالى. ينبغي للمرء أن يقدم مشيئة الله في كل عمل يهم به أو يريد القيام به.

٤ - حين أراد المولى سبحانه وتعالى أن ييشر المؤمنين الأوائل، ومن تبعهم على ذلك، بنعيم الجنة والنباتات التي يجدونها بدأ بأحب النبات اليهم والمألوف لديهم فقال تعالى: ﴿في سدر مخضود\* وطلح منضود\* وظل ممدود\* وماء مسكوب\* وفاكهة كثيرة\* لامقطوعة ولا ممنوعة\*..﴾ [سورة الواقعة الآية: ٢٨-٢٣] وحين وصف سبحانه وتعالى ما يلاقيه أهل الكفر والضلال فقال: ﴿لا تكلون من شجر من زقوم\* فمائلون منها البطون\* فشاربون عليه من الحميم\* فشاربون شرب الهيم\* هذا نزلهم يوم الدين..﴾ [سورة الواقعة الآية: ٥٢-٥٦].

هذه الآيات توضح لنا مبدأ أساساً هو أن النبات أيضاً فيه الجيد والنافع للإنسان وفيه الرديء الضار وأن الإنسان المؤمن يرى يوم القيامة في الجنة كل ما كان يتوق إليه من نعيم، والكافر يرى كل ما كان يكره في الدنيا وما كان يتوعده به المولى سبحانه وتعالى.

أنواع الفاكهة كثيرة لا يحصى نوعها وعددها إلا الله سبحانه وتعالى، وما نجده في الدنيا ماهو إلا جزء يسير مما سنجده في الآخرة. وفي نعيم الجنة لا يكون هناك محرم أو محظور أو ضار للإنسان بل له أن يأخذ كل ما يشتهي ويرغب.

٥ - يمثل الله سبحانه وتعالى الحياة بالأرض اليانعة الخضراء، والموت بالأرض القاحلة الجذباء، وفي هذا إشارة إلى أن النبات رمز الحياة. ومعلوم أن النفس البشرية تميل إلى الخضرة والزرع حيث إن نظره يشيع في النفس الحيوية والنشاط ويدخل إليها البهجة والسرور .. ويعلم الله سبحانه وتعالى أحاسيس ومشاعر

الإنسان فيخاطبه بما يحركها.. قال تعالى: ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأفلا يبصرون﴾ [سورة السجدة الآية: ٢٧] والآية الكريمة تدل على صفة من صفات المولى عز وجل التي أنفرد بها وهي القدرة على الخلق والإحياء... فوضح سبحانه وتعالى في الآية السابقة لهذه الآية قدرته سبحانه على الإهلاك، وهنا يبين قدرته على الإحياء فهو وحده سبحانه القادر على بث الحياة في الأرض القاحلة البور بأن يسوق إليها الماء وهو خالق الحياة بقدرة ومشيئة تصبح مخضرة بالعشب والثمار الذي يعيش عليه الإنسان والحيوان.

٦ - النبات والزرع من مخلوقات الله سبحانه وتعالى تسير بمشيئة وإذنه فيرزقها من يشاء وينزعها ممن يشاء، وهي كذلك جعلت مادة لاختبار الإنسان ومدى التزامه وقربه من الله سبحانه وتعالى. فإن أعطى منها حمد وشكر وإن لم يُعطَ رضى بما قسم الله له واقتنع. ويذكر الله سبحانه وتعالى قصة الرجلين والجنيتين فيقول: ﴿وأضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً كلتا الجنيتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالها نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً\* ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً\* وما أظن الساعة قائمة ولئن رُددتُ إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً\* قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً\* لكن هو الله ربي ولا أشرك بربي أحد\* ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً\* فعسى ربي أن يؤتين

خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً\* أو  
يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً\* وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه  
على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي  
أحداً ﴿ [سورة الكهف الآية: ٣٢-٤٢].

ويعلق سيد قطب على هذه القصة بقوله إنها (تضرب مثلاً للقيم الزائلة  
والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة  
بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل  
الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار  
الناس والحياة. ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه.  
وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على  
النعم، موجبة لحمده وذكره، لا للجحوده وكفره)، (سيد قطب، في ظلال القرآن -  
مجلد ٤، ص ٢٢٧٠).

### عالم الجماد:

هو كل مالا ينمو ولا حياة فيه كالأحجار والمعادن، والأرض والشمس والقمر  
والنجوم. وخلقها الله سبحانه وتعالى لحكمة، ومن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية  
التي تتحدث عنها نستنبط العديد من المبادئ والقيم التربوية منها:

١ - هي جميعها من مخلوقات الله سبحانه وتعالى خلقها لغاية وهي عبادة الله  
سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن  
وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً  
غفوراً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٤٤].



٢ - كما أن الأحجار خلقها الله سبحانه وتعالى وسخرها للإنسان ليستفيد منها في حياته الدنيا وتقويه على طاعة الله.

### **فهذه الجبال خلقها الله لعدة أغراض نذكر بعضها :**

١ - جعلها الله شارة يضرب بها ويمثل بها كما في قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ [سورة الحشر الآية: ٢١].

﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٤٣].

﴿وإن كان مكروهم لَنزولَ منه الجبال﴾ [سورة إبراهيم الآية ٤٦].

٢ - تسبح الجبال بحمد ربها وتطيع أوامره .. فلعل الإنسان يعتبر من ذلك قال تعالى: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ...﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٧٩]، وأية أخرى قوله: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق \* والطير محشورة كل له أبواب﴾ [سورة ص الآية: ١٨-١٩].

يقول سيد قطب: "ولقد يقف الناس مدهوشين أمام هذا النبأ .. الجبال الجامدة تسبح مع داود بالعشي والإشراق، حينما يخلو إلى ربه، يرتل ترانيمه في تمجيده وذكره. والطير تتجمع على نعمات لتسمع له وترجع معه أنا شيده .. لقد يقف الناس مدهوشين للنبأ لأنه يخالف مألوفهم، ويخالف ما اعتادوا أن يحسوه من العزلة بين جنس الإنسان، وجنس الطير، وجنس الجبال! ولكن فيم الدهشة وفيم العجب؟ إن الخلائق كلها حقيقة واحدة. وراء تميز الأجناس والأشكال والصفات

والسمات .. حقيقة واحدة يجتمعون فيها يبارئ الوجود كله .." (سيد قطب -  
في ظلال القرآن - مجلده، ص ٣٠١٧).

الآيات السابقة تشير الى حقائق توضح بعض أحوال الجبال ومعنى ذلك أن  
هذه الجبال والأحجار أحوالاً يعلمها الله منها: تسبيحها، خشوعها لجلال الله،  
هبوطها من خشية الله، خشوعها وتصدعها من خشية الله وخوفه. ومعنى ذلك  
أن لها وظيفة تؤديها في التسبيح والإذعان لأمر الله فليس ثمة شيء في كون الله لا  
وظيفة له فلم يخلق شيء عبثاً.

وقد سبح الحجر في كف المصطفى عليه السلام وسبح الطعام في كفه كذلك  
وحنَّ إليه الجذع الذي كان يخطب عليه. ويقول عليه السلام: إني لأعلم حجراً  
بمكة يسلم عليّ. يقول له: السلام عليك يا نبي الله. (القاضي عياض، ص ٣٠٣،  
٣٠٦).

٣ - هذه الجبال كانت مساكن للإنسان والحيوان ولا تزال إلى اليوم تدخل في  
مادة مسكن الإنسان. وعليه فلا بد للإنسان أن يقدر نعمة وجودها. قال تعالى:  
يقص حكاية عاد: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
تَتَخَذُونَ مِنْ سَهْوِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ...﴾  
[سورة الأعراف الآية: ٧٤].

وكذلك يذكر الله سبحانه وتعالى عن قوم صالح أصحاب الحجر. ﴿وَلَقَدْ  
كَذَبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ\* وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ\* وَكَانُوا  
يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ\* فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ\* فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ  
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الحجر الآية: ٨٠ - ٨٤].

في هذه الآيات عبر وعظات للبشرية اليوم .. فلا يمكن للمكذابين الكافرين أن ينجوا من عذاب الله أو أن يهربوا منه... فهؤلاء قوم عاد وصالح نحتوا في داخل الجبال بيوتهم إلا أنها لم تحمهم من عذاب الله وغضبه .. فقوم صالح أخذتهم الصيحة وهي فرقة الريح أو صاعقة تلحقهم فهلكهم في جوف الصخر المتين وهم في الصباح الباكر آمنين في بيوتهم (سيد قطب في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٤٦).

والشواهد اليوم عديدة على قدرة الله سبحانه وتعالى على اهلاك الكافرين بالريح والأعاصير والزلازل والبراكين على الرغم من متانة وضخامة قصورهم وكذلك اتخذت بعض المخلوقات كالنحل من الجبال بيوتاً. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [سورة النحل الآية: ٦٨].

بدأ المولى بالجبال لأنها آمن مكان وأفضله للنحل واليوم نرى أن أفضل وأجود أنواع العسل هو الذى يأتي من الكهوف في الجبال، حيث البيوت الطبيعية للنحل.

٤ - من ضمن وظائف الجبال التي ذكرها الله سبحانه وتعالى أنها جعلت لتحفظ التوازن على سطح الكرة الأرضية ولتثبيتها .. وقيل إنها تعادل بين نسب الإنحدار في البحار ونسب المرتفعات في الجبال .. أو انها تعادل بين التقلصات الجوفية للأرض والتقلصات السطحية أو إنها تنقل الأرض في نقاط معينة حتى لا تتأثر بحركة الزلازل والبراكين .. (سيد قطب في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٨٠٤). قال تعالى: ﴿الْم نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [سورة النبأ

الآية: ٦-٧]، ﴿والجبال أرساها\* متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ [سورة  
النازعات الآية: ٣٢-٣٣].

٥ - بين الله سبحانه وتعالى وحدة هذا الكون وارتباطه وتناسق اجزائه،  
فالسماء مرتبطة بالأرض، وما في السماء من قمر ونجوم مرتبط في تحركه بحركة  
المياه في البحار والمحيطات، كما أن الأرض لا تثبت - بأذن الله - إلا إذا نزل  
عليها المطر من السماء، والمطر لا ينزل من السحاب بأمر الله إلا إذا تبخرت مياه  
البحار والمحيطات بقدرة الله وصعدت إلى طبقات الجو العليا. قال تعالى: ﴿وهو  
الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد  
ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات﴾ [سورة الأعراف  
الآية: ٥٧].

كما يوضح المولى عز وجل ذلك التناسق العجيب بين مخلوقاته من الأحياء  
والجمادات إما من حيث النشأة والخلقة وإما من حيث التنوع والجمال. قال  
تعالى:

﴿الم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن  
الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود\* ومن الناس والدواب  
والأنعام مختلف ألوانه كذلك. إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز  
غفور﴾ [سورة فاطر الآية: ٢٧-٢٨] يربط الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة  
بين الجمال الموجود في ألوان الثمار وبين الجمال الموجود في ألوان الصخور  
والأودية والشعاب...، فنرى الجمال في الثمار (من الأحياء) ونراه في الصخور  
والأودية والشعاب (من الجمادات).

ثم يبين المولى سبحانه وتعالى جمال تلك الألوان في البشر وفي الدواب والأنعام، ويذكر الله سبحانه وتعالى هذه المقارنات بين مخلوقاته المختلفة ليوضح للإنسان أن التدبر والتفكير والتمعن في آياته مطلوب وأن من يقوم بذلك هم العلماء، وهم الذين يخشون الله ويخافونه أكثر من غيرهم... وفي هذا دليل واضح على أن الإنسان كلما تعمق في العلم زاد إيمانه وحبه وخشيته لله سبحانه وتعالى. فالعلم لا يتناقض مع الإسلام.

مما سبق من معلومات وحقائق يتضح أن معلوماتنا عن الكون ومخلوقاته معلومات ضئيلة جداً.. فالجبال والسموات والأرض (الجمادات) تسبح بحمد الله وتخضع له وكان لها موقف مشرف حين سمعت مقالة الكفار الذين نسبوا لله الولد. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [سورة مريم الآية: ٨٨-٩١]. فوالله إن هذه الجمادات لأعقل من كثير من العجموات الآدمية الذين يسمعون ما لا يليق بالله تعالى ولا تتحرك منهم شعرة. انظر رسالة حجة الاسلام أبي حامد الغزالي (عجائب المخلوقات) وقد نقلها ابن القيم كاملة في كتابه (دار السعادة).

## ثالثاً: مبادئ وقيم تربوية ترتبط بعالم الغيب:

### ١. مبادئ وقيم حول مفهوم الغيب:

الغيب مالا يدرك بالحواس ولكنه أمر أو شيء موجود، توصلنا إليه بالخبر اليقين عن طريق الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم، فالجنة والنار والصراط والحشر والحساب والعذاب والملائكة والجن كلها أمور لا ندرکها ولا

يمكن لنا مشاهدتها إنما نؤمن بها لأن النبي صلى الله عليه وسلم، الذى لا يتطق عن الهوى أخبرنا بها .. ومن أهم ما ينبغي التنبيه عليه في تعريف الغيب، هو أن الغيب مقابل للمشاهد ولا يكون الغيب مقابل الشيء الواقع كما أنه لا يعنى العدم.

ويذكر ضميريه "إن الغيب في هذا الوجود يحيط بالإنسان من كل جانب... غيب في الماضي وغيب في الحاضر، وغيب في المستقبل .. غيب في نفسه وفي كيانه، وغيب في الكون كله من حوله، غيب في نشأة هذا الكون وخط سيره، وغيب في طبيعته وحركته، غيب في نشأة الحياة وخط سيرها، وغيب في طبيعتها وحركتها.. غيب فيما يجهله الإنسان، وغيب فيما يعرفه كذلك!" (ضميريه، ص ٧٥).

إن الغيب الذى نعنيه هنا هو بحسب ما جاء في القرآن الكريم وفي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة النمل الآية: ٦٥].

مما سبق يتضح أن عالم الغيب واسع جداً - ويقسمه المختصون الى أقسام عديدة، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ﴾ [سورة الأنعام الآية: ٥٩]. وفي ضوء ذلك نذكر الأمثلة التالية للمبادئ والقيم التربوية من وراء الإيمان بعالم الغيب.

١ - الإيمان بالغيب أحد الأركان الأساسية للإيمان، وهو الأساس الذى تبنى عليه العقيدة الإسلامية، فالله سبحانه وتعالى بالنسبة لنا غيب لا تدركه الأبصار

ولا يمكن أن تصوره العقول ولكن نستدل على وجوده بآياته وآلائه في الكون. والإيمان بالغيب هو الذى يرتقى بالإنسان الى المراتب العليا بين مخلوقات الله سبحانه وتعالى وهو الذى يكون سبباً في هداية الإنسان وفلاحه. قال تعالى: ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [سورة البقرة الآية: ١ - ٥].

الإيمان بالغيب أحد العوامل الأساسية في الاستقرار للإنسان، حيث يسلم المرء بوجود أمور عديدة أخبرنا بها القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة فلا يدخل في جدال وصراع مع نفسه ويكلف عقله التفكير والتصوير في أمور تخرج عن حدود طاقته فالإيمان بالغيب يصون الطاقة الفكرية للإنسان من التبدد والتشتت.

٢ - من الآية السابقة يتضح أن عدم الإيمان بالغيب يوصم الإنسان بالجهل ويعود به إلى الحياة البهيمية التي لا وجود فيها إلا للشئ المحسوس.

٣ - الإيمان بالغيب دليل على تقدم الإنسان علمياً وتفتحه واتساع افقه. يقول سيد قطب: "الإيمان بالغيب ... نُقْلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدير. كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض، فليس من يعيش في الحيز الصغير الذى تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذى تدركه بديهته وبصيرته .. ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود، وأن

وراء الكون ظاهره وخافيه، حقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها، واستمد من وجودها وجوده .. حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول" (سيد قطب، في ظلال القرآن ٤١/١).

٤ - يذكر ضميريه أن التنكر للإيمان بالغيب فوق كونه الحاداً ونقصاً في العلم وقصراً في النظر والفكر، هو عائق أمام التقدم العلمي، وحجر عثرة في سبيل الترقى في العلوم المادية أيضاً.

٥ - لم يُطلع الله سبحانه وتعالى أحداً من خلقه على أمور خمسة فلا يعرفها إلا هو سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان الآية: ٣٤] والحكمة من وراء حجب العلم بهذه الأمور الخمسة عن الإنسان أيا كان واضح جداً .. فموضوع علم الساعة والكسب ومكان الموت لو علم الإنسان بها لما استقامت حياته.

أما ما يخص علم الله وحده بما في الأرحام .. وما حدث من لبس، نتيجة للجهل في تفسير الألفاظ والمعاني، من أن الطب الحديث وبواسطة ما توصل إليه من معدات وأجهزة يمكن التعرف على نوع الجنين في الشهر الرابع .. وخيّل للبعض أن في هذا معرفة للغيب التي أختص الله تعالى بها. والرد على هذا الزعم بسيط جداً ويرتكز على نقطتين أساسيتين أولهما: أن معرفة الطبيب ليست مطلقة وان كانت هي كذلك فلم تأت إلا بعد الشهر الرابع في حين أن علم الله بها يكون قبل تكون الجنين بل قبل التقاء الرجل بالمرأة ... معرفة الطبيب لا تكون إلا بعد الكشف على الجنين والذي أصبح شيئاً مادياً ملموساً ومحسوساً فهو إذن



لم يعد غيباً حسب تعريف الغيب.. (انظر: ضميرية، ص ٩٤-٩٧).

أما بخصوص علم الله بانزال الغيث .. وما يعرف اليوم بأن الإنسان استطاع أن ينزل المطر الاصطناعي .. وهل هذا يدخل في علم غيب الله .. والجواب على ذلك إذا لم يشأ الله سبحانه وتعالى خلق الأسباب الكونية لنزول المطر فلا يستطيع الإنسان إنزائها. وقد حصل هذا في دولة الإمارات قبل أكثر من عشر سنوات .. حيث أستدعت شركة امريكية لانزال المطر الاصطناعي وبقت الشركة تعمل بطايراتها مدة أربعة أيام محاولة كل الاساليب الفنية إلا أنها عجزت عن ذلك فعادت خائبة.

٦ - عالم الغيب واحد من أكبر الأدلة أو آية من أعظم الآيات على وجود الله وقدرته وعظمته وهيمته سبحانه وتعالى على كل ما نرى ونسمع أو نشعر به وما لا نراه أو نسمعه أو نشعر به. والإعلام بعلم الغيب ومعرفته يبين التركيز على هذا المبدأ والقيم العديدة المستنبطة منه في المناهج الدراسية وطرق التدريس...

قال تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقه إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام الآية: ٥٩].

هذه الآية الكريمة القصيرة واحدة من الآيات الناطقة بأعجاز القرآن الكريم فكلماتها المحدودة جمعت لنا كل ما في الكون وما وراء الكون عالم الغيب وعالم الشهود.

ما جاء في هذه الآية يخرج كلياً عن شعور وإدراك أو حتى تفكير الإنسان، فأى إنسان يفكر أو يحظر بياله أن يجمع عالم الغيب وعالم الشهود في خمسة

أبواب .. كما ذكرها المولى عز وجل: علم الساعة، يوم القيامة وما فيه من بعث وحساب .. كل ما في هذا اليوم غيب أخفاه الله سبحانه وتعالى عن جميع البشر بما فيهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .. والإيمان بهذا اليوم هو الأساس في استقامة حياة البشر على هذه الأرض فمن لا يؤمن بيوم البعث والحساب فلن يكون في نفسه رادع لمنعه من فعل ما يستحي منه وتكون حياته كالبهائم لا يهتمها إلا إشباع رغباتها دون تعقل .... وإخفاء موعدها، على الرغم من اعطاء الأدلة على قرب وقوعها، فيه تحد للإنسان حتى يجد ويجتهد ولا ييأس. قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [سورة طه الآية: ١٥].

### ٣- مبادئ وقيم حول عالم الملائكة:

أخطأ بعض الفلاسفة أو علماء المنطق أو الكلام حين فسروا الملائكة بنوازع الخير في الإنسان والجن أو الشياطين بنوازع الشر فيه - المؤمن بالله يؤمن إيماناً كاملاً بأن الملائكة والجن موجودون وهم خلق من خلق الله سبحانه وتعالى والذي ينكر وجودهما يكفر بالله، إلا أنهما نوع من الغيب لأن الإنسان لا يراها أو يدرك وجودهما بحواسه. إلا أن هذا الغيب يدخل ضمن الغيب الذي أطلع الله سبحانه وتعالى بعضاً من عباده عليه لاسيما الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. وفيما يلي نشير إلى بعض المبادئ والقيم المتضمنة في بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي نتحدث عنهما ولا شأن لنا عن ما قيل فيهما فيما عدا الكتاب والسنة.

الملائكة هم خلق من خلق الله سبحانه وتعالى خلقهم لعبادته وطاعة أوامره واجتناب نواهيه.. وجعلهم سبحانه وتعالى الواسطة بينه وبين أنبيائه ورسله. فهم حلقة الوصل بين السماء والأرض.

والبحث في نشأة الملائكة وخلقهم وصفاتهم وعددهم وقدراتهم ومزاياهم عن بقية المخلوقات .. ينطوي على كثير من المبادئ والقيم التي يربي بها المولى سبحانه وتعالى الإنسان.

١ - والمبدأ الأول الذي يجب الإشارة إليه هو الإيمان بوجود الملائكة.. وأنهم خلق من خلق الله... قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله...﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٨٥].

وقوله تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح على من يشاء من عبادة أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ [سورة النحل الآية: ٢].

من لا يؤمن بوجود الملائكة لا يؤمن بالرسول والأنبياء عليهم السلام وهم الذين جاءهم الوحي من الله سبحانه وتعالى عن طريق الملائكة .. ومن لا يؤمن بهم فقد كفر لقوله تعالى: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ [سورة النساء الآية: ١٣٦].

٢ - الملائكة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى كرمهم وفضلهم ولا نستطيع الخوض في حديث أيهم أفضل الأنس أم الملائكة وهل فضل بعض الرسل على الملائكة .. حيث لا توجد أدلة قاطعة يقينية على ذلك في القرآن أو السنة أو

إجماع الأمة ... وان كان كثير من العلماء يرون تفضيل الأنبياء والرسل على الملائكة لأسباب لا مجال لذكرها.

لذا نقول بأنهم مكرمون ومفضلون فقط. (انظر كتاب د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى البقنيات الكونية، ط ٤، ص ٢٦٤، ٢٦٥).

٣ - نشأة الملائكة وخلقهم كما أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم يختلف تماماً عن نشأة وخلق الإنسان. فالملائكة خلقهم الله من نور لقوله صلى الله عليه وسلم: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم" رواه مسلم في كتاب الزهد وأحمد في مسنده (١٦٨/٦).

٤ - الملائكة لا يحصى عددهم إلا الله سبحانه وتعالى وهم أكثر مخلوقات الله. قال تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ [سورة المدثر الآية ٣١].

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قوله ﴿وما منا إلا له مقام\* وإنا لنحن الصافون﴾ [سورة الصافات الآية: ١٦٤ - ١٦٥] أخرجه البيهقي في الشعب (٤٣٠/١)، وذكره الألباني في السنة الصحيحة برقم (١٠٥٩).

وذكر المراغي في تفسير قوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ أي وإن لكل منا مرتبة لا يتجاوزها في العبادة والانتهاة إلى أمر الله تعالى خضوعاً لعظمته، وخشوعاً لهيبته، وتواضعاً لجلاله كما روى في الخبر "فمنهم راعع لا يقيم صلبه، وساجد لا يرفع رأسه" تفسير المراغي الجزء ٣). وقال صلى الله عليه وسلم يوماً جلسائه: "هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء قال: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تتط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه

ملك ساجد، أو قائم" وقال الألباني: وهذا اسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات -  
انظر السلسلة الصحيحة برقم (١٠٦٠) وذكر له شاهداً في المشكاة برقم  
(٥٣٤٧).

وجاء في حديث الإسراء قوله صلى الله عليه وسلم بعد أن رفع به إلى البيت  
المعمور "فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون  
ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم" رواه البخاري في صحيحه -  
كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٧).

﴿وإنا لنحن الصافون﴾ اي وإنا لنقف صفوفاً في أداء الطاعات، ومنازل  
الكرامات لكل منا منزلة لا يعدوها، ومرتبة لا يتخطاها.

٥ - من الآيات والأحاديث السابقة وغيرها كثير جداً يتضح لنا أن الملائكة  
وظيفتها الأساسية عبادة الله سبحانه وتعالى بالصلاة والذكر والتسبيح وإطاعة  
أوامره سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار ولا يفترون﴾ [سورة  
الأنبياء الآية: ٢٠] ﴿فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا  
يسأمون﴾ [سورة فصلت الآية: ٣٨].

ويستدل من هذه الآيات أن الملائكة ليسوا كالبشر الذين يحتاجون النوم  
والراحة والتزواج والأكل والشرب.

٦ - الملائكة معصومون عن كل ما يحط من رتبهم وينزل من جليل قدرهم  
ومكانتهم عند الله. قال تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾  
[سورة التحريم الآية: ٦]. يقول سيد قطب في تفسير الآية: "فمن خصائصهم  
طاعة الله فيما يأمرهم، ومن خصائصهم كذلك قدرة النهوض بما يأمرهم".

٧ - وَكَلَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَقُولَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ،  
أمر تدير شؤون الكون إلى الملائكة .. وفي هذا دليل على قدرته سبحانه وتعالى  
وسلطانه على جميع مخلوقاته، " وإظهاراً لقدرته المعنوية في مظهر حسي يتلاءم مع  
تصور الإنسان والمألوف في حياته " (البوطي، ص ٢٩٧).

وقد بين لنا القرآن الكريم أسماء بعض الملائكة وبينت السنة النبوية أسماء  
كثير منهم وشيئا من الأعمال الموكلة إليهم وجاءت في القرآن أسماء: جبريل،  
ميكائيل... قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ  
فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة ٩٧ - ٩٨]. كما بين القرآن بعض  
الملائكة بأوصافهم من خلال المهام الموكلة إليهم مثل (ملك الموت) قال تعالى:  
﴿قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [سورة السجدة الآية: ١١].

وعن عائشة رضی اللہ عنہا أن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم إذا قام من  
الليل افتتح صلاته "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات  
والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون،  
إهدني لما اختلفت فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"  
رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ونذكر شيئا يسيراً مما ورد عنهم وعن  
عملهم ففي ذلك مبادئ وقيم عديدة لعلنا نتعظ بها وتندبرها ...

ورد في وصف جبريل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي  
الْعَرْشِ مَكِينٍ\* مَطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [سورة التكويم الآية: ٢٠ - ٢١].

ذكر المراغي في تفسيره هاتين الأيتين قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ في الحفظ والبعد عن  
النسيان والخطأ، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي ذي جاه ومنزلة عند ربه يعطيه

ما سأل ﴿مطاع ثم﴾ أي هو مطاع عند الله في ملائكته المقربين، فهم يصعدون عن أمره، ويرجعون إلى أمرة الذي يبلغه عن الله تعالى ﴿أمين﴾ على وحي ربه ورسالاته، قد عصمه من الخيانة فيما يأمره به، وجنبه الزلل فيما يقوم به من الأعمال.

كما جاء في وصفه في آية أخرى أنه ﴿شديد القوى﴾ [سورة النجم الآية: ٥] - وقد بلغ من شدة قوته عليه السلام أنه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على طرف جناحه بكل ما فيها من البشر والحيوانات والمباني والقصور حتى بلغ بها عنان السماء وقيل حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح الديوك ثم قلبها فجعل عاليها سافلها. (الصابوني، تنوير الأذهان)

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "رأيت الليلة رجلين أتياني قالا الذي يوقد النار مالك خازن النار وأنا جبريل وهذا ميكائيل" رواه البخاري برقم (٣٢٣٦). يستدل من هذا الحديث وغيره أن الملائكة تأتي في شكل الإنسان. وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم. إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبته. ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام..... الخ" رواه مسلم برقم (٨/١) وفي هذا الحديث ان جبريل تمثل بالصحابي الجليل دحية الكلبي رضي الله عنه أنه كان من أجمل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وإسرافيل عليه السلام هو الذى ينفخ في الصور بأمر ربه، حين يأمره بالنفخ للبعث. عزرائيل ملك الموت، وَكَلَّ اللهُ إِلَيْهِ قَبْضَ الْأَرْوَاحِ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة الآية: ١١]. والملائكة مكلفون من عند الله بأعمال يؤدونها منها ماجاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ، قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ...﴾ [سورة النساء الآية: ٩٧]، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [سورة الأنعام الآية: ٦١].

وهناك الملائكة المأمورون بالقيام بأمر جهنم .. قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ \* لَا يَقْبِضُ وَلَا تُدْرِكُ \* لَوْحَةٌ لِّلْبَشَرِ \* عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ \* وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ [سورة المدثر الآية: ٢٧-٣١].

### ٣. مبادئ وقيم حول عالم الجن:

للجن في اللغة العربية عدة أسماء، وهي إما أسماء مباشرة مثل: شيطان وأبليس وعفريت وجنى - أو أسماء بالمجاز مثل: عامر ويراد به ما يسكن مع الناس، الأرواح وهو يعرض للصبيان.

"والجن اسم جنس جمعي، واحده جنى، وهو في اللغة اسم لمخلوق مستتر عن العيون، فيشمل الجن والملائكة، وفي البصائر أن الروحانيين ثلاثة: أحيارهم الملائكة، وأشراهم الشياطين، وأوساط، فيهم أحيار وأشرار وهم الجن" (السائح، ص ٢٩٨).



والجن خلق من خلق الله سبحانه وتعالى موجودون في الأرض، ويعيشون في أمم ويتكاثرون كبقية مخلوقات الله، إلا أن الله حجب رؤيتهم عن الإنسان بصفة عامة، وذلك لحكم بالغة أرادها المولى عز وجل. أولها للدلالة على قدرته سبحانه وتعالى وسيطرته على كل ما في الكون، والمؤمن بالله يؤمن بوجود الجن، ومن ينكر وجودهم فقد كفر، لأن الإيمان لا يكتمل إلا بالإيمان بالغيب، والجن من الغيب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبَ...﴾ [سورة يس الآية: ١١]، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾ [سورة البقرة الآية: ٣].

والجن جزء من الغيب، حيث لانراهما أو ندركهما بالحواس، ولم نعلم بهم إلا عن طريق الخبر اليقين من رب العالمين. إلا أن هذا الغيب يدخل ضمن الغيب الذى أطلع الله عليه بعضا من عباده.

في هذا الجزء من الدراسة نوضح المبادئ والقيم التربوية الإسلامية المرتبطة بالجن وجودهم وخلقهم، وصفاتهم، وأسلوب حياتهم، وعلاقتهم بالإنسان، وتجدر الإشارة هنا إلى أن وجود الجن وخلقهم موضوعان رئيسان تستنبط منهما مبادئ وقيم ترتبط بالعقيدة، أما بقية الموضوعات فكثير ما ورد عنها ما يستند على الأدلة الأحادية والظنية التى وقع فيها خلاف بين الأئمة والعلماء، لذا فهي ميدان لاستنباط مبادئ وقيم اجتماعية خلقية أكثر منها عقدية.

## ١. خَلْقُ الْجِنِّ

خلق الله سبحانه وتعالى الجن من نار خلافا للإنسان الذى خلق أصلاً من الطين والملائكة خلقوا من النور. قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ

السموم ﴿سورة الحجر الآية: ٢٧﴾، ﴿وخلق الجن من مارح من نار﴾ [سورة الرحمن الآية: ١٥]. يذكر سيد قطب في تفسير هذه الآية (فأما خلق الجن من مارح من نار فمسألة خارجة عن حدود العلوم البشرية. والمصدر الواحد فيها هو هذا القرآن. خير الله الصادق. الذي خلق وهو اعلم بمن خلق... والمارح: المشتعل المتحرك كألسنه النار مع الرياح)، (الظلال، م٦، جزء ٢٧، ص ٣٤٥١).

ومن السنة ماروته السيدة عائشة رضی الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارح من نار، وخلق آدم مما وصف لكم" أخرجه مسلم في كتاب الزهد. برقم (٢٩٩٦/٦٠)  
خلق الله سبحانه وتعالى الجن قبل الانس ويستدل على ذلك من قوله تعالى:  
﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من همأ مسنون\* والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ [سورة الحجر الآية: ٢٦، ٢٧].

### ٣. صفات الجن:

خلق الله سبحانه وتعالى العوالم المختلفة وخص كلاً منها بصفات وصفات خاصة به. فمن أهم صفات الجن:

أ - الخفاء عن الإنس:

فالإنسان لا يرى الجن إلا في حالات خاصة لقوله تعالى: ﴿إنه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم﴾ [سورة الأعراف الآية: ٢٧]. ويستدل من الآية الكريمة ان الجن لا أجسام لهم في العموم كالإنس.. - وفي هاتين الحقيقتين حكمة من الله سبحانه وتعالى، فلو قدر للإنس رؤية الجن رأى العين وهم على هيئاتهم

وأشكالهم التي وصفها لنا الرسول صلى الله عليه وسلم لاختلاف كثير من الناس من الرعب والخوف، ولتزامم الانس والجن على أمور كثيرة من متطلبات الحياة. ولقد سمى الجن جنّاً لاجتنابهم أى استتارهم عن عيون الإنس. ولكن الله أظهرهم لبعض عبادهم ومنهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: لو رأيتموني وأبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين، الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لايجول بينه وبين القبلة أحد فليفعل" رواه الإمام أحمد في مسنده (٨٢/٣) برقم (١٧٩٧).

وجاء الحديث في الصحيحين: عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن عفريتاً من الجن جعل يفتك على الباردة ليقطع على الصلاة وإن الله أمكنني منه فدعته فلقد هممت أن أربطه الى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم ثم ذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسئاً" رواه البخاري برقم (٤٦١)، ومسلم برقم (٥٤١/٣٩) واللفظ له.

ب - للجن إمكانيات وقدرات خاصة لاتتوفر لدى الانس، منها التشكل بأشكال مختلفة فهم يظهرون للإنسان على شكل إنسان. عن ابن عباس قال جاء

إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رؤية في صورة رجل من بني مدلج  
والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين  
(لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) فلما أصطف الناس أخذ رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا  
مدبرين وأقبل جبير إلى إبليس فلما رآه كانت يده في يد رجل من المشركين،  
انتزع إبليس يده فولى مدبراً هو وشيعته، فقال الرجل يا سراقه تزعم أنك لنا  
جار؟ قال: ﴿إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ [سورة  
الأنفال الآية: ٤٨] سيد قطب في الظلال ج٣، ص ١٥٣٠.

كما جاء في الأثر: إجتمع المشركون بدار الندوة للتشاور في أمر الرسول  
صلى الله عليه وسلم هل يقتلونه أو يجسونه أو يخرجونه، فجاء شيطان في صورة  
شيخ نجدى واقترح عليهم أن يأخذوا فتىً من كل قبيلة ويجمعوا في قتله عليه  
الصلاة والسلام. وقد قال بهذا الرأي أبو جهل فوافق قوله قول الشيطان. انظر  
ابن هشام ١/٤٨٠-٤٨٢، والرحيق المختوم ص ١٨٨-١٩٠.

أو أنهم يأتون في شكل حيوانات مختلفة كالكلاب والقطط والطيور والحيات  
والعقارب. وقد قال عليه الصلاة والسلام: "الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة  
يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب، وصنف يجلون ويظعنون" أخرجه  
الحاكم برقم (٨٣٩/٣٧٠٢)، والطبراني والبيهقي في الأسماء والصفات باسناد  
صحيح.

وعن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خلق الله تعالى  
الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في

الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب" أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان. انظر كنز العمال رقم (١٥١٧٩).

ج - الجن بصفة عامة لهم القدرة الفائقة على الحركة والتنقل فهذه قصة عفريت من الجن مع نبي الله سليمان حيث تعهد له بأن يحضر عرش ملكة اليمن قبل أن يقوم من مكانه، قال تعالى: ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين﴾ [سورة النمل الآية: ٣٩].

وجاء في السنة ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن اسحاق (واللفظ للبخاري) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خير السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين، فقالوا: مالكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خير السماء وأرسلت علينا الشهب قال: ما حال بينكم وبين خير السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خير السماء؟ قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خير السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿يا قومنا انا سمعنا قرآناً عجبا\* يهدي إلى الرشد فأمانا به، ولن نشرك بربنا أحدا﴾ [سورة الجن الآية: ٣-١] صحيح البخاري، ٨٣/٦ برقم (٤٩٢١).

### ٣. القدرات العقلية والادراكية للجن:

من أبرز التساؤلات التي تثار عند دراسة الجن: هل الجن يدركون ويعقلون؟ وهل هم محاسبون ومسئولون عن أفعالهم؟ إجابة هذين السؤالين وردت في القرآن الكريم وفي عدة آيات توضح أن الله سبحانه وتعالى خلق الجن وكلفهم وحملهم مسؤولية، والتكليف لا يأتي إلا لصاحب العقل قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات الآية: ٥٦]. وقوله تعالى: ﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرءاناً عجياً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً .. وأنا لما سمعنا الهدى ءآمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً\* وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً﴾ [سورة الجن الآية: ١-٢-١٣-١٤].

ومن أظهر الحجج على أن الجن مسؤولون ومحاسبون عن عملهم الآيات السابقة من سورة الرحمن إضافة إلى الآيات التالية: ﴿سنفرغ لكم أيه الثقلان\* فبأي ءآء ربكما تكذبان\* يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان\* فبأي ءآء ربكما تكذبان\* يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران.. فيومئذ لا يستل عن ذنبه إنس ولا جان.. ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [سورة الرحمن الآيات: ٣١، ٣٥، ٣٩، ٤٦]

وفي الآيات السابقة تحد من الله سبحانه وتعالى وتهديد ووعيد للإنس والجن.. وفي هذا أكبر دليل على أنهم يعقلون ويدركون وإلا لم يكونوا أهلاً لذلك.

وعن عقلانية الجن وإدراكهم وردت عدة أحاديث منها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف .. أخرج الشيخان والترمذي والنسائي والبيهقي عن ابن

عباس رضى الله عنهما، قال: ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم" (ابن القيم، هادي الأرواح، ص ٩٩، انظر السنن الكبرى للبيهقي ١٩٤/٢) ولكنهم سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قِرَاءَانَ عَجَبًا﴾ [سورة الجن الآية: ١]. وما اتفق عليه جمهور العلماء أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إلى الإنس والجن ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء الآية: ١٠٧]. العالمين أي العوالم المختلفة ومنها الإنس والجن...

كما أن المولى قد خاطب الإنس والجن في أكثر من آية، وفيما يتعلق بالإيمان وارسال الرسل اليهم قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِّنكُمْ يَقصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا...﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٣٠]. وعن تكليف الجن ذكر ابن تيمية: (الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم فإنهم ليسوا بمماثلين للإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي، والتحليل والتحريم. وهذا ما لم أعلم به نزاعاً بين المسلمين) ابن تيمية، مجموعة الفتاوى ٤-٢٣٣.

يطول الشرح في الحديث عن خصائص وسمات الجن وما ذكر نماذج ندلل بها على المبادئ والقيم فكل الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة عن الجن تعد مبادئ رئيسة يؤخذ بها ويستنبط منها القيم .. وما جاء عن ابن تيمية أخيراً يعد قيمة من القيم التي يؤخذ بها.

## مراجع الفصل الرابع

- البوطي، محمد سعيد رمضان - كبرى اليقينية الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق - دار الفكر، ط ٤، ١٣٩٥هـ.
- ابن تيمية - مجموع الفتاوي.
- الصابوني، محمد علي - تنوير الأذهان من تفسير روح البيان - ٣ مجلدات، دمشق، دار القلم، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ضرغام، محمد أحمد - الحقائق العلمية في القرآن الكريم - مطبعة الايمان، حلوان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- ضميريه، عثمان جمعه - عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي - مكتبة السواري، جدة، ط ٢، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- عاشور، مصطفى - عالم الجن أسراره وخفيايه - مكتبة القرآن، القاهرة، مكتبة الساعي، الرياض، (د.ت).
- عاشور، مصطفى، - عالم الملائكة أسراره وخفيايه - مكتبة القرآن، القاهرة، مكتبة الساعي، الرياض، (د.ت).
- العفيفي، محمد - القرآن تفسير الكون والحياة - المطبعة العربية، الكويت، (د.ت).
- قطب، سيد - في ظلال القرآن.
- مونسما، جون كلوفر - الله يتجلى في عصر العلم - ترجمة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ط ٣، ١٩٦٨م.



## الفصل الخامس

### سمو المبادئ والقيم في التربية الإسلامية

**تمهيد:**

دلالات التميز للمبادئ والقيم الإسلامية:

**أولاً: ماجاء في العبادات:**

١ - الصلاة

٢ - الزكاة

٣ - الصوم

٤ - الحج

**ثانياً: ماجاء في المعاملات والأخلاق**

١ - نماذج من الحياة الاجتماعية

٢ - نماذج من الحياة الاقتصادية

٣ - نماذج من الحياة السياسية



## تمهيد:

صدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت  
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [سورة المائدة الآية: ٣].

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي  
كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون  
به ويعجبون له ويقولون هلاً وأُضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"  
البخاري برقم (٣٥٣٥)، ج٤، باب خاتم النبيين.

الديانات السماوية جميعها جاءت بدعوة التوحيد وهي عبادة الله سبحانه  
وتعالى وحده لا شريك له وهذه رسالة الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى محمد  
صلى الله عليه وعليهم أجمعين، وجميعهم جاءوا بالإسلام، إلا أن لكل واحد منهم  
عليهم الصلاة والسلام شريعة خاصة تناسب قومه وعصره قال تعالى: ﴿لكل  
جعلنا منكم شريعة ومنهاجا﴾ [سورة المائدة الآية: ٤٨]. وأكمل الله سبحانه  
وتعالى هذه الديانات بما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه القرآن  
الكريم، سُمي قرآناً لأنه جمع محاسن الكتب السماوية جميعاً وصدق الله إذ يقول  
﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾  
[سورة المائدة الآية: ٤٨].

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾  
[سورة الفتح الآية: ٢٨].

وحص الله سبحانه وتعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بخصائص وشرفها  
بمزايا منها ما انفردت به عن الأمم السابقة ومنها ما شاركها فيه غيرها. إلا أنها

اتسمت بالكمال والتمام فجميع الكتب السماوية جاءت بمبادئ وقيم، إلا أن المبادئ والقيم التي جاء بها القرآن الكريم تعدّ أسمى وأرفع ما عرفته البشرية "فالإسلام جاء بمنهج علمي تشريعي يشتمل على حدود وقوانين وأحكام وتفصيل قانونية وهذا ما لم يتوفر في بقية الشرائع السماوية التي هي عبارة عن مواد مبعثرة، وأحكام هي أشبه بالتوجيهات الخلقية أو الروحية، أو بوصايا عامة منها بأحكام فقهية أو تفاصيل قانونية". الندوي، الأركان الأربعة، ص ١٢٨

ومن المعلوم أن الإسلام قد وضع نظاماً واضحاً وقواعد ثابتة لجميع العبادات والفرائض، أسقطت نظام الوساطة والكهنوتية الذي كان سائداً في الديانات الأخرى. فالمبادئ والقيم الإسلامية جاءت لتنظم حياة الإنسان في علاقته مع الله ومع كل ما في الكون من مخلوقات الله تنظيماً علمياً دقيقاً، فهي أوضح وأدق وأعمق من المبادئ والقيم في غير الإسلام، ولأن الإسلام دين الحياة فقد ربط الله سبحانه وتعالى رضاه عن عباده بمدى التزامهم بأوامره ونواهيه في علاقاتهم مع ما في الكون .. والمبادئ والقيم التي تنظم الحياة عديدة تصنف في العبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق، ولا يسع المجال للحديث عنها جميعاً وإنما نركز هنا فقط على الجوانب التي تميز بها الإسلام عن غيره من الديانات السماوية السابقة، ومعلوم أنه لا يصح مقارنة المبادئ والقيم الإسلامية بغيرها مما جاءت به القوانين الوضعية المعاصرة.

تحدثت في الفصل السابق عن المبادئ والقيم الرئيسة في الإسلام التي تربط بين العبد وربّه وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج. وفي هذا الفصل نتحدث عنها

بصفتها مبادئ وقيماً أساسية جاءت بها الأديان السماوية كافة، ونوضح هنا كيف أنها تميزت في الإسلام عن سائر الأديان السماوية الأخرى.

### **دلالات التمييز للمبادئ والقيم الإسلامية:**

خص الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته بالعديد من المزايا لاجمال لحصرها، ومن أهمها تلك التي ترتبط بموضوع دراستنا فقد جعل سبحانه وتعالى شريعة أمة الإسلام - مجموعة المبادئ والقيم - التي تنظم حياتها تسمو فوق جميع الشرائع التي قبلها، ومن أهم تلك المبادئ وما ينبثق عنها من قيم ما جاء في العبادات وهي:

### **أولاً: ما جاء في العبادات**

#### **١. الصلاة:**

ركن أو مبدأ ينطوى تحته العديد من القيم، جاءت بها جميع الديانات، إلا أن الصلاة في الإسلام تميزت عن ما في جميع الأديان الأخرى، وبالتالي تميز المسلم بها عن غيره ...

فروى أبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اعتمدوا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم، ولم تصلها أمة قبلكم". سنن أبي داود، ج ١، كتاب الصلاة، باب وقت الصلاة الآخرة، حديث رقم ٤٢١، ص ٨٥، والصلاة في الإسلام لها آثار تربوية عديدة وقيم خالدة أهمها:

١ - تحقق الصلة بين العبد وربّه، وهذه من أجل النعم التي أنعم الله بها على المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه

أو إن ربه بينه وبين القبلة" (صحيح البخاري، ج ١، كتاب الصلاة، باب حك البزاق من المسجد، حديث رقم ٤٠٥، ص ١٥٩). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل. فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين. قال مجدي عبدي، وقال مرة فوض إلي عبدي. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي. ولعبي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال هذا لعبي ولعبي ما سأل" (صحيح مسلم، ج ١، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث رقم ٣٩٥، ص ٢٩٦).

٢ - تحقق العبودية والإخلاص لله سبحانه وتعالى لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون الآية: ١، ٢] والدليل من السنة ما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه، ما لم يُحَدِّثْ اللهم اغفر له اللهم أرحمه. لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تجسده لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة". صحيح البخاري برقم (٦٥٩) - كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. وعن ابن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي الأعمال أحب إلى الله قال الصلاة على وقتها" رواه البخاري برقم (٥٢٧)، ومسلم برقم (٨٥/١٣٩).

٣ - تؤدي إلى مكارم الأخلاق والبعد عن سيئها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة العنكبوت الآية: ٤٥]. ولقوله صلى الله عليه وسلم: "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى عليه وسلم كان يقول: الصلاة الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر" رواه مسلم برقم (٢٣٣/١٦). وعنه أيضاً قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ماتت قول ذلك يبقى من درنه قالوا لا يُبقي من درنه شيئاً قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا" صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة برقم (٥٢٨).

٤ - تحقق الطهارة للإنسان، وليس المقصود بها إزالة الأوساخ العالقة بالبدن أو الثوب أو ما شابه ذلك فقط والتي تزال بالوضوء والغسل وهذا هو التطهر المادي أو الحسي وإنما مفهوم التطهر هنا أبعد بكثير من ذلك فهو تطهر للقلب وللجوارح أيضاً قبل الشروع فيها، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء)، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء (أو مع آخر قطر الماء)، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء) حتى يخرج نقياً من الذنوب". (صحيح مسلم، ج ١، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، حديث رقم ٢٤٤، ص ٢١٥).

٥ - تحقق وحدة أفراد المجتمع وترابطهم وتعاونهم، فالمسلم مطالب بأن يؤدي الصلوات المفروضة في جماعة. ولذا بنيت المساجد، ولا يخفى مالها من آثار تربوية عديدة على المجتمع بأسره. والكل يعلم الدور الذي قام به المسجد في بداية الدعوة.

٦ - تعدّ الصلاة وقاية ورعاية صحية: فأداؤها وما تتطلبه من تطهر يعود على الإنسان بالكثير من الفوائد الجسمية التي تساعد في بناء جسمه وصحته وتقيه من العديد من الأمراض. (انظر: كتاب فارس علوان: وفي الصلاة صحة ووقاية).

٧ - تحقق النمو العقلي السليم: فأداؤها وما يتطلبه من حفظ القرآن وتلاوته والأدعية كل ذلك يوجب التركيز الذهني، وفي هذا تنشيط للعقل بصفة مستمرة وما حكمة تحريم الخمر إلا لأنها تذهب العقل ولذا بدأ سبحانه وتعالى في تحريمها بقوله: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء الآية: ٤٣]. كما إن الخشوع وهو صفة صلاة المؤمنين الفالحين، له أثر كبير في تنمية التركيز الذهني. وفسّر الفخر الرازي الخشوع في الصلاة بأنه جمع الهمة لها والإعراض عما سواها، وهذا الخشوع هو وسيلة لتنمية ملكة حصر الذهن.

٨ - تعودّ وتدرّب الفرد على الأخلاق والعادات الكريمة منها عدم رفع البصر أو الالتفات يميناً وشمالاً والتأدب في الوقوف وعدم العبث أو الانشغال بأي شيء وعدم التحدث بجديث أهل الدنيا.



٩ - تعود الفرد على التذلل والخضوع لله عز وجل، واستصغار الدنيا بما فيها من مشكلات وتحديات، فمن يفقه ما يقرأ في الصلاة ابتداءً بتكبيرة الإحرام وانتهاءً بالتسليم لا بد أن يستشعر ذلك.

١٠ - تبعد صلاة الخاشعين الشيطان عن الإنسان، أما الساهون فيتملكهم الشيطان في أثناء الصلاة ويشغلهم عنها .. في حينها لا تكون سوى حركات جسمية قال تعالى: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [سورة الماعون الآية: ٥].

فالخاشع في صلاته يستعيد بالله من الشيطان الرجيم في بداية الصلاة فيبتعد عنه الشيطان ويحجل، فعن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاك شيطان يقال له خنزب. فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً" قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عني "(صحيح مسلم، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، حديث رقم ٢٢٠٣، ص ١٧٢٨، ص ١٧٢٩).

١١ - تعود الإنسان على العزة والكرامة وعدم التذلل والخضوع لبشر، وهذا يتوفر لمن كانت صلاته صحيحة ويعي كل كلمة وحرف يقرؤه في صلاته.

١٢ - تبعد صلاة الخاشعين كثيراً من الأمراض النفسية التي يعاني منها الإنسان المعاصر، ومنها القلق، والاكتئاب، والخوف، والاضطراب، والشك، والغيرة، والحسد، والملل، والتذمر، وغيرها من الأمراض.

١٣ - تحقق صلاة الخاشعين التوازن النفسي، حيث إنها تؤدي إلى الراحة والطمأنينة وتهذب النفس وتربها على الصبر والثبات.

١٤ - بنفس المؤمن في صلاته عن كثير من همومه ومشكلاته. حيث يسأل ربه عز وجل ويشكو إليه في صلاته، وهو في السجود أقرب ما يكون من الله سبحانه وتعالى فيدعو بما شاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء" رواه مسلم: (برقم ٤٨٢/٢١٥) كتاب الصلاة، باب ما يقال في السجود ١/٣٥٠ كما أن الخاشع في صلاة يبكي وتنهمل الدموع من عينيه وفي بكائه هذا تنفيس عن همومه.

١٥ - تحو الصلاة الصحيحة الذنوب وتكفر الخطايا لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...﴾ [سورة هود الآية: ١١٤].

وجاء في تفسير المنار "ان الأعمال الحسنة تزكي النفس وتصلحها وتزيل آثار الأعمال السيئة من النفس، ويرى ابن عباس وابن مسعود بأن المقصود بالحسنات هنا الصلوات الخمس ولا غرو أن الصلاة أعظم الحسنات وأكثر العبادات المكفرة للسيئات". (ص ١٨٦، ١٨٧).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء، قالوا: لا يبقى من درنه شيء قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا" رواه البخاري (برقم ٥٢٨)، ومسلم (برقم ٦٦٧/٢٨٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه. أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في الشتاء والورق يتهافت فأخذ بغصنين من شجرة، قال: فجعل ذلك الورق يتهافت قال فقال "يا أبا ذر قلت: لبيك يا رسول الله، قال: "إن العبد المسلم ليصلي الصلاة يريد بها وجه الله، فتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة" (رواه أحمد باسناد حسن. مسند الإمام أحمد، ٥/١٧٩).

١٦ - تعود الصلاة الفرد على الاتزان والاطمئنان والبذل والعطاء قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعاً\* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً\* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً\* إِلَّا الْمُسْلِمِينَ\* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [سورة المعارج الآية: ١٩-٢٣].

١٧ - تشعر المسلم بقيمته وأهميته وتفضيل المولى سبحانه وتعالى له على سائر أبناء الأمم الأخرى من غير المسلمين حيث قد جعل الله له الأرض كلها مسجداً وطهوراً وهذا ما لم يكن لأحد من الأمم السابقة. كما أن الصلاة فرضت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مباشرة من المولى عز وجل دون واسطة وحين وصل عليه الصلاة والسلام إلى سدره المنتهى وكان قاب قوسين أو أدنى.

### ٣. الزكاة:

هي الركن أو المبدأ الثاني بعد الصلاة وتنطوي تحتها العديد من القيم والزكاة تفيد الإنفاق والصدقة، وهو ما كان مفروضاً في الأديان السابقة إلا أن مبدأ الزكاة في الإسلام تميز عن سائر مبادئ الإنفاق في الديانات السابقة أو الجباية والضرائب في غيرها. وضع الإسلام للزكاة نظاماً واضحاً وقانوناً ثابتاً ينظم عملية جمعها وتوزيعها خلافاً لما كان عليه الوضع في الديانات السابقة. فقد كان ممثلو الشريعة الموسوية، وهم الأحرار والرهبان أو سدنة البيت المقدس، يحتكرون جمع

الصدقات فلا تصح صدقة ما لم تدفع عن طريقهم، لذا نشأ لدى هؤلاء حب المال الفاحش وقد اساءوا التصرف في تلك الأموال وحرموا مستحقيها من أن تصل إليهم (التدوي: الأركان الأربع، ص ١٤٨).

ويقول سبحانه وتعالى عنهم: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِشْرِهِمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة الآية: ٣٤].

وللزكاة العديد من القيم التي إن تمسك بها الفرد والمجتمع عادت عليهم بالنفع والخير في الدنيا والآخرة كما أن لها آثاراً تربوية عديدة نحملها فيما يلي:

١ - تؤدي إلى مرضاة الرب سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ\* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ\* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ\* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [سورة المؤمنون الآية: ١ - ٤].

٢ - ينال فاعلها الأجر والثواب ويزيد الله في ماله وهذا له مردود تربوي كبير في حياة الإنسان المؤمن لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٦١].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم﴾ [سورة الحديد الآية: ١١].

٣ - تعود الإنسان على البذل والإنفاق فالآيات السابقة فيها وعد من الله سبحانه وتعالى لمن أنفق وهناك وعيد لمن بخل. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ

الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم\* يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴿ [سورة التوبة الآية: ٣٤، ٣٥].

٤ - تسعد الفقراء والمحتاجين وتدخل إلى نفوسهم البهجة والسرور حيث إنها تؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء وهذا ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه المعجز الحكيم المختصر الجامع فقال: "تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم" رواه البخاري (برقم ١٣٩٥).

وهذا هو الوضع الشرعي للزكاة، وفي هذا حكمة بالغة ومبدأ أساسي لقيام الحياة العادلة في المجتمع، حيث إنها تؤخذ من القوي الغني وتعطى للفقير الضعيف خلافا لنظام الضرائب والأتاوات والجبايات التي تفرضها الحكومات فهي أموال تؤخذ من الفقراء الكادحين وتقدم للأغنياء الفارهين من رجالات الدولة.

٥ - تقوي روح التقوى والإخلاص وعدم التعالي. فدافع الزكاة يخرجها عن رضى وقناعة راجيا بها وجه الله، ليس فيها من ولا أذى. قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون\* قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حلیم\* يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر...﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٦٢ - ٢٦٤].

٦ - تعود على كسر شهوة حب كنز الأموال وحب الذات: قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض

ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيهِ إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن  
الله غني حميد ﴿ [سورة البقرة الآية: ٢٦٧].

٧ - تدفع الزكاة شر المال والثروة: فأى مال أو ثروة لم تزكَّ تكون شراً  
ووبالاً على جامعها ونهياً له يوم القيامة بشجاع أقرع له زبيتان يطوق صاحبه  
يقوم القيامة. كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:  
"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" من أتاه الله مالاً فلم يؤد ذكاته مثل له  
ماله شجاع أقرع، له زبيتان، يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه  
- يقول: أنا مالك أنا كنزك" ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يدخلون بما  
آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم  
القيامة...﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨٠]. رواه البخاري برقم (٤٥٦٥)

٨ - تحقق الأخوة الإسلامية: قال تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا  
الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ [سورة التوبة الآية: ١١].

٩ - تدفع سخط الله سبحانه وتعالى: قال صلى الله عليه وسلم: "لم يمنع قوم  
زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا" كنز العمال  
برقم (١٥٨٠٦).

١٠ - تطهر النفوس وتزكيها: وهذا غاية ما يتمناه المرء في حياته قال تعالى:  
﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن  
لهم والله سميع عليم﴾ [سورة التوبة الآية: ١٠٣].

١١ - تؤدي إلى إصلاحات اجتماعية عديدة فبالإضافة إلى كونها تقوي  
الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع فإنها تلغي الاحتكار الديني والطبقي

والتفاضل بين أفراد المجتمع على أساس مادي أو مكانة دينية أو اجتماعية. فهذه الصدقات في بعض الديانات الأخرى كانت تدفع لعلية القوم لاسيما أولئك أصحاب المناصب الدينية أو من لهم دم نبوي أو سلالة كريمة. (الندوى: الأركان الأربعة، ص ١٤٦).

فجاء محمد صلى الله عليه وسلم ومنع كل ذلك ووضع التعاليم الواضحة التي تنظم عملية جمع وتوزيع الصدقات وحرّم عليه الصلاة والسلام الصدقة على آل بيته خوفاً من أن تحتكر فيهم ويحرم منها الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما ثمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كخ كخ، ليطرحها، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة" رواه البخاري برقم (١٤٩١).  
وهكذا نرى في الزكاة تطهيراً للنفوس والأبدان قبل تطهير الأموال والممتلكات وفيها تعاون وإيثار ورحمة وشفقة تؤدي إلى تماسك أفراد المجتمع.

### ٣ . الصوم

عبادة جاءت به جميع الأديان السماوية وشعيرة مارسها أصحاب الديانات الأخرى، فهذه الديانة الهندوكية البرهمية، التي تعدّ من أقدم الديانات ولا يزال يعتنقها عدد من البشر خصصت أياماً وأعياداً للصوم كما أفردت أياماً للصوم النساء فقط. ولا يزال البراهمة يصومون اليوم الحادي عشر والثاني عشر من كل شهر هندي. أي أنهم يصومون أربعة وعشرين يوماً في السنة وأصحاب الديانة الجينية يصومون أربعين يوماً في السنة. أما الصوم في الديانة اليهودية فقد اختلف مفهومه ووقته ومدته بحسب الطوائف، ففي العهد البابلي كان الصوم رمزاً

للحُداد والحزن ويلجأ إليه إذا كان هناك خطر يهددهم، أو إذا كان هناك كاهن أو (ملهم) يُعدُّ نفسه لإلهام أو (نبوة).

وكان اليهود يصومون إذا اعتقدوا أن الله غاضب عليهم، أو إذا حلت بالبلاد كارثة أو نكبة عظيمة. وهناك صوم يوم الكفارة. كما يصوم اليهود في ذكرى حوادث الأيام الأليمة التي مرت بهم وتختلف هذه الأيام باختلاف زمان الطوائف اليهودية ومكانها. ويصوم اليهودي أياماً يختارها برغبته وهواه، إلا أن الربيين لا يشجعون ذلك الصيام للأستاذين والمعلمين والرجال العلميين خوفاً من أن ذلك الصوم قد يؤثر على صحتهم. والصوم عند اليهود يتدئ من الشروق وينتهي عند ظهور أول نجوم الليل، إلا صوم يوم الكفارة واليوم التاسع من آب فإنه يستمر من المساء إلى المساء، وليس هناك أحكام وتقاليد للصيام العادي. (الندوي، ص ١٩٠).

"أما الصوم عند المسيحيين فيطول شرحه وتفصيله، لأن الديانة المسيحية هي من أقل الديانات تشريعاً فقهاً وأحكاماً كلية ... (والمسيح عليه السلام لم يشرع أحكاماً للصوم بل إنه خلف المبادئ وترك كنيسته تقنين قوانين لتطبيقها وليس لأحد أن يزعم أنه أصدر قوانين عن الصوم مباشرة" (المرجع السابق، ص ١٩١).

من الاستعراض السابق يتضح لنا كيف أن الديانات السابقة لم تضع مبادئ وقوانين تنظم الصيام بل إنها تركته لحرية الفرد واختياره وعليه ضاعت هذه الشعيرة الدينية في الأمم الأخرى وفقد الصوم فوائده الروحية والخلقية حتى جاء الإسلام فشرع له نظاماً وقوانين ومبادئ وقيماً واضحة وثابتة.



ولبدأ الصوم في الإسلام العديد من القيم التربوية التي امتاز بها عن ما في سائر الديانات السابقة نجملها فيما يلي:

١ - اقترنت فريضة الصوم بشهر رمضان المبارك وهو الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم دستور المسلمين فأصبح الارتباط قويا بين القرآن وبين الصوم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من تلاوة القرآن في رمضان وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة" رواه البخاري في صحيحه برقم (١٩٠٢).

٢ - أعطي شهر رمضان فضيلة وقدسية عن سائر الشهور لنزول القرآن فيه ولأنه شهر الصوم، والصوم جعل أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتقا من النار، وهذه فضيلة لم تكتب لأمة من قبل.

٣ - جعل الله سبحانه وتعالى الصوم من أحب العبادات إليه: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل إنني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها" رواه البخاري في صحيحه برقم (١٨٩٤).

٤ - يعد الصوم أعظم مدرسة للتربية الكاملة الشاملة وبكل ما تحمله الكلمة من معنى، ففيه التربية الروحية تتجلى في الإيمان والاحتساب لله سبحانه وتعالى لقوله صلى الله عليه وسلم: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" رواه البخاري في صحيحه برقم (١٩٠١).

وفيه التربية البدنية أو الجسمية أو الصحية حيث تروض شهوة الطعام والشراب وبالتالي تجمد المعدة وهي بيت الداء - شيئاً من الراحة، وفيه التربية الاجتماعية فرمضان موسم يتبادل فيه المسلمون التهاني والتبريكات والزيارات فتقوى أوامر المحبة والأخوة الإسلامية بينهم. وفي رمضان تمتلئ المساجد بالمصلين ويتحدد لقاؤهم طوال أيام الشهر. وفيه تربية اقتصادية فالأغنياء مطلوب منهم الاقتصاد في الصرف على ملذات الأكل والشرب وعليهم التصدق على الفقراء والمساكين فرمضان موسم البذل والعطاء والتجارة الراجعة مع الله وفي رمضان عادة ما يقوم الأغنياء بجرد أموالهم لإخراج الزكاة المفروضة عليهم وتقديمها عن نفس راضية لأصحابها وهذا يولد حركة تجارية في البيع والشراء فتعم الفائدة الاقتصادية الجميع. وفيه تربية وجدانية حيث ينعم الصائمون بالأمن والطمأنينة والراحة الجسدية والنفسية التامة وتتجلى فيه نفحات المولى عز وجل على عباده الصائمين... وهم يتربون المن والفضل والمغفرة والرضوان والعشق من النار فرمضان موسم العبادة والتجلي. وفي الصيام تربية عقلية أو فكرية، حيث ينعم الصائم بالهدوء التام وعدم تخمة المعدة بالأكل وهذا ما يساعد على التفكير الصافي النقي، وفي رمضان يكثر الصائمون من تلاوة القرآن الكريم، وليس هناك أمر في

الدنيا ينمي العقل ويفتحه ويزيد من حدة الذكاء كتلاوة القرآن ففيها التدبير والتفكير والتمعن والتذكر والاتعاظ والاعتبار وجميعها عمليات عقلية معقدة تحتاج إلى قوة في التركيز والإدراك.

٥ - يعد شهر رمضان أعظم موسم عالمي للعبادة من الله به على الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وجميع أفرادها على اختلاف فئاتهم حكاماً ومحكومين أغنياء وفقراء شيوخاً وشباباً نساءً ورجالاً فالكل فيه يكثرون من الذكر والعبادة وفعل الخيرات وإخراج الزكوات وتتجلى عليهم جميعاً روحانية عظيمة ففي النهار صيام وفي الليل قيام تزدان فيه بيوت الله بالمصلين القائمين العاكفين تسود بينهم روح المحبة والتسامح والتعاون كيف لا وقد صفد الله الشياطين وأغلق أبواب جهنم وفتح لهم أبواب الجنة وخصص لهم باباً معلوماً لا يدخل منه سواهم.

٦ - لم يفرض الله سبحانه وتعالى الصوم ليعذب به المسلمين، حيث لم يمنعه عن الأكل والشرب خلال نهاره لتخار قواهم الجسدية، ولم يأمرهم بأن يشقوا على أنفسهم إن لم يطيقوا الصيام. لذا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يلتزموا بالمدة المقررة للإمساك عن الطعام والشراب فهي عليه الصلاة والسلام عن الوصال في الصوم كما نهى عن التأخير في الإفطار وحث على التأخير في السحور وجعله سنة تميز صوم المسلمين عن سائر الأمم الأخرى... وفي كل هذا نهى عن الغلو في العبادة وتحريم كل ما قد يلحق الضرر بالمسلم. لذا فالآثار والقيم التربوية للصوم عديدة يعجز المرء عن عدّها.

## ٤ . الحج

مبدأ أو ركن أساسي من أركان الإسلام وشعيرة كان يتعبد بها أصحاب الديانات السابقة، ومنشؤه أمر الله تعالى لإبراهيم عليه السلام وهو إمام الملة الحنيفية التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤذن في الناس بالحج. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ\* وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ\* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَانِسَ الْفَقِيرَ\* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج الآية: ٢٦-٢٧]. تبدأ قصة الحج مع قصة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام والبيت والمجتمع الذي نشأ فيه وكيف أن الله سبحانه وتعالى اختاره واصطفاه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِشْدَهُ مِنْ قَبْلِ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ\* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١-٥٢].

فحطم التماثيل مما أدى إلى نقمة المجتمع عليه فخرج وحيداً يهيم في أرض الله حتى وصل إلى مصر فتزوج بها، وفي مصر يتجدد الامتحان والابتلاء فيطمع ملك مصر في زوجته فيهرب من مصر. وقيل إن سبب خروجه هو غيرة زوجته سارة من ضررتها هاجر بعد أن أحببت ولداً، فأمرته بأن يخرج بها وولدها من مصر وقيل إنه توجه إلى أرض الشام وفيها بدأ دعوته برفض الأوثان والدعوة إلى عبادة الله وحده.

وتنعم بالحياة في أرض الشام لما فيها من خيرات وجمال طبيعة. ولكن بالإرادة الإلهية توجه صوب أرض الحجاز. وفي واد غير ذي زرع يترك زوجته وولده إسماعيل في أمان الله ورعايته وحفظه ودعا الله سبحانه وتعالى أن يرزقهما من الثمرات والخيرات وأن يجعل أفئدة الناس تهوي إليهم بعد أن عمر البيت الحرام .. وتأتي مناسك الحج وفق ما أوحى الله به الى إبراهيم الخليل بواسطة جبريل عليه السلام الذي علم إبراهيم أفعال الحج ومناسكه وعلم من بعده خاتم النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم، فأفعال الحج ومناسكه ربانية المصدر متواترة النقل واضحة التطبيق، وتم النعمة وتكتمل الرحلة على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فوضع لأول مرة في التاريخ مبادئ وأنظمة وقوانين وقيماً تنظم عملية الحج لملايين الحجاج بعد أن كانوا بالعشرات والمئات. وهو عليه الصلاة والسلام يحيي سنة أبيه إبراهيم عليه السلام. والعلماء يفعلون نفس ما فعله محمد صلى الله عليه وسلم وقبله إبراهيم عليه السلام في الحج عبودية لله وخضوعاً وانقياداً تاماً لما أمر الله تعالى به. وكان عليه الصلاة والسلام يهتف في تليته بالحج قائلاً: (لييك بحجة حقاً عبودية ورقاً. فهي رحلة العبودية والحب والخضوع لله تعالى).

الحج أو الأسفار الدينية كما سبق أن بينا عبادة مارسها الإنسان منذ أقدم العصور واتجهت تلك الأسفار لأماكن عديدة وفي أزمنة مختلفة وذبح الحجيج القرابين تقرباً لله سبحانه وتعالى، وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فيآلهكم إليه واحد فله أسلموا ويشر المخبئين﴾ [سورة الحج الآية: ٣٤].

وأقرب الديانات السماوية للإسلام اليهودية والمسيحية فقد كانت وجهة الحج أو الزيارة لديهم هي بيت المقدس والأماكن الأثرية الأخرى حوله من أضرحة وكنائس ويختلف الحج لديهم باختلاف الأزمنة والأمكنة والطوائف ولكن حجهم هذا أو زياراتهم للمكان المقدسة لا يزال يكتنفه الكثير من الغموض والاضطراب ولا توجد جهة تستطيع أن تعطي معلومات دقيقة وكافية عنها خلافاً لما عليه وضع الحج في الإسلام من الوضوح التام والإجماع العام على المكان والزمان والنسك.

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أوحاه الله له نظاماً واضحاً ودقيقاً وثابتاً مع المرونة والاعتدال ومراعاة الظروف والأحوال وهذه بلا شك نعمة من الله بها على الأمة الإسلامية وميزها بها على سائر الأمم.

وللحج كبقية المبادئ الإسلامية العديد من القيم والآثار التربوية نوجزها فيما يلي:

١ - يعد الحج أكبر تجمع ديني عالمي عرفته البشرية. حيث يفد الحجاج إلى مكة من مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف جنسياتهم وأوضاعهم ومكانتهم ورتبهم ... يقفون في مكان واحد في يوم واحد، هذه الظاهرة في حد ذاتها تعجز الفلاسفة والأدباء والتربويين عن وصفها ووصف آثارها الروحية والتربوية.

٢ - في الحج مبادئ وقيم روحية واجتماعية واقتصادية وتربوية عديدة توضحها الآيات القرآنية الواردة في سورة البقرة من الآية ١٩٦-٢٠٣، وفي سورة الحج من الآية ٢٧-٣٧.

## ثانياً: ماجاء في المعاملات والأخلاق:

في الصفحات السابقة عرضنا بعض الأمثلة التي توضح سمو المبادئ والقيم الإسلامية في مجال العبادات، وفي الصفحات التالية نواصل الحديث عن تلك الخصائص والمزايا في جانب المعاملات والأخلاق.

معلوم أن جميع الرسائل السماوية جاءت بمبادئ وقيم تحث على آداب المعاملة وحسن الخلق بين الناس في جميع مجالات حياتهم، إلا أن ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتوج كل ما قبله. فالإسلام جاء بمبادئ وقيم رئيسة تنظم حياة البشر سواء في داخل مجتمعهم الصغير الأسرة أو الأقليمي الدولة أو العالمي البشرية بأسرها. وفيما يلي نعرض نماذج كذلك.

### ١. نماذج من الحياة الاجتماعية:

الحديث عن المبادئ والقيم التربوية الإسلامية في مجال المعاملات والأخلاق وفي جانبها الاجتماعي يمكن أن يكون على شقين، الأول: المعاملات والأخلاق مع خاصة الناس، والثاني: المعاملات والأخلاق مع عامة الناس. وفيما يلي أمثلة لذلك:

#### الجانب الأول: المعاملات مع خاصة الناس:

ومثال للجانب الأول نأخذ الأسرة، لنرى المبادئ والقيم التربوية الواردة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتنظيم شؤون حياتها:  
أ - الأسرة هي الخلية الأولى لتكوين المجتمع، ووجدت الأسرة منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحواء عليهما السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً

كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴿سورة النساء الآية: ١﴾.

"جاء في القرآن معظم أحكام الأسرة مفصلة تارة ومجملة أخرى في آيات وسور متعددة بحسب تطور الأحوال. ويرى الباحث المتبصر أن أمور الأسرة التى من شأنها أن تتغير وتبدل بحسب المقتضيات قد أوردتها الشارع مجملة في أصول عامة وقواعد كلية [المبادئ] لتؤخذ منها أحكامها [القيم] بحسب تجدد الوقائع" (الحسنى، ص ٨).

وتكوين الأسرة يبدأ بالزواج، والزواج مبدأ في حد ذاته من المبادئ الأساسية التى جاء بها الإسلام وهو أيضاً يعد قيمة من القيم الإسلامية، وفي حالة تطبيقه في الواقع، متمثلاً في الإجراءات والتحضيرات وما يترتب عليها من نتائج، وتختلف الشرائع والديانات في تحديد أركان أو بنود هذا المبدأ وبالتالي اختلفت قيمه تبعاً لذلك. والإسلام جاء بمبادئ وقيم تربوية تميزت عن سائر المبادئ والقيم التى جاءت بها سائر الديانات الأخرى، وهذا ما نهدف إلى توضيحه هنا.

من الأمثلة على عقود الزواج في الأمم الأخرى ما كان سائداً في الديانتين الزرادشتية والبرهمنية اللتين تعتبران الزواج واجباً على كل قادر عليه، وفي بعض مقاطعات اليونان يعتبر من لم يتزوج أنه ارتكب جريمة يعاقب عليها. وأصدرت روما قوانين تعاقب من بلغ سنّاً معينة ولم يتزوج، ويذكر أن عقد الزواج عند الرومان كان عقد رق بالنسبة للمرأة (أبو زهرة، ص ٩). وكان العرب في الجاهلية ينظرون إلى الزواج على أنه واجب اجتماعي وعائلي يحرصون على إتمامه منذ سن مبكرة.



ويعد الزواج في اليهودية واجباً دينياً على كل مقتدر عليه، ومن لم يتزوج وهو قادر عليه يرتكب جريمة تعدل جريمة القتل. وقد شد عن هذه القاعدة طائفة من اليهود تعرف بـ"الحسدئين" حيث حرموا الزواج على أنفسهم. وتختلف المسيحية عن اليهودية تماماً حيث يعتقد المسيحيون بأن العزوبة أمثل من الزواج، والأعزب عندهم أقرب إلى الله من المتزوج وفي هذا يقول بولس: (أوصى الأيامى من الرجال والنساء أن يقتدوا بي فيظلوا على ما هم عليه) (مذكور، ص ٣٠٤).

ب - والهدف الأساسي من الزواج منذ الأزل هو تكوين الأسرة التي تعد النواة الأولى لتكوين المجتمع السليم. وهذا هو الوضع الطبيعي الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى للبشرية. قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾ [سورة البقرة الآية: ٣٥ - ٣٦].

وقد أبحر المولى عز وجل ببشرية الرسل جميعاً إذ قال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسَالًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ [سورة الرعد الآية: ٣٨] وقد وردت في القرآن الكريم آيات تتحدث عن الوضع الأسري لأنبياء الله ورسله. (نوح وإبراهيم ويعقوب ولقمان من الصالحين) ولوط وأيوب وموسى وهارون وزكريا... وغيرهم من رسله وعددهم ثمانية عشر رسولاً ذكروا في القرآن الكريم.

وعقد الزواج في غير الإسلام، سواء في الأمم السابقة أو المعاصرة، لم يراع الطبيعة الفطرية للزوجين، كما أنه لم يُنَ على بنود أو أسس واضحة وصریحة في تنظيم العلاقة الزوجية والأسرية، وفي إثبات الحقوق والواجبات لكل من الزوجين، بل تركت تلك الأمور للعقائد والعادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية

بصفة عامة، أو لتأثير الأوضاع السياسية والاقتصادية للمجتمع، لذا فإن نظام الزواج والأسرة قد خضع لتغيرات تاريخية عديدة عبر العصور. وقد أنعم الله سبحانه وتعالى على البشرية ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالهدى ودين الحق، فنظم العبادات كما نظم المعاملات والسلوك والأخلاق، ومن أهمها موضوع الزواج وتكوين الأسرة.

## ١. المبادئ والقيم التربوية في المعاملة بين الزوجين :

نظم الإسلام العلاقة بين الزوجين على ضوء مبادئ وقيم راسخة من أهمها:

### أ. المودة والرحمة :

قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [سورة الروم الآية: ٢١] تنبثق من هذا المبدأ عدة قيم، فيجب على الرجل أن يرحم زوجته ويعطف عليها ويأخذها بالرفق واللين ويعاملها بالحسنى ويظهر لها الحب والعطف والحنان وهو في هذا يكون أسوته الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: "خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" رواه الترمذي برقم (٣٨٩٥) وقال: حديث حسن غريب - وكذلك على الزوجة أن تحب زوجها وترحمه بأن لا تثقل عليه في السؤال والطلب.

### ب. العشرة بالمعروف :

قال تعالى: ﴿بأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبن بعض ما أتيتهن إلا إن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ [سورة النساء الآية: ١٩]. هذا صيغة أمر من الله سبحانه وتعالى للرجال بأن

يُحسنوا عشرة الزوجة. وجاء في تفسير هذه الآية. ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ أي لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث، فترغموا أنكم أحق بهن من غيركم، ولا تحبسونهن لأنفسكم. كما كان أهل الجاهلية يفعلون "ولا" يحل لكم أن "تعزلوهن" عن أن يتزوجن غيركم لتأخذوا ميراثهن إذا متن، أو ليدفعن إليكم صداقهن إذا أذنتن لهن بالنكاح. قال الزهري وأبو مجلز كان من عاداتهم إذا مات الرجل وله زوجة ألقى ابنه من غيرها - أو أقرب عصبته - ثوبه على المرأة، فيصير أحق بها من نفسها ومن أوليائها. وروى البخاري عن ابن عباس قال "كانوا - يعني أهل الجاهلية - إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجها وإن شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها" وفي رواية عنه عند غير البخاري "فإن كانت جميلة تزوجها قريبه وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها أو تفتدى منه بفدية" .... والحاصل أنهم كانوا يعتبرون المهر ثمناً للمرأة. "لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن" أي: تسترجعوا منهن المهر "إلا أن يأتين بفاحشة" ذلك للزوج، قال أبو قلابة: إذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تفتدى منه، وقال قوم: الفاحشة: البذاء باللسان "وعاشروهن بالمعروف" أي بما هو معروف في هذه الشريعة وبين أهلها من حسن المعاشرة فيما أحله الله "فإن كرهتموهن" لسبب من الأسباب من غير ارتكاب فاحشة ولا نشوز "فنعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً" من استدامة الصحبة وحصول الأولاد" (الاشقر، زبدة التفسير من فتح القدير).

من خلال ما ورد في تفسير الآية السابقة اتضح لنا كيف أن الإسلام فعلاً جاء بمبادئ وقيم تميزت عن ما كان سائداً قبله... فهذه المرأة قد أخذت مكانتها

في المجتمع وأصبحت لها قيمة وكلمة وهذا بفضل ما جاء به القرآن الكريم. ومن حسن عشرة الرجل للمرأة أن يتحمل أذاها ويتغافل عن كثير مما ييدر منها من هفوات أو أخطاء صغيرة رحمة بها وشفقة عليها .. وأن يمازحها ويداعبها فإن في المداعبة تطيباً لقلبها وراحة لنفسها وجبراً لحاظرها وأن فيها تنشيطها إلى العمل عن رغبة في ارضاء الزوج وحب له.

### **ج. المساواة بين الزوجين في الحقوق والواجبات:**

عدل الإسلام وساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وما جاء به الإسلام هو العدل الحقيقي وهي المساواة الحقيقية، فالإسلام حينما عهد إلى الزوج مسؤولية السعي والعمل لتأمين متطلبات الحياة المادية للأسرة عهد إلى الزوجة مسؤولية رعاية المنزل وتربية الأطفال .. وقد أعطى المولى عز وجل كلاً منهما القدرات الخاصة لوظيفته.

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٢٨] جاءت عدة تفاسير لهذه الدرجة .. فقال بعضهم ان هذا الفضل جاء في الميراث والجهاد، وقال آخرون إنها جاءت في الإمرة والطاعة، وقال آخرون جاءت بما ساق إليها من صداق أو إنها جاءت كونها إذا قذفته حدث وإذا قذفها لاعتن. وقال آخرون أنها نتيجة أفضاله عليها وأداء حقها إليها وصفحته عن الواجب له عليها أو عن بعضه. (تفسير الطبري، ج٢، ص ٤٥٤).

## ٢. المبادئ والقيم التربوية في المعاملة بين الأقارب :

قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء الآية: ١].

وضح الله وجوب حسن معاملة الأقرباء في أربع وعشرين آية وجاء الأمر بذلك واضحاً وصريحاً، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في عدد من الأحاديث منها: حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

"أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ولا يسيئون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ، فقال: "لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المملّ ولا يزال معك من الله ظهيراً عليهم ما دمت على ذلك" رواه مسلم برقم (٢٥٥٨/٢٢).

إذا المبدأ العام هو وجوب الإحسان إلى الأقارب، ودرجة تطبيق ذلك يعد من القيم التي منها:

- أ - اظهار المودة والمحبة لهم.
- ب - تفضيلهم وتقديمهم على الغير بالإحسان اليهم.
- ج - صلتهم ومواساتهم والإحسان إليهم والتصدق عليهم.
- د - لا تكون هذه الأفضلية وهذا التقديم، إلا لمن كان منهم مؤمناً بالله سبحانه وتعالى ومؤدياً حقوقه.

### ٣. المبادئ والقيم في معاملة الجار:

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾ [سورة النساء الآية: ٣٦] - وجاء في الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه﴾ رواه البخاري برقم (٦٠١٥)، ومسلم برقم (٢٦٢٥/١٤١).

ما ورد في الآية الكريمة والحديث النبوي يشير إلى مبدأ وجوب الإحسان إلى الجار، وأن الجار لا يحدد بقرب السكن فقط. ومن هذا المبدأ نستنبط عدداً من القيم التربوية أهمها:

أ - لا يكتمل إيمان المرء إن لم يحسن إلى جاره.

ب - الجار الذي حث الإسلام على حسن معاملته ليس هو القريب المسلم فقط ولكن جار المنزل أو السكن الرفيق في العلم أو المهنة أو السفر قال تعالى: ﴿.... والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب...﴾ [سورة النساء الآية: ٣٦].

ج - حقوق الجار تندرج حسب قربه. فهناك جار له ثلاثة حقوق، إن كان مسلماً من ذوي القربى فله حق القرابة وحق الإسلام وحق الجار. وجار له حقان هما: حق الجيرة وحق الإسلام، وجار له حق واحد وهو حق الجيرة إن لم يكن مسلماً.

د - وضع الرسول صلى الله عليه وسلم كيفية الإحسان إلى الجار في عدد من الأحاديث ملخصها:

- ١ - عدم إيذاء الجار أيًا كان ذلك الإيذاء حسياً أو معنوياً.
- ٢ - إعانة الجار إن احتاج إلى العون والمساعدة.
- ٣ - اقراضه إن احتاج إلى القرض.
- ٤ - إيناسه إن شعر بالوحدة.
- ٥ - زيارته إن مرض.
- ٦ - مشاركته في أفراحه.
- ٧ - مواساته في أحزانه.
- ٨ - إتباع جنازته حين موته.
- ٩ - عدم إطالة البنيان عليه، بحيث تحجب عنه الهواء أو تكشف عورته، إلا باذنه.
- ١٠ - الهداؤه مما تشتري وإن لم تقدر على ذلك فلا تتفاخر بشرائك أمامه.
- ١١ - عدم التسلط عليه باللسان، فإن ذلك يؤدي إلى غضب الرب، وبالتالي يكون الإنسان في جهنم وإن صلى وصام.

#### ٤. معاملة الخادم والأجير:

قال تعالى: ﴿أَهْمُ يَقْسَمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾ [سورة الزخرف الآية: ٣٢].

ويوضح المولى سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه قد فضل بعض الناس على بعض في الرزق والرياسة والقوة والحرية والعقل والعلم، ليستخدم بعض الناس

بعضاً في الخدمة ويكون بعضهم سبباً لمعاش البعض الآخر. فهذه الآية الكريمة دليل على مشروعية استخدام الناس بعضهم لبعض.

قد ضمن الإسلام حقوق وواجبات العاملين كما ضمن حقوق وواجبات أرباب الأعمال... فحذر سبحانه وتعالى في أكثر من آية من أكل أموال الناس بالباطل.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٨].

وهذا المصطفى صلى الله عليه وسلم قدوتنا ورد عنه في حديث لعائشة رضى الله عنها: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله" رواه مسلم برقم (٢٣٢٨/٧٩) واللفظ له، وأبو داود برقم (٤٧٨٦).

وعن أنس قال: "خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال: أفا قط، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا" رواه البخاري برقم (٦٠٣٨)، ومسلم برقم (٢٣٠٩/٥١) واللفظ له، وأبو داود برقم (٤٧٧٤)، وفي رواية أخرى عنه رضى الله عنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، أخذ أبو طلحة بيدي، فأنطلق بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن أنسا غلام كيس فليخدمك، قال: فخدمته في السفر والحضر، فالله ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا، ولا شيء لم أصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا" رواه البخاري برقم (٦٩١١)، ومسلم برقم (٢٣٠٩/٥٢).



التقوى. وعليه نجد أن الإسلام وضع المبادئ والقيم التربوية التي ما إن تمسكت بها البشرية عاشت في أمن وسلام ووثام. ولا شك أن جميع الأديان السماوية جاءت لتكوين المجتمعات الإنسانية المتحاببة المؤمنة، إلا أن الأنبياء والرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم لم يضعوا الأنظمة والقوانين الدقيقة (الشرائع) التي تضمن قيام تلك المجتمعات، حتى جاءت بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله بالقرآن الكتاب الذي جمع محاسن الكتب السماوية كلها وأضاف إليها، صدق الحق إذ يقول: ﴿وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه ..﴾ [سورة المائدة الآية: ٤٨].

وأمثلة للمبادئ والقيم في المعاملات مع عامة الناس نذكر ما يلي:

### الإصلاح بين الناس:

قال تعالى: ﴿لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ [سورة النساء الآية: ١١٤] - وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله فإن قاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين\* إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ [سورة الحجرات الآية: ٩ - ١٠].

ومن السنة ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: "إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة"

رواه أبو داود برقم (٤٩١٩)، والترمذي برقم (٢٥٠٩) واللفظ له وقال حديث حسن صحيح ورواه البزار والطبري بإسناد لا بأس به.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الإثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة ولكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة" رواه البخاري برقم (٢٩٨٩) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٠٩/٥٦). وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أصلح بين الناس أصلح الله أمره واعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه" الترغيب (٤٨٩/٣).

مبدأ الإصلاح بين الناس أحد المبادئ التي تميزت بها التربية الإسلامية وهذا المبدأ لا يوجد في قواميس التعامل الاجتماعي عند كثير من الشعوب غير الإسلامية وقد لا يدرك أهمية هذا المبدأ أو القيمة إلا من عاش في دول غير إسلامية أو بين أناس لا يلتزمون بمبادئ وقيم الإسلام، حيث يرى تفكك المجتمع إلى درجة أن الولد يتنكر لأبيه وأمه ولا يجد من يردعه أو يوجهه، فمن باب أولى أن تجد الفرقة والتباعد بين عامة الناس، فلا بسط الأسباب يترك الشخص صديقه ولا يوجد ثالث ليصلح بينهما.

## دفع السيئة بالحسنة:

قال تعالى: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾ [سورة الرعد الآية: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويمجزهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ [سورة الزمر الآية: ٣٥].

في الآية الأولى وعد الله سبحانه وتعالى أولئك الذين يقابلون الإساءة بالإحسان والعمل السيء بالعمل الصالح، بالخير الكثير فسيورثهم الأرض ويرزقهم بعد ذلك الجنة وفي الآية الثانية نرى حلم المولى سبحانه وتعالى حيث يغفر الذنوب ويكفر السيئات فلا يحاسبهم عليها بل يجازيهم بالإساءة غفرانا فضلاً ورحمة منه.

وهذه هي أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم فكان يقابل الإساءة بالإحسان .. وليس أدل على ذلك، من دعائه عليه الصلاة والسلام على قومه بأن يهديهم الله. وبأن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، حينما كانوا يؤذونه ويقذفونه بالحجارة فأرسل الله إليه ملك الجبال يسأله إن أراد بأن يطبق عليهم الأخشبين. (وهما جبلان شاهقان متقابلان في الطريق ما بين عرفات والمزدلفة) جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها: "..... فناداني ملك الجبال وسلم علىّ. ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال. وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك. فما شئت ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين" فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بل أرجو أن يخرج

الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً" رواه مسلم برقم (١٧٩٥/١١١). وكان عليه الصلاة والسلام يدعو إذا آذاه قومه بقوله "اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" رواه البخاري برقم (٢١٤/٤)، وأحمد برقم (٤٤١/١).

وروى معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" صحيح الجامع: ج١ ص ٨١.

هذا المبدأ الإسلامي العظيم هو أيضاً من المبادئ والقيم التي تميزت به التربية الإسلامية وهو غير موجود في قواميس المجتمعات الإسلامية المعاصرة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

### الإيثار:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ﴾ [سورة الحشر الآية ٩].

إيثار الانصار للمهاجرين خلق لم تعرفه البشرية من قبل، ويذكر سيد قطب في معرض تفسيره للآية الكريمة "لم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين. بهذا الحب الكريم. وبهذا البذل السخي. وبهذه المشاركة الرضية. وبهذا التسابق إلى الأيواء واحتمال الأعباء. حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة لأن عدد الراغبين في الإيواء المتراحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين" (سيد قطب، الظلال ج٦، ص ٣٥٢٦).

من هنا يتضح لنا أن الإيثار أرفع درجات السخاء وهو أن يجود الإنسان بماله مع حاجته إليه.

وضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الإيثار فقد كان زهده في الدنيا وعدم ميله إليها وإلى زخرفها ومتاعها إلى درجة لم يصل إليها إلا أولو العزم من الرسل ... فحياته صلى الله عليه وسلم كانت على الكفاف ولم تمل نفسه إلى المال إلا لينفقه ... ومات صلى الله عليه وسلم ولم يترك ديناراً ولا درهماً .. وروت السيدة عائشة رضي الله عنها "أنه كان عندها ستة دنانير، ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تفرقها .. فلما اشتد وجعه أنشغلت به .. فلما أفاق سأها عنها، فأخبرته بأنها شغلت به عن تفريقها فدعا بها فصفها في كفه فقال: "ما ظن نبي الله يلقى الله - عز وجل - وهذه عنده" وعنها رضي الله عنها أنها قالت: "ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى إلى سبيله" رواه مسلم برقم (٢٩٧٠/٢١)، وفي رواية عنها قالت: "توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي" رواه مسلم برقم (٢٩٧٣/٢٧)، وعنها رضي الله عنها، قالت: "ان كنا - آل محمد صلى الله عليه وسلم - لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً .. إن هو إلا التمر والماء .." رواه مسلم برقم (٢٩٧٢/٢٦)، وروى ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة، طاوئناً وأهله لا يجدون العشاء" رواه ابن ماجه برقم (٣٣٤٧)، وما ذكر ما هو إلا إشارة فقط إلى بعض ما كان عليه الصلاة والسلام من الزهد" (علام، ص ١٠٤).



وقوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾  
 [سورة آل عمران الآية: ١٣٤] روى في الأثر: نقل الامام السيوطي: "عن الامام  
 البيهقي عن علي بن الحسين أن جارية جعلت تسكب عليه الماء يتهياً للصلاة  
 فسقط الابريق من يدها على وجهه فشججه فرفع رأسه إليها فقالت: ان الله  
 يقول والكاظمين الغيظ، قال: كظمت غيظي قالت: والعافين عن الناس، قال:  
 قد عفا الله عنك قالت: والله يحب المحسنين، قال: اذهبي فأنت حرة" انظر:  
 الدر المنثور برقم (٧٣/٢).

ومن السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
 "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" رواه  
 البخاري برقم (٦١١٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٩/١٠٧)، وعن عقبه بن عامر  
 قال: "ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت: يا رسول  
 الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: يا عقبه صل من قطعك واعط من حرمك  
 واعرض عن ظلمك ... وفي رواية: واعف عن ظلمك" رواه أحمد،  
 والطبراني، واحد اسانيده أحمد رجاله ثقات". انظر مجمع الزوائد (١٨٨/٨).

العفو والصفح وعدم الغضب مبدأ من المبادئ الإسلامية التي حث الإسلام  
 على الالتزام به .. الا أن تطبيق هذا المبدأ يدخل في تصنيف القيم ... فهناك أمور  
 لا بد أن يغضب لها الإنسان وأهمها حينما ترتكب محارم الله ... وتكون الشدة  
 والغلظة مع الكفار والمشركين لقوله تعالى: ﴿يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين  
 وأغلظ عليهم ... الآية﴾ [سورة التحريم الآية: ٩] وكان عليه الصلاة والسلام  
 يغضب إذا رأى ما يغضب الله.

حين حث الإسلام على العفو والصفح لم يغفل حقوق الآخرين ... فقد وعد الله سبحانه وتعالى العافين عن الناس الخير الكثير .. واعظم خير أن الله يحبهم حيث قال ﴿والله يحب المحسنين﴾ فلم يكره الإسلام على العفو بل رغب فيه لدرجة جعل الناس يتسابقون إليه.

### **الوفاء بالعهد: (عدم الخيانة):**

قال تعالى: ﴿... والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [سورة البقرة الآية: ١٧٧]. وقوله تعالى: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم اللعنة وهم سوء الدار﴾ [سورة الرعد الآية: ٢٥].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" رواه الإمام أحمد والشيخان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، والبخاري برقم (٣٤)، ومسلم برقم (٥٨/١٠٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان" رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي، والبخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩/١٠٧).



## التواضع وعدم التكبر:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مَخْتَالٍ فَخُورٌ\* وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان الآية: ١٨ - ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تُخْرَقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا﴾ [سورة الإسراء الآية: ٣٧].

والتواضع خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اعطاه المولى عز وجل كل أسباب الشرف والرفعة في قومه والتقدم والإمامة والفضل على الأنبياء والرسول إلا أنه كان يكره صلى الله عليه وسلم أن يظهر فضله على الأنبياء - فروى أن رجلاً ناداه: يا خير البرية فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "ذاك إبراهيم" رواه مسلم برقم (٢٣٦٩/١٥٠)، وكان صلى الله عليه وسلم مع ما بلغ من مكانة في نفوس أصحابه إلا أنه كان يكره المديح والإطراء فروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم (عليه السلام) فإنا أنا عبده، فقولوا: عبداً لله ورسوله" الفتح الرباني ج-٢٢، ص ٢١، رواه البخاري برقم (٣٤٤٥). وفي رواية أخرى: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنا أنا عبد فقولوا عبداً لله ورسوله" رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه.

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يكره أن يتميز عن أصحابه من المجلس أو المشى فعن أبي إمامة رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم في يوم شديد الحر نحو بقيع الغرقد .. قال .. فكان الناس يمشون خلفه فلما سمع

صوت النعال، وقر ذلك في نفسه، فجلس حتى قدمهم أمامه، لئلا يقع في نفسه من الكبر" (الفتح الرباني ص ٢١).

أخرج ابن سعد عن قيس بن أبي حازم "ان رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام بين يديه فأخذه من الرعدة أفكل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هون عليك، فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد" الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣/١)، والحاكم برقم (٤٣٦٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان في خدمة أهله في بيته وكذا كان تواضعه مع الفقراء والمساكين والصبيان فكان صلى الله عليه وسلم يخالطهم ويمازحهم ويلعب صغارهم ..

## ٢ . نماذج من الحياة الاقتصادية :

كان النظام الاقتصادي في الجزيرة العربية وفي سائر بقاع الأرض سيئاً جداً قبل البعثة النبوية، بل يمكن القول إنه لم يكن هناك نظام اقتصادي عام، فساد الفساد على الحياة الاقتصادية كلها: جشع واستغلال وأصبح القوى يأكل الضعيف فظهرت الطبقة بين أفراد المجتمع، وانتشر الربا وأنواع البيوع الفاسدة المضرّة بالفرد والمجتمع لما فيها من ظلم وغبن، كما ساد الغش التجاري بأنواعه .. حتى جاءت البعثة النبوية رحمة للعالمين. فجاء القرآن الكريم بالنظم والقوانين (المبادئ والقيم) التي تنظم الحياة الاجتماعية في مختلف جوانبها ومنها الجانب الاقتصادي .. فأنقذت تلك المبادئ والقيم الفرد والمجتمع من الظلم والإستبداد الاقتصادي، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح أولها" والمتمعن في دراسة

المبادئ والقيم الاقتصادية الواردة في الكتاب والسنة يجد أنها في حقيقتها مبادئ وقيم تربوية... دليل على ذلك، نجد المولى سبحانه وتعالى قد قرن ظاهرة اقتصادية بصميم التربية، حيث يقول، عز من قائل، ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها .. الآية﴾ [سورة التوبة الآية: ١٠٣] وهذا أبلغ دليل على الربط بين المبادئ والقيم الاقتصادية والتربوية.

### أمثلة توضح سمو المبادئ والقيم الاقتصادية التربوية في الإسلام:

كلمة الإقتصاد في اللغة العربية تفيد التوسط والاعتدال في الصرف والانفاق، وهذا ما جاء به القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [سورة الفرقان الآية: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٢٩].

والاقتصاد يكون بين الإسراف والتقتير، وهذا ما جاء به القرآن الكريم، وكلاهما منهي عنه في الإسلام: فالنهي عن الإسراف جاءت به آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [سورة الأعراف الآية: ٣١] وقوله تعالى: ﴿وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ [سورة غافر الآية: ٤٣].

كما نهى المولى عز وجل عن البخل. قال تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨٠]. وقال تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل

ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴿سورة النساء الآية: ٣٧﴾.

### مقومات التنمية الاقتصادية:

- التماسك الاجتماعي شرط أساسي ومبدأ رئيسي للتنمية الاقتصادية: والدين الإسلامي يمتلك المقوم الأساسي لهذا التماسك وهي كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" التي وحدت الأمة الإسلامية مدة سبعة قرون حينما تمسكوا بها وعملوا بما جاءت به. لذا نعمت الدولة الإسلامية بحياة رغيدة هانئة. هذا خلافاً لما نراه أو سمعنا به في تاريخ المجتمعات المختلفة التي وإن تماسكت فإن مبدأ تماسكها هش لأنه من صنع البشر. فهو إما مبنى على: العنصرية أو العنصرية كما حدث في الدولة الألمانية في أواخر القرن التاسع عشر، أو على أساس الطبقة كما حدث في الثورة البلشفية في روسيا ١٩١٧م.

- لا تقوم التنمية الاقتصادية إذا لم يتوفر العدل والمساواة: في المجتمع وتعطى الحرية للأفراد مع الاحتفاظ بحقوق المجتمع .. وهذا لم يتوفر لأي مجتمع، إلا للمجتمع الإسلامي الذي تمسك بالمبادئ والقيم التي تدعو لذلك .. فالعدل والمساواة بين أفراد المجتمع مبدأ أساسي جاء به القرآن الكريم، وقيمة طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم في المجتمع الإسلامي الأول.

قال تعالى: ﴿... وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾ [سورة المائدة الآية: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن

يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنازروا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأؤلئك هم الظالمون ﴿ [سورة الحجرات الآية: ١١].

وكما جاء في الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وسلم: "لا فضل لعربي على أعجمي. ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ... إلخ" أحمد (٤١١/٥).

كما ساوى الإسلام بين البشر في التكليف والواجبات. وهم عند الله سواسية كأسنان المشط. كما جاء الإسلام وحرر الإنسان من عبادة غير الله إلى عبادة الله سبحانه وتعالى.

- الحث على العمل ومقت التقاعس والكسل:

هذه أيضاً من المقومات الأساسية للتنمية الاقتصادية. ونجد أن الإسلام قد حث بل أوجب العمل: قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ [سورة التوبة الآية: ١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٩٥].

والآيات التي تحث على العمل الصالح وتبين جزاء العاملين عديدة جداً في كتاب الله سبحانه وتعالى.

والتقاعسون عن العمل الصالح يصيحون يوم القيامة: ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ [سورة السجدة الآية: ١٢]، ﴿وهم يضطربون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً﴾ [سورة فاطر الآية: ٣٧].

ومن السنة ما رواه المقدم بن معد يكرب رضى الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" رواه البخاري برقم (٢٠٧٢)، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له" أخرجه الطبراني بإسناده. انظر: مجمع الزوائد (٦٣/٤)..

**وفي مفت البطالة والتسول:** عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه" رواه البخاري برقم (٢٠٧٤)، ومسلم، والترمذي والنسائي وابن مالك.

كُتِبَتْ نظريات عديدة في علم الاقتصاد عن مبدأ حب العمل والدافعية إلى الإنتاج بغض النظر عن الجوائز أو الحوافز التي تقدم للفرد .. ويكون دافعه الأساسي هو حب العمل ..

ولو رجعنا إلى الآيات السابقة والأحاديث النبوية نرى كيف أنها ساهمت في تكوين أفراد يسهمون في العمل مساهمة فعالة جداً لما عند الله من الأجر والثواب .. فهؤلاء هم من يعتمد عليهم في عملية التنمية الاقتصادية لا أولئك الذين يعملون بموجب الإغراء - والحوافز التي تقدم لهم.

**.من مقومات التنمية الاقتصادية:** عدم الغش والخداع وجودة

الإنتاج وعدم الغبن أو احتكار السلع.

هذه المبادئ والقيم جاء بها القرآن الكريم وشدد عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة .. والمسلم اليوم حينما يلتزم بتطبيق هذه المبادئ والقيم التي تؤدي الى التنمية الاقتصادية الحققة فإنه لا يخشى مراقبة البشر له، لأن بإمكانه اختراع الحيل للغش ولكنه يخشى مراقبة الله له.

فمبدأ التحذير من الغش والتلاعب في المكيال والميزان ورد في قوله تعالى:  
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ\* الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ\* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [سورة المطففين الآية: ١ - ٣].

ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: "اكتالوا حتى تستوفوا" ويذكر عن عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا بعث فكل وإذا ابتعت فاكتل" رواه البخاري برقم (٦٣٢/٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه" (متفق عليه) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب الكيل برقم (٢١٢٦).

ويقصُّ علينا القرآن الكريم جزاء الأمم السابقة التي حادت عن هذا المبدأ، أنزل الله في قوم شعيب قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخَسِرِينَ\* وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ\* وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الشعراء الآية: ١٨١ - ١٨٣] فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُم عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الشعراء الآية: ١٨٩].

وفي الغش قال عليه الصلاة والسلام: "من غشنا فليس منا" رواه مسلم - كتاب الايمان (١٦٤)، والترمذي برقم (١٣١٥)، وأبو داود برقم (٣٤٥٢)، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على

صبره طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله: قال: "أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس. من غش فليس منا" رواه مسلم - كتاب الإيمان - حديث (١٦٤)، وابن ماجه، والترمذي برقم (١٣١٥).

كما نهى الإسلام عن الاحتكار بكل أنواعه، ولا ينجفى على كل ذي لب المساوى والأضرار التى تلحق بالفرد والمجتمع من جراء احتكار السلع بأنواعه... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يبيع بعضكم على بيع بعض ولا تلقوا السلع حتى يهبط بها إلى السوق" (رواه البخاري كتاب البيوع - وتلقى الركبان وشراء السلع منهم قبل أن يهبطوا بها إلى السوق يدخل في باب الغش والاحتكار أيضاً وقال صلى الله عليه وسلم: "من احتكر طعاماً فهو خاطئ" (رواه مسلم وأبو داود والترمذي).

وعن معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "بئس العبد المحتكر، إن أرخص الله الأسعار حزن، وإن اغلاها فرح" (رواه الطبراني).

وقد نهى الإسلام عن كثير من أنواع البيوع لأن فيها احتكاراً للسلعة أو السعر ومن البيوع المنهى عنها: بيع حاضر لباد باحر وبيع حاضر لباد بالسمسرة، بيع التمر بالتمر أو الزبيب بالزبيب أو الشعير بالشعير، والذهب بالذهب، وبيع المزبنة، وبيع النخل قبل أن يبدو صلاحها، وبيع الثمار حتى تزهى، وبيع المخاضره والمحاكلة والملاسة والمنابذة بيع النحش.



- التنمية الاقتصادية اليوم لا تخرج عن المجالات الثلاثة الزراعة، والصناعة، والتجارة.. ونجد القرآن الكريم قد حث على هذه المهن الثلاث، ونلاحظ أن القرآن الكريم قد ركز على الزراعة أكثر من المهنتين الأخرين... وواقع العالم اليوم يشهد بأن التنمية الزراعية هي أكثر متطلبات الحياة.. فبالإضافة إلى أن في الزراعة غذاء البشر فإن كثيراً من الصناعات تتوقف على الإنتاج الزراعي والزراعة بدورها تسهم في خلق السوق التجاري.. والمتأمل في كتاب الله سبحانه وتعالى يجد أن مبدأ الحث على الزراعة وأجر المزارعين قد ذكر في آيات كثيرة وكذلك في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم:

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ [سورة السجدة الآية: ٢٧].

ويذكر الله سبحانه وتعالى قصة سبأ وكيف عاقبهم الله سبحانه وتعالى حين أعرضوا عن شكر النعمة. قال تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم وأشكروا له بلدة طيبة ورب غفور رحيم\* فاعرضوا فארسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط وأثل وشيئ من سدر قليل﴾ [سورة سبأ الآية: ١٥ - ١٦].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "مامن مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة" صحيح البخاري برقم (٢٣٢٠).

كما جاءت آيات في كتاب الله تتحدث عن الصناعة: منها قوله تعالى: ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا﴾ [سورة المؤمنون الآية: ٢٧] - هنا إشارة واضحة إلى تعليم صناعة السفن عن طريق الوحي والإشراف الإلهي. ويشير القرآن الكريم الى أن صناعة الحديد جاءت على يد نبي الله داود عليه السلام: قال تعالى: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد﴾ [سورة سبأ الآية: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ [سورة الحديد الآية: ٢٥]. وأشار القرآن الكريم إلى مختلف الصناعات في الآية التالية: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستحقونها يوم ظعنكم ويوم أقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين\* والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ [سورة النحل الآية: ٨٠-٨١].

## **كما جاء القرآن الكريم بمبادئ وقيم أساسية تنظم عملية التجارة، ومن هذه المبادئ والقيم ما جاء في الآيات التالية:**

قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم...﴾ [سورة النساء الآية: ٢٩].

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون\* وإذا رأوا تجارة أو هوأ انفضوا إليها وتركوك قائماً،

قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴿﴾ [سورة الجمعة الآية: ١٠].

كما وضع القرآن مبادئ وقيم أساسية في التجارة تشير إليها الآية التالية:  
﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها، وأشهدوا إذا تبايعتم...﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٨٢].

### ٣. نماذج من الحياة السياسية:

الحياة السياسية سواء في الجزيرة العربية أو في غيرها من الأقطار كانت تسودها الفوضى السياسية، حيث استبد الحكام بالمحكومين وعاملوهم معاملة العبيد، وانتشرت الامبراطوريات واستبدت القياصرة بالحكم فعم الفساد السياسي أرجاء المعمورة ومفهوم الحكومة الدينية قبل البعثة النبوية يختلف تماماً عن ما جاء بعدها. فالحكومة الدينية قبل البعثة النبوية يعتقد فيها أن الحاكم (سواء كان فرداً أو جماعة) يستمد سلطته من عند الله. إلا أن حقيقة الأمر هي أن تلك الحكومات كانت تستمد أحكامها من أفكار دينية قديمة ويدعي الحكام أن سلطتهم وسيادتهم مستمدة من عند الله. فيشرعون قوانين حسب أهوائهم لأن ليس في تعاليم تلك الديانات شيء من التشريع، وإنما هي مواعظ خلقية وهذا خلاف ما عليه الدولة الإسلامية التي تستمد تشريعاتها مما جاء أساساً في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. حتى جاءت البعثة النبوية فكأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم دولة إسلامية مبنية على أسس ومبادئ قوية توضح العلاقة بين الحاكم والرعية وتبين واجبات ومسؤوليات كل منهما تجاه الآخر.

وهذه أهم المبادئ والقيم التي نظمت الحياة السياسية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأربعة وحتى سقوط الخلافة الإسلامية، التي لم تسقط إلا بسبب ابتعاد الخلفاء عن تطبيق المنهج الإسلامي في الحكم وهذه هي مشكلة الدول الإسلامية الحالية، وسبب فسادها وتأخرها لأنها ابتعدت عن تطبيق المبادئ والقيم التي جاءت في القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

### **نظام الحكم في الإسلام:**

**الشورى:** أهم مبدأ تقوم عليه الحياة السياسية في الإسلام وهو مبدأ الشورى الذي تنطوي تحته العديد من القيم. وقد ورد ذكر الشورى في كثير من الآيات والأحاديث منها:

قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ... الآية﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٥٩].

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ [سورة الشورى الآية: ٣٨].

ومن السنة: عن علي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله، الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل فيه قرآن ولم يسمع منك فيه شيء. قال: اجمعوا له العابد من أمسي، واجعلوه بينكم شورى ولا تفضوه برأي واحد (الانصاري، الشورى وأثرها في الديمقراطية، ص ٦٥، مأخوذ من الدر المشور للسيوطي، ج ١٠، ص ٦).

الآيات السابقة والأحاديث النبوية السابقة وغيرها توضح وجوب الأخذ بالشورى في نظام الحكم الإسلامي .. ولكن مفهوم الشورى كأسلوب في الحكم

لايستنبط فقط من الآيات والأحاديث التي تشير الى كلمة الشورى صراحةً بل إن الشورى كسياسة أو أسلوب يتبعه الحاكم يستنبط من قواعد ومبادئ الاسلام الأخرى .. فارتباط الشورى بقواعد الاسلام أو مبادئه وثيقة جداً فلا يمكن أن تكون شورى بدون المبادئ والقيم الاسلامية الأخرى كالإيمان والعلم والصدق والأخلاق والنية.

والشورى في أبسط معانيها هي التشاور أو تداول الرأي في أمر من الأمور.. وهي بذلك تدخل أيضاً في باب النصيحة وكما جاء في الحديث "الدين النصيحة" النصيحة في الاسلام تكون لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وهي أيضاً الرأي .. (النحوي، ص ٨١ - ٨٥).

ومن أهم القيم التي يمكن استنباطها من مبدأ الشورى:

١ - أن للشورى رجالاً وهم كما جاء في حديث رسول الله صلى عليه وسلم أنهم: "العابدون من المؤمنين" وصفاتهم وردت في سورة الشورى .. وهم أهل الحل والعقد والرأي وقد يكونون أفراداً يمثلون جماعات ..

٢ - قد تؤخذ الشورى من عامة الناس .. وهذا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم: حيث كان عليه الصلاة والسلام ينادي "الصلاة جامعة" فيجتمع المسلمون في المسجد وإذا اجتمعوا لمناقشة أمر لا يخرج أحد منهم حتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣ - قد تقتضي الحالة أو الأمر أخذ المشورة من نفر من الناس.

٤ - المستشار يجب أن يكون أميناً بحفظ السر - فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" رواه مسلم برقم (٥/٥)، وأبو داود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "مارأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم" رواه الترمذي - باب الجهاد - برقم (٢٤).

**العدل:** هو وضع الشيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط، وهو الغاية التي تسعى إليها الدولة الإسلامية، والعدل مبدأ مطلوب لأي حكومة ترغب في البقاء، دون وضع القيود الحديدية في يد شعبها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء الآية: ٥٨].

ومن يخالف هذا الأمر الإلهي يكن من الكافرين أو الظالمين أو الفاسقين .. وذكر ابن تيمية في تفسير هذه الآية في كتابه "السياسة الشرعية": (قال العلماء: نزلت الآية في ولاة الأمور عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل. وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة" (السييل، ص ٥).

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى أنبياءه أن يحكموا بين الناس بالعدل مخاطباً داود عليه السلام بذلك .. ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [سورة ص الآية: ٢٦] وأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك

﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل ءامنت بما أنزل من كتاب وأمرت لأعدل بينكم...﴾ [سورة الشورى الآية: ١٥].

ولقد قرن المولى عز وجل العدل بالإحسان حيث قال: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [سورة النحل الآية ٩٠] فما أجمل أن يقرن العدل بالإحسان فيكون الحاكم منصفاً رحيماً برعيته.

أما ماورد من السنة عن عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فيكفينا أنه صلى الله عليه وسلم لقب بالأمين قبل البعثة حيث كان يتحاكم إليه في الجاهلية، وقال القاضي عياض: ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض" وفي حديث علي في وصفه صلى الله عليه وسلم: أصدق الناس لهجة، وقال في الصحيح "ويحك فمن يعدل إن لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أعدل" وعن الحسن: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحداً بقرف أحد ولا يصدق أحداً على أحد. (القاضي عياض - الشفا، ج١، ص١٣٦).

من هذا المبدأ نستنبط العديد من القيم أهمها:

١ - من ولى أمراً من أمور المسلمين فعدل فيه أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل ... الحديث"

رواه البخاري - باب الأذان برقم (٢٦)، النسائي - باب القضاء برقم (٢).

٢ - من ولى أمراً من أمور المسلمين فعدل يكون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن فقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا".

٣ - الإمام العادل هو الذى يحكم بما أنزل الله، ولقد أنزل سبحانه وتعالى القرآن وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فعليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى - فمن لم يحكم بهما لن يكون عادلاً.

٤ - العدل لا يكون من جانب الحاكم فقط فهو أيضاً من جانب المحكومين.. فعليهم طاعة الوالي ما أطاع الله فيهم .. والعدل فيما بينهم.

٥ - العدل في الحكم أساس الأمن والرخاء ويؤدي إلى اشاعة المودة والمحبة والتعاون بين الحاكم والمحكومين .. وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه. "عدلت فأمنت فمنت" وذلك حين أتى أعرابي يسأل عن أمير المؤمنين فاشاروا إليه بأنه الشخص النائم تحت الشجرة.

٦ - العدل في الحكم لا يكون للأقرباء أو المسلمين فقط بل يكون حتى مع الكفار، وهذا هو عدل الإسلام. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة الآية: ٨] - ذكر الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: "دلت الآية على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وان يقتصر على المستحق من القتال والاسترقاق، وإن المثلة بهم غير جائزة وان قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمونا بذلك فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم" القرطبي، تفسير سورة المائدة، ص ٢١٠٧.

فهل بعد ذلك من سمو لمبادئ وقيم غير التي جاء بها القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم؟



## مراجع الفصل الخامس

- أبوزهره، محمد - تنظيم الاسلام للمجتمع - دار الفكر العربي.
- الحسيني، السيد محمد بن علوي المالكي - أدب الإسلام في نظام الأسرة - ط ٢، ١٤٠١هـ.
- سبيل، محمد بن عبد الله - الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية - مطابع الصفا، مكة المكرمة.
- علوان، فارس - وفي الصلاة صحة ووقاية - ط ١، جدة، دار المجتمع، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- علام، بدوي طه - من خصائص ومناقب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - سلسلة سبيل الله، مطبعة الكيلاني، القاهرة.
- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - دار المعرفة، بيروت، من جزئين، الطبعة الأخيرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الأنصاري، عبد الحميد اسماعيل - الشورى وأثرها في الديمقراطية، دراسة مقارنة - المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
- ليمود، حامد محمود بن محمد - منتقى النقول في سيرة أعظم رسول - ط ١، مكة المكرمة، رابطة العالم الاسلامي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- مدكور، ابراهيم وزملاؤه - معجم العلوم الاجتماعية - الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة "يونسكو"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
- النحوي، عدنان علي رضا - ملامح الشورى في الدعوة الاسلامية - ط ٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الندوي، أبوالحسن علي الحسنی، الاركان الاربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج) في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الاخرى - الكويت، دار القلم، ط ٣، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.



## الفصل السادس

### تأصيل المبادئ والقيم التربوية المعاصرة

#### .تمهيد.

- مفهوم التأصيل
- قوة تأثير المبادئ والقيم في السلوك الانساني
- مبدأ الوساطة بين الزوجين للتوفيق والإصلاح
- مبدأ التخطيط الاجتماعي
- مبدأ مراعاة الفروق الفردية للمتعلم
- مبدأ التعليم المستمر أو التربية المستمرة
- مبدأ التعليم الذاتي
- مفهوم الحرية في الإسلام



## تمهيد:

صدق الله العظيم القائل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [سورة المائدة الآية: ٣]، فالإسلام أكتمل على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وتركنا عليه الصلاة والسلام على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم الرعيل الأول على مبادئ وقيم فسادوا وقادوا بها العالم.. واستمر بعد ذلك علماء ومفكرو المسلمين التربويون في الالتزام بتلك المبادئ والقيم التربوية في كتاباتهم ومؤلفاتهم.. فكانت بحق وحقيقة مرجعاً أساسياً للتربية والتعليم لعدة قرون وكانت أوروبا علماءها وطلابها ومؤسساتها تأخذ عنهم وحين بدأت بذور الفرقة والخلاف تدب بين المسلمين، أخذت الخلافة الإسلامية في التفكك، وضعف المسلمون وابتعدوا عن المنهج الرباني القويم، في هذه الفترة بدأت نهضة أوروبا وكما يقال على اكتاف الدولة الإسلامية، فهل الأوروبيون وغيرهم من الحضارة والثقافة الإسلامية، وأخذوا في تطويرها، في الوقت الذي توقفت فيه الحضارة والثقافة الإسلامية، وعاشت فترة ركود واسترخاء وتقليد وتبعية عمياء للغرب... انبهر المسلمون ببضاعة الغرب، التي كانت أسسها ومبادئها وقيمها مسروقة من قرآنهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام، ومما خطه أسلافهم من العلماء والمفكرين المسلمين.. وراحوا يلهثون وراء تلك النظريات والمبادئ والقيم التربوية التي سطرها الغربيون وغيرهم.. وكان للسيطرة الاستعمارية على البلاد الإسلامية دور كبير في غلق عقول وأنظار المسلمين، حتى ولو لمجرد التفكير وتقييم تلك النظريات والمبادئ ووزنها على ما لديهم من كنوز في مجال التربية والتعليم، وبعد الانحلاء التام للمستعمر أخذ علماء ومفكرو المسلمين في الصحوة وتقييم

الأمر، فأنجلي لهم الأمر وبانت الحقيقة.. ولكن للأسف هناك نفر منهم لا يزال يسيطر عليه بريق الحضارة والثقافة الغربية، رغم تحلي بعض العلماء والمفكرين الغربيين عنها وأخذوا في الرجوع الى الحق وتبين لهم ما هو الاصل وما هو الزيف في تلك النظريات والمبادئ والقيم التربوية. فالى أولئك المنبهرين والغاطين في سباتهم نكتب هذا الفصل.

### **مفهوم التأصيل:**

التأصيل هو إرجاع الشيء إلى أصله ومصدره .. فتأصيل المبادئ والقيم التربوية المعاصرة، يقصد به توضيح أن مصدرها الكتاب والسنة أو ما كتبه السلف الصالح، وتنحية ما لم يطابق ما جاء في الكتاب والسنة. ونقصد بالتأصيل هنا: دراسة المبادئ والقيم التربوية الواردة في كتابات الغربيين، المدعين أنهم هم واضعوها أو أول من نادى بها، وبيان زيف ادعائهم وإثبات أحقية وأسبقية الإسلام لها، وذلك بارجاعها الى القرآن الكريم والأحاديث النبوية أو الى ما كتبه السلف الصالح. كما نعني به المطالبة بحذف بعض من هذه المبادئ والقيم من كتبنا أو كتاباتنا حيث إنها لاتتبع من معتقداتنا وثقافتنا، وإحلالها باخرى تتبع من العقيدة والثقافة الإسلامية.

وتتبع أهمية هذا الفصل إذا ما تذكرنا أن جميع العلوم والمعارف الإنسانية الاجتماعية اليوم صبغت بالصبغة الغربية وكأنه لم يكن للإسلام الفضل في إرساء قواعدها ووضع مبادئها كما كان الأمر في العلوم التجريبية أو العلمية.. والفاحص لمعظم الكتب التربوية اليوم لاسيما تلك التي تصدر في عالمنا العربي والإسلامي يجد مؤلفيها قد أهملوا مراجعهم الرئيسية في التربية وراحوا يستشهدون بما كتبه الغربيون، بل البعض منهم يرى أن عمله لاقيمة له إن لم يتضمن بعض المراجع الأجنبية، فالغربيون في نظرهم هم المرجع في الكتابات

والمؤلفات الحديثة، ونسوا أو تناسوا أن هؤلاء المغتربين بهم وبأفكارهم ليسوا إلا لصوصاً سطواً على الحضارة والتراث الإسلامي ووضعوا عليه دمعتهم وأدعوا أنهم هم المكتشفون والرواد. وفي تأصيلنا للمبادئ والقيم التربوية المعاصرة تتبع منهجين: أحدهما مباشرة حيث نشير الى عنوان المبدأ ثم تحليله لظهور هويته الإسلامية. والثاني عن طريق مناقشة موضوع أو فكرة ومن خلال النقاش يظهر لنا التأصيل.

ولا يسع المجال هنا تأصيل جميع المبادئ والقيم التربوية، ولكن نكتفي بدراسة بعضها. ونسأل الله أن يوفقنا أو أحد زملائنا أو طلابنا باكمال ما تركناه.

### **قوة تأثير المبادئ والقيم في الإنسان:**

ظهرت في الغرب حديثاً، وفي مجال علم النفس التربوي، نظرية تعرف بنظرية القيم وصاحب هذه النظرية هو العالم (بيير) وملخص نظريته هو، أن سلوك الفرد يتأثر بمدى ادراكه ووعيه للقيم، أي أنه جعل الهيمنة والسيطرة على سلوك الإنسان منبعه القيم وهو في هذا يخالف قرينه فرويد الذي جعل الجنس أساساً ومصدراً لسلوك الإنسان... ويمكن القول أن بيير جعل مصدر السلوك عند الإنسان هو الجانب الإنساني وليس الطبيعي (جمال، ص ٣٠٤). ولتفسير نظريته ذكر مثلاً مفاده أن المفكر في سبيل إقتناؤه للكذب قد يجوع ويعيش حياة الفقر ويضحى بالشيء الكثير في حياته، وهو بهذا كأنه يريد أن يظهر تضحياته ومدى الصعوبات والمتاعب التي واجهها في سبيل المبادئ والقيم التي يؤمن بها ويسعى الى تحقيقها ويضع نفسه في مكان الرواد الأوائل ويريد أن يكون له أتباع ونسى ذلك الغربي كيف أن الأنبياء عليهم السلام، وآخرهم نبينا صلى الله عليه وسلم، يعدون القدوة في ذلك حيث ضربوا



أروع الأمثلة في التضحية في سبيل المبادئ والقيم التي اعتنقوها، ونعم ماهي، فهذا محمد صلى الله عليه وسلم الذي عرض عليه ربه بأن يكون ملكاً نبياً - يحول له بطاح مكة الى اللؤلؤ والمرجان وجباها الى الذهب والفضة فرفض ذلك وفضل العيش على الأسودين الماء والتمر، وتمر به أيام وليال دون أن يوقد في بيته نار، وهو الذي وقف ضده كل صناديد قريش وأغرؤه بالمال والجاه تارة وبالإيذاء تارة أخرى ليرك المبادئ والقيم التي اعتنقها، وظل يدعو قومه ثلاثة عشر عاماً في مكة فما آمن معه إلا نفر قليل.. والتاريخ الإسلامي حافل بأؤلئك الرجال الذي ضحوا بكل غالٍ وثمين في حياتهم الدنيا في سبيل المبادئ والقيم التي اعتنقوها والتي سيطرت على سلوكهم وتفكيرهم وغيرت مجرى حياتهم وهم قد سبقوا ببيير بمئات السنين في تقرير نظريته عن القيم وتأثيرها في السلوك الإنساني، فمن حيل الصحابة رضوان الله عليهم يكفي أن نذكر بلال بن رباح ومصعب بن عمير والثقات غيرهم.. ومن بعدهم الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم وغيرهم من علماء المسلمين الذين لا يمكن حصرهم. وقبل هذا وذاك نجد القرآن الكريم قد سرد لنا العديد من الأمثلة عن تأثير عقيدة الإيمان وهي أعلى مراتب القيم في سلوك وحياة كل من آمن بها.

### **مبدأ الوساطة بين الزوجين للتوفيق والإسلام:**

ذكر المرحوم أحمد محمد جمال ادعاء أحد المفكرين الغربيين ويدعى بيران وولف في كتابه (أفضل سنوات المرأة)، أنه هو صاحب فكرة جعل وسيط أو حكم بين الزوجين قبل أن يتخذا قرار الانفصال أو الطلاق.. ليقوم بمحاولات تقريب وجهات النظر بينهما أو مساعدتهما في حل مشكلاتهما، وحتى لا يحصل الطلاق ويتشرد الأطفال، واقترح بأن يكون ذلك الشخص خبيراً محنكاً أو من أحد رجال الدين أو علماء النفس... ونجد د.بيران هذا قد تجاهل

تماماً القرآن الكريم الذي أنزله سبحانه وتعالى لحل مشكلات البشرية وهدايتها الى طريق الخير.. والذي جاء فيه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإن خفتن شقاق بينهما فأبعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً﴾ [سورة النساء الآية: ٣٥]، نعم إن الله سبحانه وتعالى عليم خبير بما هو خير لعباده وقد يكون ذلك الخير أحياناً في الطلاق، لذا أباحه سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿وإن يفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾ [سورة النساء الآية: ١٣٠]، محاضرات في الثقافة الاسلامية، ص (٣٠٩).

### مبدأ التخطيط الاجتماعي:

تنعق التربية الحديثة وتكابر مدعية أن مبدأ التخطيط من سماتها، وما علمت أنها مسبوقة الى هذا المبدأ بعدة قرون وما جاء في القرآن الكريم خير دليل على أن الإسلام هو السباق الى التخطيط فهذه قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه يظهر فيها التخطيط المنظم حيث وردت القصة في القرآن الكريم في سورة الأنعام، وإبراهيم، والأنبياء، والشعراء، على فصول ومراحل كما يلي:

الهدف الأول: توحيد الله والدعوة إليه.

الهدف الثاني: تخلص قومه من الشرك.

ورسم الخطة في مراحل محدودة ووسائل معلومة:

أولاً: أعلن تخليه عن عبادة النجوم والأصنام وذلك ببراءته منها ﴿...قال يا قومي أني برئ مما تُشركون\* إني وجهت وجهي للذي فطّر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ [سورة الأنعام الآية: ٧٨ - ٧٩].

ثانياً: دعوته لأبيه وكانت كالتالي:

١ - بدأها باللين ولم يسفه معبوداته. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ\* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [سورة الانبياء الآية: ٥١، ٥٢].

٢ - ذكره بينوته ليستدر عطفه أربع مرات متتالية.

٣ - سأله عن سبب عكوفه على عبادة الأصنام مع عجزها.

٤ - طلب منه أن يتبعه الى الحق.

٥ - أبان له أن الانقياد للأصنام عبادة للشيطان.

٦ - خوَّفه سوء المصير أو العاقبة.

٧ - قابل ابراهيم تهديد أبيه بصدر رحب.

ثالثاً: دعوته لقومه وكانت كالتالي:

١ - استدرأهم الى المجادلة والمحاورة ليحملهم على الإقرار بارتكاب

الجرم واقتراف الذنب.

٢ - بيّن لهم فاسد اعتقادهم ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ\* أَوْ

يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [سورة الشعراء الآية: ٧٢، ٧٣].

٣ - أوهن أساس عبادتهم وأوضح بطلانها حيث اعترفوا بعجز الأصنام

وتقليد الآباء.

٤ - أعلن عداوته لمعبوداتهم من قديم قلو كانت تملك شيئاً لنالت منه.

٥ - أظهر لهم صفات الإله الحق ليلمسوا الفرق الواضح.

٦ - رماهم بالبعد عن التفكير الصحيح والوقوع في الضلال والتقليد

﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٥٤].

رابعاً: الانتقال من الحجة القولية الى البرهان العملي وذلك كالتالي:

١ - أقسم ليكيدين أصنامهم حتى يروا أنها لا تضر ولا تنفع ولا تدفع عن نفسها الأذى.

٢ - تناول فأساً وأخذ يحطمها حتى جعلها جذاذاً إلا كبيرهم فإنه ابقاه ﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون﴾ [سورة الانبياء الآية: ٥٨].

٣ - اجتمعوا وكانت أمنية إبراهيم عليه السلام ليقم عليهم الحجة على فساد ما هم عليه عاكفون. فسألوه ﴿قالوا من فعل هذا بأهتنا﴾ [سورة الانبياء الآية: ٥٩].

فأجابهم إبراهيم ان الذي فعل هذا الفعل بالأصنام هو كبير الأصنام وطلب منهم أن يسألوهم إن كانوا ينطقون، قال تعالى: ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [سورة الانبياء الآية: ٦٣].

٤ - صفتهم حجتة الدامغة فأطرقوا برؤوسهم مفكرين ثم شهدوا على أنفسهم بالظلم وعلى آلهتهم بالعجز. ﴿فرجّعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم انتم الظالمون\* ثم نكسوا على رؤسهم ..﴾ [سورة الانبياء الآية: ٦٤، ٦٥].

٥ - بعد وضوح الحق وانبلاج الصبح أخذ ييكنهم ويحضهم على الرؤية فيما يدعون ﴿قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم\* آف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ [سورة الانبياء الآية: ٦٦ - ٦٧].

والمأمل في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى أن دعوته لم تمض في مراحلها ارتجالاً ولم تتم خطواتها اعتباطاً بل تمت بعد تفكير وتدبير يسدده

الوحي عند الاقتضاء في كل مرحلة من مراحلها ولنأخذ مثلاً على ذلك هجرته صلى الله عليه وسلم.

الهدف البعيد: نشر الإسلام وتكوين الدولة وانتصار دين الله.

الهدف القريب: الوصول الى مرفأ الامان بعيداً عن ايذاء المشركين.

رسم الخطة كالتالي:

١ - اختيار الصاحب أو الرفيق في السفر.

٢ - اعداد الرحلة.

٣ - إقامة علي في فراشه صلى الله عليه وسلم.

٤ - اتخاذ الدليل.

٥ - الاختفاء في غار ثور، وهذه تعد خطة للخروج من مكة دون التعرض لأذى المشركين، بعد هذه الخطة ثم الوصول الى دار الهجرة بعناية الله سبحانه وتعالى.

ولم يكن العمل في مجتمع الإسلام عشوائياً مضطرباً بل كان يعتمد على التخطيط العلمي كضمان لضبطه ونجاحه فما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عملاً ذابال إلا استشارة أصحابه رضوان الله عليهم ﴿وشاورهم في الأمر﴾ ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [سورة الشورى الآية: ٣٨]. والاستشارة هي أولى الدرجات في سلم التخطيط فكان صلى الله عليه وسلم يأخذ رأي الجميع ويمنح الفرصة للشباب والشيب لإبداء الرأي وذلك كما حدث في غزوة أحد وغيرها من الغزوات والتخطيط في الإسلام شامل لجميع الجوانب سواء الاقتصاد أو الحرب أو التربية أو نحوها. كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال الآية: ٦٠].

ولتأكيد التخطيط السليم والعمل المتقن قال: صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها ومن الواضح انه لا يكون عملاً متقناً إلا بتخطيط.

### **مراعاة الفروق الفردية للمتعلم:**

تفتخر التربية الحديثة بأنها وضعت منهجاً جديداً وصالحاً في عملية التعليم، وهو ما يعرف بمبدأ مراعاة الفروق الفردية (مرعاة الميول والاستعدادات لدى المتعلم).

وترجع الفضل في توجيه أنظار المربين إليه الى العالم "جان جاك روسو" الذي ظهر في القرن الثامن عشر الميلادي.

ويرى روسو "أن وسيلة التربية هي النمو المطلق لطبيعة الطفل لقواه وميوله الفردية" (حضر، ص ١٨٤). وقد ذكر روسو في كتابه "إميل" أن الطفل لديه قدرات فطرية معينة عند ولادته وعلى المعلم أن يحترم النمو الطبيعي لهذه القدرات، والطفولة هي رحلة متميزة لها احترامها ويجب أن ينظر الى الطفل على أنه رجل صغير له عقل يتصف به عقل الكبير" (المرجع السابق ص ١٨٦).

وتكامل الكتب العربية التي تتحدث عن هذا المبدأ المدح والفضل لروسو، على أنه أول من نادى بتربية ملائمة لآعمار الأطفال ولنموهم النفسي، وأنه أول من حرص على أن تشيد التربية إنطلاقاً من طبيعة الطفل وإهتماماته وميوله " كما جاء في كتاب عبد الله عبد الدائم، "التربية عبر التاريخ ص ٣٩٥" فهل هذا هو الواقع؟؟ وهل روسو حقاً هو أول من نادى بذلك - أم أن هناك من سبقه وأنه ناقل ومتبع وليس مبتدعاً... هذا ما يظهر لنا خلال استعراضنا لما يلي:

المتدبر لكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يرى أن القرآن الكريم قد نبه الى وجوب الأخذ في الاعتبار خصائص كل مرحلة من مراحل النمو وذلك حين إعطاء الجرعات التعليمية والتربوية للأفراد - قال تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا .. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ..﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابًا لِيَمَّا﴾ [سورة الفتح الآية: ١٧].

ومعلوم ان الله تبارك وتعالى هو الذى خلق الخلق من نفس واحدة ووهبهم السمع والبصر وجميع الحواس والصفات والاستعدادات الفطرية لكن على درجات مختلفة .. وبنسب متفاوتة قد تتقارب أحياناً، وقد تتباعد كما هو الحال في عالم النبات الذى يخرج من بقعة واحدة ويسقى من ماء واحد ولكنه يخرج أنواعاً مختلفة في اللون وفي الطعم .. وكذلك الحال في الحيوانات وفي جميع الكائنات .. وفي ذلك أكبر شاهد على قدرة الله عز وجل ووجوده قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ\* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر الآية: ٢٧ - ٢٨] وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود الآية: ١١٨].

إن الله عز وجل هو الذى أوجد هذه الفروق في مخلوقاته وهو أعلم بها من غيره قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك الآية: ١٤]. لذلك فإن الله عز وجل راعى هذه الفروق في نظامه الذى وضعه للبشر بصفة عامة ففي مجال التكاليف الشرعية نجد المرأة غير مكلفة بالجهاد وعقوبة الأمه نصف عقوبة الحرة، كذلك في مجال التعليم نجد النظام الإسلامي يقرُّ وجود الفروق الفردية ويراعيها فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ قُرْبًا حَامِلٌ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرَبٌّ حَامِلٌ فِقْهَهُ لَيْسَ بِفِقْهِهِ" رواه الترمذي عن زيد بن ثابت - وقال: حديث صحيح. وفي رواية أخرى: "قرب مبلغ أوعى من سامع..." رواه الامام أحمد والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود رضى الله عنه حديث صحيح.

وجاء أيضاً في الحديث الصحيح "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَاهْدَى كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَ الْكَلَاءُ وَالْعَشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرَبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلَاءً فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَّهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" متفق عليه عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه. البخاري (٥٣/١)، الحديث ٧٩. ففي هذا الحديث تقسيم الناس من حيث تلقى العلم والعمل به الى ثلاثة مستويات:

١ - المستوى الأول: الأذكياء.

٢ - المستوى الثاني: متوسطو الذكاء.



٣ - المستوى الثالث الأغبياء.

وذلك عن طريق تشبيه بليغ بطبقات الأرض الثلاث:

١ - الأرض الطيبة: هي التي تقبل الماء وتنتب العشب.

٢ - الأحادب: تحفظ الماء فقط.

٣ - القيعان: وهي التي لا يستقر بها ماء.

هذا عن تقرير حقيقة مبدأ الفروق الفردية في التربية الإسلامية، أما من حيث مراعاة هذه الفروق عند التعليم فنجد تطبيق ذلك جلياً في التربية الإسلامية منذ صدر الإسلام وحتى الوقت الحاضر فبالنسبة للتعليم التقليدي نجد في كتابات تحفيظ القرآن مثلاً كل تلميذ يحفظ على قدر ذكائه فمنهم يحفظ الجزء من القرآن في أيام قليلة ومنهم من لا يحفظه إلا في شهر أو أكثر والمعلم هنا لا يتعامل مع جميع الطلاب بدرجة واحدة بل أنه يراعي قدراتهم وامكاناتهم الطبيعية وقد أشارت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة على وجوب مراعاة الفروق الفردية حين المخاطبة أو الوعظ أو الارشاد، فعن علي رضي الله عنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يُكذب الله رسوله" البخاري موقوف على علي رضي الله عنه - وفي مسند الفردوس عن علي مرفوعاً، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم وبما يتلاءم مع فطرتهم وأسلوبهم، فصح أنه صلى الله عليه وسلم خاطب الناس بلهجاتهم فعن كعب بن عاصم الأشعري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "ليس من أميرٍ أمصيام في امسفر" يريد ليس من البر الصيام في السفر وهي لغة الأشعريين يدلون اللام ميمًا. (مسند الإمام أحمد ج ٥، ص ٤٣٤).

كما روى الامام أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً" البحاري كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ج ١، ص ٢٩.

والصحابا رضى الله عنهم كانوا يتلقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر المساواة "ولكن نظراً للفروق الفردية كان بعضهم أعلم من بعض كعماد بن جبل الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعلمكم بالحلل والحرام". عماد بن جبل - وكان بعضهم أقرأ من بعض كأبي بن كعب وعبدالله بن عمرو وابن مسعود وكان بعضهم أعلم بشئون الحكم والقضاء قال صلى الله عليه وسلم "أقضاكم علي" وأفرضكم زيد بن ثابت .. وكان أبوهريرة آية في الحفظ مع أنه ما أدرك من حياة رسول الله إلا أربع سنين تقريباً حفظ فيها ما لم يحفظ السابقون من الصحابة رضى الله عنهم. وكان علي رضى الله عنه واسع الفهم كثير العلم فظن بعض الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه بشئ من العلم فجاءه بعض الصحابة يسألونه هل خصك رسول الله ببعض العلوم فتبين لهم رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخصه بشئ دون بقية الصحابة.. وإنما هو قوة فهمه وذكاءه رضى الله عنه.

الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة السابقة وغيرها كثير توضح مدى إهتمام الاسلام بالفروق الفردية بين البشر وضرورة مراعاتها عند تكليفهم أو اعدادهم.

كما التزم المفكرون والمربون المسلمون بهذا المبدأ الرباني "مراعاة الفروق والميول والاستعدادات بالنسبة للمتعلمين" فهذا العالم والفيلسوف والمربي (ابن

سينا - ٣٧٠هـ) قد نادى بضرورة مراعاة ميول المتعلم واستعداداته الفطرية وقدراته الطبيعية عند ارشاده الى المهنة التي يختارها لمستقبل حياته حيث قال: (ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواته، ولكن ماشاكل طبعه وناسبه، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملائمة ماكان أحد غافلاً من الأدب وعارياً من صناعة. وإذن لاجمع الناس كلهم على إختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات. وربما فاخر طباع الانسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشيء... ولذلك ينبغي لمربي الصبي إذا رام إختيار صناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ويشير قريحته، ويختبر ذكاه، فيختار له الصناعات بحسب ذلك" (الابراشي - ص ١٩١).

ويؤكد على هذا المبدأ الغزالي في كتابه احياء علوم الدين حيث يشير الى ضرورة مراعاة أحوال المتعلمين عند تعليمهم ومراعاة سنهم وأمزجتهم وقدراتهم حيث قال: "وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكتهم وأمات قلوبهم، بل ينبغي له النظر في مرض المريد وفي حالة وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة وينبى على ذلك رياضته" الغزالي، ج٣، ص ٦١).

ويشير الغزالي أيضاً الى ضرورة مخاطبة المتعلمين على قدر عقولهم - مستواهم - بقوله: "أن يقتصر المعلم بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلتقى اليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يحبط عليه عقله، إقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال: "أنا معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم" الغزالي، ج١، ص ٥٧.

ولزيادة في الإيضاح بأن هذا المبدأ اسلامي طبقه المسلمون في كل مكان قبل الغرب نذكر بعضاً من الشواهد لعلماء مسلمون غير أولئك المشاهير فالتاريخ يثبت أن الميرين في اليمن في عهد بنى رسول (٦٢٨هـ - ٨٥٨هـ) راعوا أثر الفروق الفردية في تفاوت المتعلمين وإختلافهم في القدرات والمواهب فذكروا في كتاباتهم ما ملخصه أن المتعلمين يتفاوتون في استعداداتهم، ومواهبهم العقلية، مثلما يختلفون في الخصائص والسمات النفسية والجسمية، (ابن القاسم، ص ٧٢).

كما ذكر علماء تلك الفترة أنه يجب على المعلم تقدير مواهب المتعلمين وقدراتهم ومدى الاختلاف بينهم ومعاملتهم بالرفق والحلم والمداواة والاحتمال. (انظر الهاشمي، ١٤١٢هـ، ص ٢١٣). كما يضيفوا أنه يجب على المعلم مراعاة الفروق الفردية وعليه أن يدرك هذه الفروق بين الطلاب ويعمل على تلافيها، أو التقليل من تأثيرها وبأن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق الذي يعمل لكل قوم ما يشتهون من الطعام، وكذلك ينبغي للعالم أن يحدث كل قوم بما تحتمله قلوبهم وعقولهم من العلم" (المرجع السابق، ص ١٢٥).

ويذكر أن الإمام أبوالحسن يحيى بن عمران "كان إذا قرأ عليه من يعلم منه الفهم بين له الاحترازات، ووجوه الأصول، وما العلة في اختصاصها بالتأصيل من كتاب أو سنة أو تسليم للمخالف حكم المسألة، ومتى كان في العبارة استغلاق وقصر فهم القارئ عن إدراكها، ابدلها بعبارة أخرى حتى يتصورها القارئ ويفهمها، وينبهه في كل مسألة خلافية، وقد يذكر مسائل غيرها. ومتى فرغ القارئ من قراءة الدرس أمره أن ينظر في الكتاب، ويعيد الشيخ عليه درسه غيباً ترغيباً له، وأما غير ذي الفهم فلا يزيد غير الكتاب إلا جواب ما سأله عنه، أو رد غلط أو لحن أو تصحيف... (الاهدل، ص ٢٤٠).

كما يذكر أن الفقيه أحمد بن موسى "جاءه رجل من أهل الجبل ومعه عدة مسائل جمعها في الفقه والأصول، فوجده وعنده جماعة من الدارسة وغيرهم، فسأله عن تلك المسائل فأجابته الفقيه عن المسائل التي في الفقه، وسكت عن المسائل التي في الأصول فظن الرجل أن ذلك قصور من الفقيه، فلما أنقضى المجلس، دخل الفقيه منزله، وأمر بادخال الرجل وقال له: إن العقول لا تحتل جواز هذه المسائل، وربما يحصل بحث وكلام يشوش على السامعين، ثم أجابه عن ذلك جواباً شافياً، وكان له بحث حسن ونظر تام في كثير من العلوم، وله اعتراضات على المذهب والتنبيه، والكافي الذي في الفرائض، تدل على تضلعه في العلوم" (الشرحي، ص ٥٨).

أبعد هذا أيقق للغرب أن يدعي أن مبدأ مراعاة الفروق الفردية من بنات أفكاره، ومن العجيب أن يغفل التربويون المسلمون أن الإسلام قد جاء بهذا المبدأ منذ ألف وأربعمائة عام وإن الغرب اللئيم يتنكر لفضل الحضارة الإسلامية عليه بينما يعترف لبعض الحضارات الملحدة بالفضل عليه مثل الحضارة اليونانية.. وما ذلك إلا بسبب الحقد الدفين على الإسلام الذي كانت تغذيه الكنيسة واليهود بسبب انتصار الإسلام على الدولة الرومانية الشرقية التي عاصمتها القسطنطينية.. وقبل ذلك سقوط هرقل الروم في دمشق وبلاد الشام. وهذا أمر متوقع من الكفار.. إنهم لا يحبون المسلمين الملتزمين بمبادئ وقيم الإسلام قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ [سورة البقرة الآية: ١٢٠].

### **التعليم المستمر أو التربوية المستمرة:**

يدعي البعض أن مبدأ التعليم المستمر يعد من المبادئ أو النظريات التربوية الحديثة وأن متطلبات العصر هي التي فرضت وجوده.. ويعرف بأنه:

"العملية المستمرة اللازمة لتنمية الفرد طوال حياته، سواء بالطرق المباشرة أو غير المباشرة، وسواء بالتعليم النظامي المدرسي أو بالتعليم خارج المدرسة، وفي جميع مراحل السن، منذ الطفولة الى الكبر، وفي أي موقف من مواقف الحياة بحيث تكون التربية مرادفة للحياة وتطوراتها، وبحيث تصبح مستمرة، ومستديمة مدى الحياة، حتى يتحول المجتمع كله الى مجتمع متعلم أو مجتمع يتعلم ويعلم (سليمان، ص ٢٥٩).

كما يدعى البعض أن المعنيين بالتربية في هذا العصر رأوا أن التعليم المحدد الذي ينتهي بانتهاء سن الدراسة لايفي بحاجات المجتمع المتطور، فأوصوا بضرورة استمرارية التعليم مدى الحياة - ويستشهدون بقول العالم الأمريكي (هربرت جريجوري): "لن يكون رجل الغد الأمي هو الذي لا يعرف القراءة والكتابة ولكن سيكون الإنسان الذي لم يتعلم كيف يتعلم" (القاضي، الإسلام والتربية مدى الحياة).

أدرك التربويون أهمية هذا المبدأ في النصف الثاني من القرن العشرين. واصبح نظرية تربوية تنسب الى الغرب وتدرس في جامعاتهم ويتلقى هذا العلم الطلاب العرب والمسلمون المبتعثون للدراسة في الغرب.. ولا تعرف النظرية لدى بعضهم إلا إذا ذكرت بالكلمة الإنجليزية (Continuing - Education) - وجعلوها تماماً (إلا من رحم ربي) ما جاء في القرآن الكريم وفي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بخصوص هذه النظرة أو هذا المبدأ.. فلنستعرض الرأي الإسلامي في ذلك. فالقرآن جاء يحث على العلم ويُعلي من مكانة العلماء وطلبة العلم، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت في فضل العالم وطالب العلم لو وعاهها أفراد المجتمع لكان جميعهم إما علماء أو طلاب علم أو مجرد مستمعين.. فأى تفضيل وأي مكانة تأتي بعد قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ

لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائماً بالقسط﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨].

لاشك أن مبدأ إلزامية التعليم واستمراره مبدأ إسلامي تدل عليه الآيات القرآنية العديدة التي تحث على طلب العلم وتوضح مكانة ومنزلة طالب العلم كما أن آثار السنة النبوية وأعمال السلف الصالح خير باعث لطلب العلم مدى الحياة. رووا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة" رواه البخاري في كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل ص ٢٤ - وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". رواه ابن ماجه، والبيهقي، وابن عبد البر عن أنس.

إلا أن علماء المسلمين قسموا ذلك إلى فرض عين وهو الذى يتعين على كل أحد طلبه ومعرفته وهو ما تصحح به الاعتقادات والعبادات والمعاملات وإلى فرض كفاية وهو الذى إذا اقام به البعض سقط الوجوب عن الباقين وإذا تواطأ الجميع على تركه أمموا كتعلم الصناعة أو الزراعة أو غيرها مما تحتاج إليه الأمة.

والتعليم في الإسلام مستمر من المهد إلى اللحد .. وليس محددًا بسن معينه بل هو عملية مستمرة مع الإنسان طول حياته لأنه عملية تغذية للروح كالطعام للجسم ولأنه عبادة يثاب عليها والثواب مرغوب من الكبار أكثر من الصغار ففي الأثر من مات وهو في حالة طلب العلم ليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة في الجنة. وفي الحديث عن أبي أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي" رواه الترمذي وقال حسن صحيح - الحديث يوضح كيف

أن النبي صلى الله وسلم فضل العلم على العبادة والشهادة وقرب منزلة طالب العلم.

يروى أن بعض السلف الصالح كان الواحد منهم يقرأ مع حفيده ومما يدل على ذلك رواية الأكاير عن الأصاغر حيث كان بعض الصحابة الكبار يأخذون العلم من بعض التابعين وكان بعض التابعين يأخذ عن تابع التابعين كرواية الإمام الزهري عن مالك، وبين وفاتيهما خمس وخمسون سنة.

إن العلم بحر "لا ساحل له" وكل يوم يأتي بمجديد من العلم والمعرفة لذلك فإن الانسان إذا توقف عن طلب العلم يصبح جاهلاً لكثير من العلم لذلك نرى الشافعي رضي الله عنه يقول:

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي ... وكلما أزدت علماً زادني علماً بجهلي ونرى في قصة موسى عليه السلام وتوجيه الله له الى طلب العلم على سيدنا الخضر مع أن موسى رسول الله وكليمه. قال تعالى: ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تُعلِّمَني مما علِّمتَ رشداً﴾ [سورة الكهف الآية: ٦٦] ومن أقوال السلف التي تحت على طلب العلم مدى الحياة ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قوله: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك" وقال عطاء: "مجلس علم يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو". (الغزالي أحياء علوم الدين، ج١، ص ١٠).

من هذا يتبين لنا أن مبدأ الزامية التعليم واستمراره مبدأ إسلامي خالص... لأن هدف الإسلام من طلب العلم ليس الشهادة أو الوظيفة وإنما هو الأجر والثواب وخدمة الإسلام، والتعليم في الإسلام لا يحدد بالسن فحاء في الأثر "أطلب العلم من المهد الى اللحد"، ما ذكر قليل جداً من كثير لا يمكن حصره عن ما جاء من الحوافز على طلب العلم في الإسلام وبمفهومه الواسع،



وهو كل علم ينتفع به الإنسان ويخدم البشرية .. وهل بعد كل هذه الحقائق الواردة في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح يحق لأحد أن يتشدد ويقول بفضل الغرب في المتأداة بالزامية التعليم أو استمراره.

### مبدأ التعليم الذاتي:

يدعى التربويون المعاصرون أن مبدأ التعليم الذاتي وما ينطوى تحته من قيم مبدأ حديث، نادى به الغربيون، لاسيما علماء النفس، وجاءت مناداتهم تلك واضحة وصریحة أو متضمنة في نظريات التعلم المختلفة ومنها: نظرية الارتباط لثورندايك، ونظرية الاشتراط البسيط لإيفان بافلوف، ونظرية الاقتزان لجاترى، ونظرية المجال للنين، (لمزيد المعلومات يمكن الرجوع الى كتاب: أحمد زكي صالح - نظريات التعلم).

ومن التربويين المعاصرين الذين نادوا بالتعليم الذاتي: إيفان اليش في كتابه ( Deschooling Society ) مجتمع بلا مدارس. ترجمة د. يوسف نور عوض، د. محمد جميل علي خياط - وايفريت ريمر في كتابه: "School is Dead" المدرسة ماتت".

حيث انتقدا نظام التعليم الحديث الذى يعتمد على التمدُّس (إجبار الطالب في تلقي المعلومات وبالطريقة التى تريدها المدرسة)، وناديا بالغاء المدرسة الحديثة لأنها فشلت في تعليم التلاميذ، ويريان أنه لابد من البحث عن مؤسسات بديلة تقوم بالتعليم يشترط فيها أن يكون المتعلم المحور الأساسي في العملية، وأن يعتمد على نفسه أولاً في تعلم مايرغب وبالوسيلة التى يراها. أي أنهم ركزوا على التعليم الذاتي. (وقد وضحتُ رأبي في نظرتهم هذه وبينت موقف الإسلام منها فيمكن الرجوع الى مقدمة الكتاب المترجم).

والمتقف المنصف يرى أن ما جاء به هؤلاء من فكرة التعلم الذاتي للفرد، إنما هي مأخوذة مما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية. ومعلوم أنه لم يكن هناك دين سماوي يحث ويشجع على طلب العلم كالدين الإسلامي.. ويكفي للدلالة على ذلك ما جعله الله سبحانه وتعالى من منزلة ومكانة للعالم والمتعلم، وفي الصفحات السابقة ذكرت بعض الآيات والأحاديث التي توضح ذلك.

ولو تفكر الإنسان في الفضل والأجر الذي جعله الله لطالب العلم، لتحول كل أفراد المجتمع الى عالم أو متعلم أو مستمع له... والإسلام دين الفطرة، لم يخالف الطبيعة البشرية والحقيقة بأن الانسان في بداية تعلمه لا بد له من معلم وموجه ومرشد يأخذ عنه العلم والخبرة حتى إذا ما استوى على سوقه واتقن المبادئ والأسس الأولية للعلوم، بإمكانه أن ينطلق ويتهل من مناهل العلم العذبة. فالانسان لا يستطيع أن يخوض بحر العلم دون أن تكون لديه الأدوات والمفاتيح اللازمة لذلك، فإذا ما توفرت لديه أدوات البحث والتنقيب عليه أن ينطلق.. فالاسلام في حثه على التعلم وضع للإنسان المنهجية اللازمة لذلك.. فللنظر منهجية لا يتعدها فلا ينظر إلا الى ما أحل الله له أن ينظر إليه من مكونات الطبيعية ولغرض التأمل والتفكر فيها كآية تشهد بوجود الله الواحد الأحد.

وحرم عليه النظر الى كل ما هو مضر للعين وللقلب.. وللسمع منهجية فلا يسمع إلا كل مفيد وهادف وبناء.. ويصم آذانه عن كل ما هو مضر بفكرة وعقله.. وللحوار منهجية فلا يحاور إلا من أجل العلم والمعرفة، لا من أجل التعالي أو الصخب.. وعليه أن يتقيد بأصول الحوار وأسلوبه..

والإسلام يوجب التعلم الذاتي لكل شخص بلغ مرحلة التكليف، فعليه أن يربى نفسه ويزكيها ويحاسبها قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا\* فَالْهَمُّهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا\* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا\* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس الآية: ٧ - ١٠].

وكما أن الإسلام وضع منهجية التعلم الذاتي حدد له أيضاً أهدافاً أهمها:  
أ - تقوية الإيمان ومداومة الصلة بالله سبحانه وتعالى.

ب - اصلاح النفس وتطهيرها من العيوب الظاهرة والباطنة.

ج - دفع الإنسان ليقيم نفسه باستمرار، وفي هذا مصلحة ومنفعة كبيرة له.

د - دفع الإنسان وحثه لأن يقوم بكل ما هو مفيد ونافع في دينه ودنياه،

وتجنب كل ما هو مضر بهما.

هـ - دفع الإنسان لأن يكون عضواً فاعلاً في المجتمع.

و - دفع الإنسان لأن يتحلى بالاخلاق الفاضلة والابتعاد عن الأخلاق

الذميمة.

كما وضع الإسلام الأساليب الصحيحة للتعلم الذاتي ويمكن تلخيصها

فيما يلي:

١ - أداء العبادات جميعها والمحافظة عليها في أوقاتها: (من صلاة وزكاة

وصوم وحج، ودعاء مستمر) فهي من أفضل الأساليب للتعلم الذاتي أو التربية

الذاتية. فهذه العبادات وغيرها كثير تجعل الإنسان على صلة دائمة بالله، ومن

كانت صلته بالله نال أعلى درجات العلم، والله يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ

وَيَعْلَمْكُمْ اللَّهُ﴾.

٢ - محاسبة النفس الدائمة: والله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك: قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

خير بما تعملون ﴿ [سورة الحشر الآية: ١٨] ومحاسبة النفس من أهم الأساليب في التربية الذاتية، ففيه تربية لضمير الإنسان وهو المحرك والدافع على العمل.. ومحاسبة النفس تؤدي الى تقوى الله عز وجل... ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، وفتح النفس الى طلب العلم والاستزادة منه أكبر رزق وأكبر نعمة يمن الله بها على عبده.. وجاء في الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله لكميل "ياكميل العلم خير من المال العلم يجرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق" الغزالي، إحياء علوم الدين ج ١، ص ٨).

٣ - التفكير الدائم في مخلوقات الله: وقد قيل تفكر ساعة أفضل من قيام ليلة، والتفكر في مخلوقات الله ومشاهد الكون خير وسيلة إلى معرفة الله عز وجل وهي أهم العلوم.

قال تعالى: ﴿وفي الأرض آياتٌ للموقنين\* وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [سورة الذاريات الآية: ٢٠-٢١]، ﴿أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت\* والى السماء كيف رفعت\* والى الجبال كيف نصبت\* والى الأرض كيف سطحت﴾ [سورة الغاشية الآية: ١٧-٢٠] فالتفكير فريضة إسلامية وبه تتحقق انسانية الإنسان وتميزة عن سائر المخلوقات وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله عز وجل، فإن بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك" أخرجه البيهقي هذه الأساليب الثلاثة إن التزم بها الإنسان فإنها تقوده الى تحقيق ما سواها من أساليب وطرق في التعلم الذاتي..

من هذا اليسير الذي ذكرناه يتضح كيف أن الإسلام جاء بالدعوة الى مبدأ التعلم الذاتي أو التربية الذاتية للإنسان.. ولم يكتف بالدعوة إليه بل وضع

له الأسس والقوانين اللازمة لتحقيقه.. فأين هذا مما ذكره إيفان إيفريت  
ريمر .. فالى أولئك المنبهرين بأقوال وآراء علماء الغرب في التربية بالذات نقول  
عودوا وتدبروا القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتقبوا في  
كتب السلف الصالح .. التى كُتبت في ورق أصفر.. ولكن صفار ورقها يدل  
على أنها كُتبت من ماء الذهب.

ولا نقول إن كل ما جاء به الغرب كفر وضرر... بل هناك ما هو صالح  
ولكن سرقوه من قرآننا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ومن تراثنا الإسلامي  
الخالد.

### **مفهوم الحرية: في الإسلام:**

كلمة الحرية في اللغة تأتي لمعانٍ عديدة منها:

الأرض الرملية، وحرية القوم أشرافهم .. وخالصتهم (منيمة، ص ١٨).  
والحررة عكس الأمة. والحر عكس العبد فالحرية هي الإنطلاق من الأسر  
أي من العبودية والرق للآخرين الى عالم الأحرار. والحرية أن لا ترضى بالذل  
أو أن تكون موضع اعتداء أو هضم لحقوقك من أحد ولا ترض أن تكون  
ذليلاً لأحدٍ أي أن الحرية وصف يتحقق فيه حفظ كرامة الإنسان من أن تهان  
بأي شكل من الأشكال لأن الإنسان حر بفطرته.. وهذا ما دفع عمر من  
الخطاب أن يصيح في وجه فاتح مصر عندما أهان ابنه أحد المواطنين من أهل  
الذمة قائلاً له: "منذ متى ياعمرؤ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً  
(البابلي، ص ١٠٢).

فقد كفل الإسلام للفرد الحرية في جميع جوانب الحياة .. ففي مجال  
العقيدة التى هي أهم شئى في حياة الإنسان وعليها تتوقف سعادته أتاح له  
حرية الاختيار قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن

يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴿ [سورة البقرة  
الآية: ٢٥٦].

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعاً أفأنت تكبره الناس حتى  
يكونوا مؤمنين﴾ [سورة يونس الآية: ٩٩].

﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر... الآية﴾  
[سورة الكهف الآية: ٢٩].

وفي مجال التفكير: يحث الإسلام على حرية الفكر ويمقت التقليد الأعمى  
والتبعية والخضوع لأفكار الغير دون حجة أو ميرر. قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم  
أتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباءهم  
لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ [سورة البقرة الآية: ١٧٠]، ﴿أفلا يتدبرون  
القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [سورة محمد الآية: ٢٤].

وكذلك حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التبعية الفكرية حيث قال  
عليه السلام: "لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا  
ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا"  
(الترمذي، الجامع الصحيح، ج٣، ص٢٣٦).

كما تزخر السنة النبوية بالأحاديث الدالة على حرية الرأي والتعبير ولو في  
أخطر الأمور ومن الأمثلة على ذلك في غزوة بدر الكبرى عندما نزل رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بمنزل فسأله الحباب بن المنذر قائلاً: أهذا منزل أنزله  
الله أم هي الحرب والخديعة؟ فقال صلى الله عليه وسلم "بل هي الحرب  
والخديعة. فأشار عليه الحباب بمنزل آخر فتحول إليه الرسول وهو على ما هو  
عليه من الفضل.

ومفهوم الحرية في الإسلام يختلف عن مفهومها في الغرب شكلاً ومضموناً وممارسة ففي حين تهدف الحرية في الإسلام الى تحرير الإنسان من العبودية والخضوع لغير الله تعالى وتحقيق العبودية لله وحده. نجد أن الحضارة المادية تهدف الى عكس ذلك وهو تكوين الإنسان المتمرد على خالقه المتنكر لنعمة، وبالتالي يكون عابداً لصنم أو لإنسان مثله أو للمادة..، وقد تمثل ذلك جلياً حين قامت الحرية الغربية بفصل الدين عن الدولة وعن الأخلاق وعن الحياة بصفة عامة، والإسلام لم يكف باعطاء الانسان الحرية فحسب.. بل دله أيضاً على طريقة استخدامها الاستخدام الأمثل.. حتى لا تكون شراً عليه.. فوضع له قواعد تحميه من شر هذه الحرية نفسها. ومنها قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" بحيث لا يؤدي استخدام هذه الحرية الى حصول ضرر للإنسان في نفسه كشراب الخمر وتعاطي المخدرات.. أو حصول الضرر للآخرين كالنيل من أعراضهم ومعتقداتهم باسم حرية الرأي المزعومة.. أو صنع اسلحة الدمار الشامل.

فالحرية في الإسلام تهدف الى تحقيق المصلحة الفردية والجماعية في آن واحد.. وتحرير الانسان ليس من تحكم أخيه الإنسان فحسب.. ولكن أيضاً من تحكم ما سوى الله مطلقاً كالشهوات المادية وهوى النفس الأمارة بالسوء، وتحريره أيضاً من شدة الفقر والخوف قال تعالى: ﴿لِيَلْأَبْ قَرِيْشٍ \* يَلْأَبْهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصِّيفِ \* فليعبدوا رب هذا البيت \* الذى أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف﴾.

﴿فأما من طغى وءاثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى \* وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [سورة النازعات الآية: ٣٧ - ٤١].

## المسئولية والحرية :

حين شرع الإسلام الحرية للإنسان ألزمه مقابل ذلك بواجبات ومسئوليات عليه الالتزام بها.. فالحرية في الإسلام لا تكون مطلقة بل مقيدة بقيود.

فحرية الكلمة مرتبطة بأن لايقول الإنسان إلا خيراً وأن يتعد عن الغيبة والنميمة وقول الزور والقول الفاحش، وحرية الطعام والشراب بأن يأخذ من الطعام والشراب الحلال فقط وبدون اسراف. وحرية العمل توجب على الانسان أن لايعمل أي عمل يسبب أو يجلب عليه الضرر أو على غيره .. وأن يعمل في الأعمال المشروعة .. ويتعد عن الشبهات. فالحرية والمسئولية متلازمتان... فالغرض من الحرية أن تحفظ للإنسان حقوقه ونموه وبقائه وحقوق وبقاء ونمو مجتمعه وبيئته وإن لم تكن كذلك فلا تكون حرية بل تكون حيوانية وفوضى وحياة غاب.

ولايصح أن تفهم الحرية على أنها انطلاق من كل قيد أو تعاليم فتكون كالبهيمة لاينظم لها ولا ادراك.. بل هي كلمة تفيد الانطلاق بجرية ضمن حدود المفاهيم التي أمتها علينا الشريعة الاسلامية ودعت الى رعايتها وعدم تجاوزها.

وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم مفهوم الحرية في الحديث الجامع: "مثل القائم على حدود الله والمراهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فاصاب... الحديث" راجع الترمذي، باب الفتن، حديث ١٢، صحيح الامام أحمد ٤/٢٦٨.

- حقيقة التوحيد وحقيقة الاستخلاف تحددان مفهوم الحرية الانسانية ومجال وجودها زماناً ومكاناً وشكلاً... فهو خاضع وعبد ومقيد لله سبحانه وتعالى. وفي الوقت نفسه حر وطليق ومهيمن ومسيطر على الكائنات في الأرض من ناحية أخرى.



## مراجع الفصل السادس

- الابراشي، محمد عطية - التربية الاسلامية وفلاسفتها - ط ٣، القاهرة، دار الفكر العربي.
- البابلي، محمود محمد، الإنسان وحرثته في الإسلام.
- ابن القسم الحسيني - أدب العلماء والمتعلمين - الدار اليمنية، صنعاء، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- جمال، أحمد محمد - محاضرات في الثقافة الإسلامية - مطبوعات الشعب، ط ٣، ١٩٧٥م.
- خضر، فخري رشيد - تطور الفكر التربوي - دار الرشيد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- سليمان، عرفات عبدالعزيز - ديناميكية التربية في المجتمعات - مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٩م.
- الشرجي، أحمد بن أحمد - طبقات الخواص، أهل الصدق والإخلاص - الدار اليمنية، صنعاء، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- صالح، أحمد زكي - نظريات التعلم - مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.
- عبدالدائم، عبدالله - التربية عبر التاريخ - دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨م.
- الأهدل، الحسين بن عبدالرحمن بن محمد - تحفة الزمن في تاريخ اليمن - تحقيق عبدالله محمد الحبشي، شركة دار التنوير، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- منيمنة، جميل - مشكلة الحرية في الإسلام، المشكلة الفلسفية - دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٧٤م.
- نور عوض، يوسف وحياط، محمد جميل علي - مجتمع بلا مدارس - مطابع الصفا، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ.